العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء السابع والثامن- السنة ٥٤

محرم وصفر ١٤٤٠هـ
أيلول-تشرين الأول/ سبتمبر-أكتوبر ٢٠١٨م

رئيس التحرير

أ. د. أحمد بن محمد الضبيب

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. أسعد بن سليمان بكر عبده

أ. د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

أ. د. عبدالعزيز بن ناصر المانع

أ. د. محمد بن عبدالرحمن الهدلق

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - شارع أبي دجانة - حي صلاح الدين - وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحـث داخلاً ضمن اهتمامـات المجلة وهي الموضوعات المتعلقـة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكـد الكاتب من سلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. يفضل إرسال المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم.

ثمن الجزء ١٠ ريالات.

الإعلانات:

يتفق عليها مع الإدارة

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٨

رد مد (ISSN) : ۲۶۷۱- ۱۳۱۹

الفهرس

ديوان على بن محمد الشمشاطي	د. جليل إبراهيم العطية	٤٢٣
من أفانين العرب في البيان والتبيّن	د. محمد حسان الطيان	٤٤٩
آراء المقريزي في الأوزان والأكيال الشرعية	د. مقتدر حمدان عبدالمجيد	٤٨٧
معجم فيشر بين طبعتين معجميتين	د. محمد جمعة الدربي	٥٢٣
مناهج التحقيق في مؤلفات العرب في المعادن	مصطفى يعقوب عبدالنبي	٥٤٥
شعر أبي جعفر الرعيني الغرناطي (٢)	د. عبدالرازق حويزي	٥٦٩
أعلام العرب: الصحفي والأديب العراقي.. النجدي.. عبداللطيف آل ثنيان	د. عبدالرحمن الشبيلي	٥٨٩
بريد العرب: إشكالية التعريب بين المؤيدين والمعارضين	محمد عبدالشافي القوصي	٥٩٣
مكتبة العرب: الطواف حول البحر الإرْثيري والجزيرة العربية	د. عبدالعزيز الهلابي	٦٠١

ديوان علي بن محمد الشِّمشاطي
(من شعراء القرن الرابع الهجري)

صنعة

د. جليل إبراهيم العطية

الشاعر: هو أبو الحسن علي بن المطهر، العدوي، من عدي بن تغلب، المعروف بالشِّمشاطي[1]، عالم بالأدب، من الندماء، له اشتغال بالتاريخ والنحو والنجوم والفقه واللغة، وغير ذلك.

لا تسعفنا المصادر بشيء ذي بال عن مولده ونشأته وطفولته. لكن أقدم شيخ روى عنه الأخفش الصغير (علي بن سليمان) المتوفى سنة ٣١٥هـ؛ فالمرجَّح أنه ولد في ختام القرن الثالث الهجري، في حدود سنة ٢٩٩هـ. وهذا يعني أنه تلمذ للأخفش في سن السادسة عشرة. وهو عمر مقبول لتلقي العلم أيامئذ.

ولعله ولد في مدينة «شِمشاط» بأرمينية من أسرة أصلها من الموصل. وكان والده من أهل العلم كما سنرى. والمؤكد أن الأسرة حلَّت ببغداد، حاضرة الخلافة، فواصل الشِّمشاطي لقاء العلماء، فتلقَّى العلم عنهم، غير أننا لا نعرف المدة التي مكث فيها ببغداد. وأقام مدة في الموصل، ثم في حلب. وأثناء ذلك اتصل بآل حمدان، فكان مؤدبَ ابني ناصر الدولة (الحسن بن عبدالله بن حمدان) المتوفى سنة ٣٥٨هـ.

كان ناصر الدولة أكبر من (سيف الدولة)، وأقدم منزلةً عند الخلفاء، وكان صاحبَ الموصل وما والاها. ولعل الشِّمشاطي اتصل بناصر الدولة في الموصل قبل أن يتوجه إلى حلب حاضرة آل حمدان.

وللشِّمشاطي ابنٌ شاعر، هو أبو الفتح الحسن. وله ترجمة وشعر في **يتيمة الدهر** ١٢٥/١. وذكر السمعاني أن الشِّمشاطي حدَّث عن محمد بن محمد الباغندي، وروى عنه أبو جابر عبدالله بن حيان الأزدي.

كان الشِّمشاطي كثير التنقّل بين الجزيرة والموصل وبغداد وحلب. ويفيدنا ابن النجار (ت ٦٤٣هـ) أنه دخل مدينة واسط سنة ٣٩٤هـ. ولا نعرف شيئًا عن فترة وجوده في هذه المدينة العريقة بمن اتصل، وماذا فعل. ثم انقطعت أخباره بعد ذلك، فلا نعرف متى توفي، وأين.

شيوخه: ونعود إلى شيوخه ومن روى عنهم، فنكتشف أن كتابه **الأنوار**، وهو الوحيد الذي وصل إلينا من آثاره، يضم طائفة من هؤلاء الأعلام العلماء:

١- الأخفش الصغير، علي بن سليمان (٣١٥هـ).

٢- ابن دريد، محمد بن الحسن (٣٢١هـ).

٣- الصولي، محمد بن يحيى (٣٣٥هـ).

٤- علي بن الصباح، ورَّاق أبي محلّم، محمد بن هشام الشيباني اللغوي. (توفي ابن هشام ٢٤٥هـ).

٥- علي بن هارون المنجم (٣٥٢هـ).

٦- أحمد بن جعفر بن أبي العيناء محمد بن القاسم.

٧- نفطويه، إبراهيم بن محمد بن عرفة (٣٢٣هـ).

٨- الشريف المرتضى، علي بن الحسين (٣٥٥-٤٣٦هـ).

٩- الحسين بن علي الأنطاكي.

١٠- جحظة، أحمد بن جعفر (٢٢٤-٣٢٤هـ).

١١- الحراني، أبو الحسين.

١٢- محمد بن صدقة.

ومن تلامذته: علي بن منصور الحلبي الأخباري (ت٤٢١ه).

وعودة أخـرى إلى شيوخه نقول: إن أقدمهم والده الذي روى عنه شعرًا لابن الرومي. [ذيل تاريخ بغداد ٤/١٤٢-١٤٣].

مؤلفاتـه: تـرك الشِّمشاطي مجموعة من المؤلفـات في الأدب والشعر واللغة والنحو والتاريخ والفقه والأنساب والنجوم، وغير ذلك، كما أسلفنا. وتعدُّ القائمة التي أثبتها النجاشي، أحمد بن علي (ت ٤٥٠هـ) الأكثر تفصيلاً بينها:

١- **أبيات المعاني**: ذكره في كتاب **الأنوار**.

٢- **أخبـار أبـي تمام والمختار من شعـره**. كانت منه نسخة في إحدى مكتبات حلب سنة ٦٩٤هـ. (**فهرس سباط** رقم ٤٠).

٣- **أخبـار أبـي نواس والمختـار مـن شعـره، والانتصـار لـه، والـكلام على محاسنه**.

٤- **الأنـوار**: وصل إلينا، وطبـع باسم **الأنوار ومحاسـن الأشعار** (تح صالح مهدي العزاوي، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٧٦م. وتح السيد محمد يوسف، الكويت، وزارة الإعلام ١٩٧٧-١٩٧٨م).

٥- **الأنـوار والثمـار**: قال سلامة بن دكا الموصلي: إنه ألفان وخمسمئة ورقة، يشتمل على ما قيل في الأنوار والثمار من الشعر.

٦- **تفضيـل أبـي نواس على أبي تمام والرد على الطاعنين في شعره**. كانت منه نسخة في إحدى مكتبات حلب سنة ٦٩٤هـ. (**فهرس سباط** رقم ٢٥٦).

٧- **الديـارات** (الأديـرة والأعمار في البلدان والأقطار). قال سلامة بن دكا: هـو أكبر عمـل في الموضوع، ذكر فيـه بضعة وثلاثين ديـرًا وعمـرًا. وصلت إلينا اقتباسـات منه في كتـاب **بغية الطلب** لابـن العديم؛ جمعها وحققهـا د. إحسان

عباس في كتابه **شذرات من كتب مفقودة**، ص٣٨٣-٣٨٧.

٨- **رسالة الإيضاح عمَّا أتيا به** [الخالديان] **من الإفك الصُّراح**.

٩- **رسالة البيان عمَّا موَّه به الخالديان**.

١٠- **رسالة تتعلق بأبي نضلة، مهلهل بن يموت**.

١١- **رسائل إلى سيف الدولة الحمداني**.

١٢- **شرح الحماسة الأولى التي أعدّها أبو تمام الطائي**.

١٣- **شعر ديك الجن** (صَنَعه).

١٤- **غريب القرآن**.

١٥- **القلم**. [في **الوافي بالوفيات** ١٥٨/٢٢ ـ **العلم**].

١٦- **المثلث الصحيح**.

١٧- **المجري في النحو**. [المجري: المنصرف].

١٨- **مختصر تاريخ الطبري**: حذف الأسانيد والتكرار، وزاد عليه من سنة ٣٠٣هـ إلى وقته. قال سلامة بن دكا: فجاء في نحو ثلاثة آلاف ورقة.

١٩- **المقصور والممدود**.

٢٠- **الموصل لأبي زكريا يزيد بن محمد الأزدي** (ت ٣٣٤هـ)، تَمَّمه من أول سنة ٣٢٢ إلى وقته، فدخلت فيه زيادات كثيرة.

٢١- **النُّزَه والابتهاج**. قال سلامة بن دكا: إنه نحو ألفين وخمسمئة ورقة، يحتوي على آداب وأخبار.

قال ياقوت: إنه مجموع يتضمن غرائب الأخبار ومحاسن الأشعار كالأمالي.

كانت منه نسخة في إحدى مكتبات حلب سنة ٦٩٤هـ. (**فهرس سباط** رقم ٨٧٦).

وقد رأى أبو العباس النجاشي كتبًا زائدة في فهرست كتب الشِّمشاطي بخط (أبي نضر بن ريان)، إلا أنه لم يثبت غير ما وثّقه (سلامة بن دكا) منها.

مكانته في الشعر: قال النديم يصف الشِّمشاطي: هو شاعر، مصنّف، مؤلف، مليح الحفظ، كثير الرواية. [**الفهرست** ٦٨٠]. ووصفه بالغلو المذهبي.

وقال ياقوت: شاعر مجيد، ومصنف مفيد، كثير الحفظ، واسع الرواية.

ولقد أوردا، وكذلك النجاشي، قائمة بأسماء مؤلفاته، لم يكن من بينها ديوان شعر، على الرغم من إقرار النديم وياقوت بأنه شاعر.

وبمراجعة **الأنوار**، و**معجم الأدباء**، و**الوافي بالوفيات**، والعشرات من كتب التراث والأدب، نجد له القصائد والقطع التي تشهد بأنه شاعر مطبوع، مجوِّد، حسن المعاني، مليح المأخذ، رقيق الطبع، كثير الافتتان في التشبيهات والأوصاف. ومَنْ يدرس شعره يلحظ أنه قد تأثر بمن سبقه من الشعراء؛ كالبحتري وأبي تمام وأبي نواس وابن الرومي وغيرهم. ويلحظ أن تأثره كان كثيرًا بالبحتري. وفي كتابه **الأنوار** يفضح بعض الشعراء الذين سرقوا شعره. وفي هذا دلالة على شاعريته الخِصبة، بحيث يتعرض للسرقة.

كان القرن الرابع الهجري يضج بفحول الشعراء، في مقدمتهم أبو الطيب المتنبي، وكان ديوان سيف الدولة الحمداني - الذي بدأ سنة ٣٣٣هـ بتولي سيف الدولة الإمارة - حافلاً بالعلماء والشعراء الذين كانوا يسعون لرِفد صاحب الأمر، فتثور بينهم الخلافات والمناقشات، كما رأينا ما حصل بين المتنبي وابن خالويه - مثلاً - ويبدو أن مكانة الشِّمشاطي في بلاط سيف الدولة كانت حسنة، دلالة تكليفه جمع القصائد التي قيلت في سيف الدولة، وحجمها عشرة آلاف قصيدة، اختارها بمشاركة عبدالله بن محمد الفياض الكاتب، لكنه اصطدم بالأخوين الخالديَّيْن، فألَّف فيهما رسالتين - تقدم ذكرهما - يتهمهما بالتمويه والإفك الصُّراح. وقد انضم الشِّمشاطي إلى السَّرِيِّ الرَّفَّاء، الذي رفع راية العداء للخالديَّيْن كما هو مشهور. [انظر **ديوان السري الرفَّاء** ٨٢/٢ رقم ١٣٨، و٣٠٢/٢٠ رقم ٢٦٤،

و٣٣٩ رقم ٢٩٠، و٦١٣/٢ رقم ٤٣٢].

ولقـد هالني الظلم الذي لحق بأبي الحسن الشِّمشاطي، الذي تجسَّد بغياب ديوانـه عن مكتبـة الشعر العربي، فتجـردتُ لصنع ديوان له قـدْر تيسُّر المظانِّ. ويظـل الجهـد المتواضع يحنّ إلى مَنْ يستدرك عليـه. واللّه الموفق، إنه نِعم المولى ونِعم النصير.

ديوان الشِّمشاطي

قافية الباء

[١]

قال يمدح أحد كُتَّاب عصره: [الطويل]

١- له قلمٌ قد قلَّم الدهرَ بأسُه ... وذلَّـتْ له قسـرًا رقـابُ النـوائـبِ
٢- يَمُـجُّ لُعـابًا كـالـبروقِ وإنـه ... لأمضى من البِيض المواضي المضاربِ
٣- فتجري به يُمناه بالفقر والغِنى ... لمـن يـرتجيـه أو لـبـاغٍ مـحـاربِ
وينثُر في القرطاس دُرًّا منظَّمًا ... كنظم عقود الـدُّرِّ فوق الـترائـبِ

[١] القطعة في الدر الفريد ٩/٥.

[٢]

قال في وصف الهواء بالحرّ وقلة تحرك الريح: [الوافر]

١- لـقـد حـرَّ الـهـواء فـقـيـل هـذا ... هـوى لـفـظَـتْـه في الجـوِّ الـقُـلـوبُ
٢- كـأنَّ الأفـق جـاحـم كـيـر قـيْنٍ ... فـمـا لم يـحـتـرقْ مـنـه يـذوبُ

[٢] محاضرات الراغب ٤١٧/٤.

٢- الجاحم: المكان الشديد الحر.

[٣]

وقال في استشفاع الدخول: [الكامل]

١- أأبا المسيَّب معدن الآداب ... أشكو إليك فضاضة الحُجَّاب

٣-رمتُ الدخول إلى الأمير فصدَّني ... عنه بلا سببٍ من الأسباب

٣- فامنُنْ بتعريف الأمير فإنني ... قد صرت كالبوَّاب عند البابِ

[٣] النتفة في التبر المسبوك (مخطوط، ق ١٤٠).

[٤]

وقال: [الرجز]

١- بثابت النسبة في العتق له ... من أعوجٍ ولاحقٍ خيرُ نَسَبْ

٢- ذي عُنق مديدة ومُقلة ... حديدة وأذُنٍ فيها نجَبْ

٣-تسمع هجس الصوت من بُعد المدى ... فتنتحي سامعةً وتنتصبْ

٤- لا تأخذ العين الذي تأخذه ... فهي له حافظة من الرِّيَبْ

٥- ومنخرٍ مثل الوجار يبعث الـ ... أنفاسَ في شرقٍ وغربٍ إذ رَحبْ

٦- وكَفَلٍ متن الطِّراف متنه ... وبطنُه ذو جُفرة وذو قَببْ

٧- تراه كالطَّود لدى إقباله ... وعندما يدبر كالسَّيل السَّربْ

٨- تُقلُّه قوائمٌ عُبلٌ لها ... حوافر حُفْرٌ صِلابٌ لم تَخِبْ

٩- يُخلِّف الريحَ لدى كَلالةٍ ... وشأوه كالبرق حين يلتهبْ

[٤] الأنوار ١/٣١٤-٣١٥.

٨- العبل: ضخمة.

٩- كلالة: الإعياء

[٥]

قال: [مجزوء الرمل]

١- ليس للغربان إنْ صا ... حتْ برَبْع الدار ذنبُ
٢- ولقد سُبِّتْ جِمالٌ ... ظُلِمتْ حين تُسَبُّ
٣- إذْ نأى في السُفنِ الأحـ ... ـبابُ فالْتاعُ المحبُّ
٤- هي غربانُ فِراقٍ ... إذْ بها شُتِّتَ شعبُ

[٥] **الأنوار** ١/٣٨٧.

[٦]

قال في طيب زيارة: [الخفيف]

١- زارني مَن أحبُّ بعد اجتنابٍ ... وفراقٍ له وطولِ عتابِ
٢- فشفى بالوِصالِ والقُربِ قلبًا ... طالما كان في ضنى وعذابِ
٣- بتُّ أشكو إليه ما كنتُ ألقى ... من همومٍ وحسرةٍ واكتئابِ
٤- فرماني مِمَّا رأى من بلاءٍ ... وبكى رحمةً ورَقَّ لِمَا بي

[٦] القطعة في **التبر المسبوك** (مخطوط، ق١١٨).

قافية التاء

[٧]

قال في الخشخاش: [الطويل]

١-وخضراءقدنيطَتعلىحُسنحالها ... بإكليلها لَمَّا استطالت قناتُها
٢- مضمِّنةً حَبَّاتِ دُرٍّ كأنها ... لهم خيرُ ما أُمٍّ وهنَّ بناتُها

[٧] **نهاية الأرب** ١١/٢٥.

[٨]

وقال في وصف النواعير: [الطويل]

١- نزلنا بأكناف العراق فهيَّجتْ نواعيرُه أحزاننا حين حنَّتِ
٢- تَحِنُّ وتسقي الرَّوضَ ريًّا ولم تَذُقْ هوايَ الذي منه دموعي استهلَّتِ
٣- ولم تعرفِ الشوقَ الذي في جوانحي ولا حُرقًا بين الضلوع استكنَّتِ
٤- ولو علِمتْ ما قد لقيتُ ومُلِّكتْ لسانًا لَباحَتْ بالهوى وتشكَّتِ

[٨] **الأنوار** ٢/٥.

١- أكناف العراق: جانبه وظلّه.

[٩]

قال في شكر زيارة: [السريع]

١- أهلاً وسهلاً بك من زائرٍ قد كنتُ مشتاقًا إلى رؤيته
٢- زار فأحيا الناسَ من بعدما كادت تلاقي الموتَ من جفوته
٣- فلم أزل أشرب من ريقه خمرًا وأجني الورد من وجنته
٤- ولم يزل يلحظني ذائبًا حتى اكتسبتُ السُّكرَ من مقلتِه

[٩] الأبيات في **التبر المسبوك** (مخطوط) ق ١٣٧.

[١٠]

قال في رمَّانة: [السريع]

١- يا حُسْنَ رمَّانةٍ تقاسمها كلُّ أديبٍ بالظَّرف منعوتِ
٢- كأنها قبل كسرها كرةٌ وبعد كسرٍ حبَّاتُ ياقوتِ

[١٠] **معجم الأدباء** ١٩٠٩؛ **الوافي بالوفيات** ٢٢/١٦٠.

قافية الجيم

[١١]

وقال: [الطويل]

تـراه عـيـونًـا بـالـنـهـار نـواظـرًا وبعد غروب الشمس أزرار ديباجِ

[١١] ديوان المعاني ٧٤٠.

[١٢]

وقال في فهد: [الرجز]

١- ورَوْضـــةٍ بـــاتَ الحَـيَـا بـهـا لَـهِـجْ
٢- بَـكَـى عـلـى مِـيـث ثَـرَاهـا ونَـسَـجْ
٣- دَمْـعًـا أَعَـــادَ مِـنْـهُ حَـيًّـا مـا دَرَجْ
٤- فـشَـقَّـقَـتْ بُـطُـونَ أَصـــدافٍ نُـتُـجْ
٥- عـن دُرَرِ الـغَـوَّاص ذي الـقَـلْـبِ الـثَّـلِـجْ
٦- بـاكَـرْتُـهَـا والـصُّـبـحُ مـفْـتُـوحُ الـرِّتَـجْ
٧- والـلَّـيْـلُ فِي جَـيْـشِ الـظَّـلام مُـدَّلِـجْ
٨- بـأَفْـطَـسٍ أَرْقَـشَ مَـحْـبُـوكٍ شَـنِـجْ
٩- إِذَا رَأَى الـعُـفْـرَ ولم يُـؤْسَـدْ يَـهِـجْ
١٠- إِلاّ يَـصِـدْ عَـشْـراً تِـبَـاعـاً لا يَـعُـجْ
١١- يَـعُـومُ مِـن غُـبَـارِهِـنّ فِي لُجَـجْ
١٢- بـيـنَـا تَـــرَاهُ قَـامِـسًـا حـتّـى خَـرَجْ
١٣- مـا تُـبْـصِـر الـعَـيْـنَـان مـنـه إِن مَـعَـجْ
١٤- إِلاَّ كَـمَـا عَـايَـنَـتَـا الـبَـرقَ اخْـتَـلَـجْ
١٥- يَـفْـغَـرُ عـن مِـثْـلِ الْمُـدَى لم تَـنْـفَـرِجْ

. . . . . .

١٦- كـأنّـه لـلحـقْـد مَـوْتـورٌ حَـرِجْ

١٧- يَـنظُرُ مـن جَـمْـرٍ ويَشْحَى عـن زَجَـجْ

١٨- يُـعـمـلُ عَـشْـراً مُـوثَـقـات تَـعْـتَـلِـجْ

١٩- حُجنًا متَى تَقْبِضْ على الصَّخْرِ تَشُجْ

٢٠- ثُـمَّ انْـثَـنَـى يَـسْـحَـبُ رُمْـحـاً لم يُـزَجْ

٢١- أَعـرَج لـلـنَّـخْـوةِ مِـنْ غَـيْـرِ عَـرَجْ

٢٢- يَـرْفُـل في ديـبَـاجَـةٍ لم تُـنْـتَـسَـجْ

٢٣- وَشْـيًـا كـمَـا رُصِّـعَ في الـعَـاجِ السَّـبَـجْ

٢٤- يـا حُـسْـنَـه في سُـخْـطِـه إذا سَـمُـجْ

- وفيها في وصف ظبي صاده:

٢٥- عـنَّ لـه أَجْـيَـدُ أَحْـوَى في بَـرَجْ

٢٦- يُغْضي على سِحْرٍ ويَـرْنُـو عن دَعَـجْ

٢٧- مُـتَـوَّجٌ كـمَـا يُـرَى عَـقْـدُ الأَزَجْ

٢٨- بـأَسْـحَـم فـيـه انْـحـنـاءٌ وعَـوَجْ

٢٩- مُـذَلَّـقُ الإِبْـرَةِ مَـفـتـولُ الـدَّرَجْ

٣٠- كـأَنّـه خَـرْطُ هِـلالٍ مِـن سَـبَـجْ

٣١- يَـخْـتَـالُ في مِـشْـيَـتِـه إذا هَـدَجْ

٣٢- بـأَرْبـعٍ مُـرْهَـفَـةِ الخَـلْـقِ خُـلُـجْ

٣٣- فـيـهـا ثَـمَـانٍ حُـذِيَـتْ حَـذْوَ السُّـرُجْ

٣٤- مَـقْـدودةٌ خُـضِـبَ حِـنّـاءَ الـدُّلَـجْ

٣٥- كـأَنّمَـا خـاضَ مِـدَاداً قـد مُـزِجْ

٣٦- دُوِّج غَيْماً فوقَ ظَهْرٍ مُنْدَمِجْ
٣٧- حَتَّى إذا أَفْضَى إلى البَطْنِ انْفَرَجْ
٣٨- منها عن الشَّمْس ولكِنْ لا وَهَجْ
٣٩- مُعَلَّقُ اللِّحيَةِ من فَوْق الشَّرَجْ
٤٠- كأَنَّهَا مِكْنَسةُ العِطْرِ الأَرِجْ
٤١- يذب عن قمراءَ مِطْحارِ الرَّدَجْ
٤٢- بمِثْلِ قَيْدِ الفتْرِ نَضْنَاضٍ مَلَجْ
٤٣- مِثْلِ لِسَانِ الأُفْعُوانِ المُخْتَلِجْ
. . . . . .
٤٤- آمَنُ ما كان معَ الإجْلِ الدُّعُجْ
٤٥- ولم يُرَعْ في سِرْبِه ولم يُهَجْ
٤٦- عانَقَه ثَبْتُ الجَنَانِ والحُجَجْ
٤٧- عِنَاقَ لا صَبَابَةٍ ولا بَهَجْ
٤٨- صاغَ له قِلادَةً من الوَدَجْ

[١٢] **الأنوار** ٢/١٦٨-١٧١

٨- أرقش: مزين. شنج: منقبض في الجلد.

١٢- القمس: الغوص.

١٥- فغر: فتح.

١٧- زججه: دقته وطوله.

٢٥- الأحوى: الأسود.

٢٦- الدعج: سواد العين مع سعتها.

٢٨- أسحم: أسود.

٢٩- ذلق: حدّد.

٣١- الهدج: مشية الشيخ.

٣٢- خلج: جذب وغمز.

٤١- طحر: رمت به.

٤٨- الودج: عرق في العنق.

قافية الحاء

[١٣]

قال: [الوافر]

١- أجيبا دعوة الديك الصَّدوحِ وهُبَّا صاحبيَّ إلى الصَّبوحِ
٢- لنَنعمَ بالمُدام وبالندامى وصوت الناي والعود الفصيحِ
٣- ومعتدل القوام ثقيل ردفٍ دقيق الخصر من تَبَع «المسيحِ»
٤- يدير لنا بعينيه لحاظًا وباليد عاتقًا من عهد «نوحِ»
٥- فتُذهب كفُّه بالراح عقلي وتسلُب عينُه باللحظِ رُوحي

[١٣] بدائع التشبيهات ٢٤٦-٢٤٧ (رقم ٤٥٨)

قافية الدال

[١٤]

وقال في بيت بناه أحد الأمراء: [البسيط]

١- بَنَيْتَ بَيْتًا سَمَا للفَخْرِ مَصْعَدُهُ واحْتَلَّ في ذِرْوَةِ العَلْيَا مُشَيّدُه

٢- قد عَانَقَ الأُفْقَ حتَّى خِلْتَهُ كَلِفًا ... قد طالَ من وَجْده فيه تَلَدُّدُهُ
٣- للنُّور في دَوْره لَعْبٌ ومُؤْتَلَقٌ ... يَعلو ويَنْحطُّ مُسْتَنًّا تَوَقُّدُهُ
٤- كأنّه صارمٌ في كَفِّ مُدَّرِع ... يَسُلُّه في الدُّجَى طَوْراً ويغْمِدُهُ
٥- بَنَاهُ ذو همّة علْماً وهَنْدَسَةً ... عَقْلاً ووَطَّدَهُ فكْرٌ يُرَدِّدُهُ
٦- أَسَاسُه مَجْدُه والجُودُ حَائطُه ... وأَرْضُه فَضْلُه والسَّقْفُ سُؤْدَدُهُ
٧- كأنّه صَرْحُ بلْقيس وقد كَشَفَتْ ... سَاقاً وظَنَّتْهُ ماءً خيفَ مَوْرِدُهُ
٨-أَقُول إذْ كَلَّ وصْفي عنْه واعْتَذَرَتْ ... شَوَاهدُ الحُسْن عنِّي حينَ تَشْهَدُهُ
٩-بَيْتَان في الأَرْض: بَيْتُ الله نَعْرِفُهُ ... ذكْرًا وذا البَيْتُ نَغْشَاه ونَقْصدُهُ
١٠- مُبَارَكٌ عَرَّفَ اللهُ الأَميرَ به ... يُمْنَ الجُلُوس ودَامَتْ فيه أَسْعُدُهُ

[١٤] القطعة في **الأنوار** ٢/٩٣-٩٥؛ و**التبر المسبوك** (مخطوط) ق٦١.

٣- هذا البيت غير موجود في **التبر المسبوك**.

٤- الصارم: السيف القاطع.

[١٥]

قال في وصف الشتاء: [الكامل]

١- ألقى كلاكلَه ببردٍ قارصٍ ... حتى غدا مَنْ في جهنمَ يحسُدُه

[١٥] **محاضرات الراغب** ٤/٤٢٦

١- الكلكل: الصدر

[١٦]

وقال: [م. الكامل]

١- اشرب على زهرِ البنفـ ... ـسجِ قبلَ تأنيبِ الحسودِ
٢- فكأنَّما أوراقُه ... آثارُ قرصٍ في الخدودِ

[١٦] هما في **نهاية الأرب** ٢٢٨/١١ (وفي اسم الشاعر تحريف). وذكر النويري أنهما يُرويان لابن الرومي، وليسا في ديوانه ط. نصار. ونُسبا لابن الشاعر في **اليتيمة** ١٢٥/١. وانظر **المستدرك على ديوان ابن الرومي** ١١٦ (رقم ٢٠) [ما نسب إلى ابن الرومي وإلى غيره]. ونسبا لابن الرومي في **التذكرة الفخرية** ٢٤٣، و**الكشف والتنبيه** ٣٠٦.

[١٧]

قال: [مجزوء الكامل]

١- أغبب زيارتك الصديـ ـقَ يراك كالشيءِ استجدَّه

٢- إن الصديق يملُّ إنْ إذ لا يزال يراكَ عنده

[١٧] **الدر الفريد** (مخطوط) ق ١٧٤/٢. باختلاف وبلا عزو في **الصداقة والصديق** ١٢٠(*).

[١٨]

وقال: [مخلع البسيط]

١- ذَمَّ أُناسٌ غُراب بينٍ إذْ صاح في الرَّبْع بالبِعادِ

٢- والنُّوق ذُمَّت كما عليها يُرتَحلُ الحيُّ والبوادي

٣- والسُّفنُ أولى بالذَّمِّ منها إذ ضُمِّنت سالبَ الفؤادِ

[١٨] الأنوار ٣٨٧/١

[١٩]

قال: [الرمل]

١- اعرف العدل في أمورك وارفضـ ـه إذا ما قصدته لازديادِ

٢- جُز مدى كلِّ مسرفٍ جادَ فالإسـ ـرافُ في الجود غاية الاقتصادِ

٣- لا تدعْ طارقًا فإنْ نفدَ الطارفُ فاعمدْ من بعده للتِّلادِ

[١٩] النتفة في الدر الفريد (مخطوط) ١٩٨/٣.

قافية الراء

[٢٠]

قال في الياسمين الأبيض: [الوافر]

١- شذور زبرجدٍ فيها لآلٍ رطيباتٌ كأمثال الثغورِ

٢- روائحُها تفوق المسكَ طيبًا وتهدي للقلوب جنى السرورِ

[٢٠] بدائع التشبيهات ١٣٩ (رقم ٢١٤)

[٢١]

وقال في الجلنار: [الخفيف]

١- وبدا الجلنارُ مثلَ خدودٍ قد كساها الحياء لون عقارِ

٢- صبغة الله كالعقيق تراه أحمرًا ناصعًا لدى الاخضرارِ

[٢١] اليتيمة ١٢٥/١ [نُسبا لابنه الحسين]، نهاية الأرب ١٠٥/١١.

قافية السين

[٢٢]

قال: [الطويل]

١- وبيدٍ تغشَّاها السَّرابُ كأنها تُنَشَّرُ في أرجائهنَّ الطَّيالسُ

٢- أمالِسُ يَعمى عن هُداه بها القطا إذا قلت بادتْ واصلتها أمالسُ

٣-إذا اجتابَ ركبٌ خفضَها بعد رفعِها حسبتهم غرقى فطافٍ وقامسُ

[٢٢] **الأنوار** ٢/٨٦.

٢- الأملس: الصحيح الظهر.

٣- القمس: الغوص.

[٢٣]

وقال في وصف الأرض المجوَّدة: [البسيط]

١-**الجوُّ يبكي ووجه الأرض مبتسمٌ فالجوُّ في مأتمٍ والأرض في عرسِ**

[٢٣] **التذكرة الحمدونية** ٥/٣٦١.

قافية الطاء

[٢٤]

وله في علي بن محمد الشِّمشاطي يهجوه: [الكامل]

١- **ما للزمان سطا على أشرافنا فتخرّموا وعفا على الأنباطِ؟**
٢- **أعداوةً لذوي العُلى أم همّةً سقطت فمالته إلى السّقّاطِ؟**
٣- **خضعت رقاب بني العداوة إذ رأت آثارها تنقدّ تحت سياطِ**
٤- **حتى إذا ركضت على أعقابها دُلُف النبيط إليّ من شمشاطِ**
٥-**صدق المعلّم إنّهم من أسرة نُجبٌ تسوسهم بنو سنباطِ**
٦-**آباؤك الأشراف إلا أنهم أشراف موشَ وساطح وخلاطِ**

[٢٤] **معجم البلدان** [شمشاط] ٣/٣٦٢.

١- الأنباط: جمع نبط، هم جيل من الناس.

[٢٥]

وقال: [الكامل]

١- ومُـقَـوَّمٌ تَـهْـتَـزُّ أَعْـطَـافُ الـرَّدَى ... في هَـزِّه بـيَـد الحـمَـام مُـثَـقَّـفُ
٢- خَـرِسٌ مَتى شَهِدَ الوَغَى بلِسَانه ... نَطَقَتْ بحُجَّتِه المَنَايَا العُكَّفُ
٣- يَـرْنـو إلـى حَـبِّ الـقُـلُـوب بمُقْلَة ... زَرْقَاءَ أَرْمدَها الرَّدَى ما تَطرِفُ
٤- صَادٍ مَتى يَـرِد النُّفوسَ يَجِدْ بها ... رِيًّـا وتُـصْـدِرُهُ المَنـايَا يَـرْعُـفُ

[٢٥] الأنوار ١/٥٥.

٤- صادٍ: عطش. الرعاف: خرج من أنفه الدم.

[٢٦]

وقال: [البسيط]

١- أصون مالي، وقومٌ من جهالتِهم ... قالوا بخلتَ، ولم أحفلْ بما قالوا
٢- يا قومُ لا تعذلوني إن ضننتُ به ... ما ساد في الناس إلا من له مالُ

[٢٦] الدر الفريد ٢/١٥٢.

[٢٧]

قال في وصف شعره: [الكامل]

١- جاءتك أبكار القريض يقودها ... مـن جـود كـفـكَ قـائـدٌ ودلـيـلُ
٢- نجـديَّـةٌ ألـفـاظـهـا، عـدويـةٌ ... أنـسـابـهـا، بـل فـخـرُهـا مـوصـولُ
٣- قد قُيِّدتْ بعلاكَ وهي سوائر ... ولـهـا عـلـيـك إذا ظـعـنَّ حُـلـولُ

[٢٧] الحماسة الشجرية ٨٠٨.

[٢٨]

قال في الحُجَّاب: [الكامل]

ما زلتَ طلْقَ الوجه فالبادي لمن ... يختارُ بوابًا بوجهٍ مقفلِ

[٢٨] التبر المسبوك ق ١٤٨.

[٢٩]

وقال: [الرجز]

١- ورُبَّ لَيْلٍ جُبْتُهُ غبَّ سُرَى ... بمُشْرِف الكاهلِ مَلْمُومِ الكَفَلْ
٢- نِسْبَتُهُ لأعْوَجٍ ولاحِقِ ... فهو رَبِيطٌ من رِبَاطٍ مُنْتَحَلْ
٣- نَهْدٍ جَمُومِ الشَّدِّ فيه لَقْوَةٌ ... تَنْقَضُّ يَوْمَ الدَّجْنِ خَوْفاً ووَهَلْ
٤- تَرَاه في إقبالِه طَوْداً وفي ... إدبارِه سَيْلاً وعَرْضاً مُعْتَدِلْ
٥- ذي غُرَّةٍ كالصُّبْحِ في داجِيَةٍ ... من الظَّلام أَظْلَمَتْ منه السُّبُلْ
٦- وأَربَعٍ تُخْجِلُ عنْدَ جَرْيِهِ ... رِيحَ القَبُولِ والجَنُوبِ والشَّمَلْ

[٢٩] الأنوار ١/٣٣٣-٣٣٤.

٣- اللقوة: داء في الوجه. والجموم: الكثير.

[٣٠]

وقال في حكاية رواها في كتابه النزه والابتهاج: [المنسرح]

1- يَا فتحُ كم قد مضى من الليلِ ... قُلْ وتجنَّبْ مقالَ ذي المَيْلِ
٢- فعارِضُ النّوم مُسْبِلٌ خُمُراً ... وعارضُ الْمزنِ مسبلُ الذَّيْلِ
٣- والليلُ في الْبَدْرِ كالنهارِ إذا ... أضحت وَهَذَا السَّحابُ كالليلِ
٤- يسكبُ دمعاً على الثرى فترى الـ ... ـماءَ بكلّ الدروب كالسَّيْلِ

٥- والنردُ تُلهي عَن المَنَام إذا الـ فصوصُ جالت كجولة الخَيْلِ
٦- إذا لذيذُ الكَرى تدافعَ عَن وقتِ رُقادٍ أضرَّ بالحَيْلِ
٧- إنَّ أَمير الهيجاء في مأزِقِ الـ حربِ الهمامُ الجوادُ بالقَيْلِ
٨- مَنْ حزبُهُ السعدُ طالعٌ لهمُ وحربُهُ موقنون بالوَيْلِ
٩- نجيبُ أمٍّ لم تَغْذُهُ سيِّئ الـ قَسْمِ وَلَا أَرْضَعَتْه من غَيْلِ
١٠ يحملُ أعباءَ كلِّ مُعضلةٍ تجلُّ أن تُستقلَّ بالشَّيْلِ
١١- أموالُهُ والطعامُ قد بُذلا لآمليهَ بالوزنِ والكَيلِ
١٢- جاوزَ عَمْراً بَأْسًا وقصَّر عَن جودِ يَدَيْهِ الضَّحيانُ ذوالسَّيل
١٣- لَا زَالَ في نعمةٍ مجدَّدةٍ يشربُ صفوَ الغَبوقِ والقَيْلِ

[٣٠] **معجم الأدباء** ١٩٠٨-١٩٠٩؛ **الوافي بالوفيات** ٢٢/١٥٩-١٦٠.

٣- في نسخ **الوافي**: أصبحت. وفي **معجم الأدباء**: أضحى.

٧- في **الوافي**: والقيل: إقواء.

٨- في نسخ **الوافي**: حزبه؛ تصحيف.

[٣١]

وقال: [المنسرح]

١- عَرِّجْ بمغْنَى الصِّبَا وأَطْلالهْ فاسْأَلْهُ عن أُنْسِه وحُلاّلهْ
٢- يا رَبْعُ قد كُنْتَ للصِّبَا وَطَنًا إذْ أَنَا أَختالُ في ذُرَا خَالهْ
٣- فصِرْتَ مَبْكىً لكلِّ ذي شَجَنٍ أَسْعَدَهُ طَرفُهُ بتَهْمَالهْ
٤- لمْ أعتقبْ من رُسُومِ مَنْزلها بعْدَ وُقُوفٍ به وتَسْآلهْ
٥- إلاّ حَنِينًا طَفِقتُ أَبْعثُهُ كأَنَّهُ رَجْعُ حَنَّةِ الوَالِهْ

[٣١] **الأنوار** ٢/٦٥.

قافية الميم

[٣٢]

وقال: [الطويل]

١- مَغَاني الهَوَى هَيَّجْنَ قَلْبًا مُتَيَّمًا ... مُعَنًّى بأَشْجانِ الصَّبَابةِ مُغْرَمَا
٢- وَقَفْتُ على أَطْلالِهَا مُتَرسِّمًا ... فكادَتْ لفَرْطِ الشَّوْقِ أَن تَتكلَّمَا
٣- عُهُودٌ عَهِدْنَاهَا تَشوقُ قُلوبَنَا ... سَقَاهَا عِهَادُ المُزنِ ريًّا ودَيَّمَا
٤- رَبَعْتُ على رَبْعٍ بها ولَطالمَا ... غَنِيتُ بمَغْنَاهُ زَمَانًا تَجَرَّمَا
٥- عفَتْ آيَهُ الأَنواءُ حتَّى تَغيَّرتْ ... مَعَالِمُه بَعْدي وقد كان معْلَمَا
٦- فيالَكَ من رَبْعِ التَّصَابي ومَنْزِلٍ ... خَلاَ اللَّهْوُ منه حين خَلَّيْنَه الدُّمَى
٧- لقَدْ هَمَّ أَن يُبدي السّلامَ صَبَابَةً ... إليَّ ووَجْداً إذْ وَقَفتُ مُسَلِّمَا

[٣٢] **الأنوار** ٢/٦٤-٦٥.

[٣٣]

وقال: [الوافر]

١- أراد زيارتي من غير وعدٍ ... حبيبٌ كان يبخل بالسلامِ
٢- فنَمَّ عليه بالظَّلماءِ نورٌ ... وريح المسك والرَّاح المدامِ
٣- وعاد به سوادُ الليلِ صبحًا ... وهَبَّ النائمون من النيامِ
٤- وقالوا إذ رأوْا شيئًا عجيبًا ... تعالى الله شمسٌ في الظلامِ

[٣٣] القطعة في **التبر المسبوك** ق ١٣٤.

[٣٤]

وقال في الآذِرْيون: [الوافر]

١- وزهر الآذريون به اصفرارٌ من الوجْدِ المبرّح والغرامِ
٢- يحبُّ الشمس لا يبغي سواها ويلحظها بمقلة مستهامِ
٣- إذا غربت تكنّنه اشتياقًا فنام لكي يراها في المنامِ

[٣٤] النتفة في **الكشف والتنبيه** ٣٢٧. والثاني والثالث في **التذكرة البدرية** ق٤٩١. **والنتفة في مباهج الفكر** ق ٤١ (١٠٦أ).

٣- رواية مخطوطة **التذكرة البدرية**:

إذا غربت تكنّفه اشتياقٌ فنام لكي يريها في المنامِ

[٣٥]

وقال: [مجزوء الرمل]

١- بأبي مَن زار وَهنًا بعدَ تهويمِ التهامِ
٢- قاده الشوقُ فلم يُصْغِ لعذلٍ وملامِ
٣- سكْرةٌ من خمرِ عينيـ ـه وأخرى من مُدامِ

[٣٥] الأبيات في **التبر المسبوك** (مخطوط) ق ١٣٤.

[٣٦]

قال في طيب زيارة: [السريع]

١- مهفهَفُ الخصر قويمُ القوامْ أشبهه في الحُسْن بدرُ التمامْ
٢- زار على يأس وحُسَّادنا عن عَيْشه الخَفضِ غُفولٌ نيامْ
٣- فقلت أهلاً بك من زائرٍ نظْرته ساقتْ إليَّ السَّقامْ
٤- ولم يزل يحثُث أقداحًا [...] والليل قد أسبلَ ستر الظلامْ

٥- حتى تغنَّى لي من سكره [...] زاد فكري غرامْ

٦- لا عيشَ إلا في مُجون الصبا فإن تولَّى فمُجون المنامْ

[٣٦] القطعة في **التبر المسبوك** ق ١٣٤.

٤- في البيت نقص.

٥- بياض في أصل المخطوط بمقدار كلمتين.

٦- ينسب البيت لأبي نواس، ولأشجع السلمي في **ديوانه** ٥٥. ونسب في كتاب **الصناعتين** للعطوي (محمد بن عطية) ص ص٢٠٣ و٢٠٤. كما نسب لأبي الشمقمق في **ديوانه** ٨٨ (رقم ٧٢)، باختلاف. وفي هامش التحقيق تخريجات.

قافية النون

[٣٧]

وقال في الياسمين: [الرجز]

١- وياسمين قد بدا لونينِ

٢- قراضة من ورق وعينِ

٣- ركّب في زبرجد نوعينِ

٤- فالبيض منه في عيان العَينِ

٥- مثلُ ثغور البيض غيرَ قينِ

٦- والصُّفرُ مثلُ عاشق ذي بَيْنِ

[٣٧] **الكشف والتنبيه** ٣٢٢؛ **نهاية الأرب** ١١/٢٣٨؛ **مباهج الفكر ومناهج العبر** (مخطوط) ٤٠/١٠٦.

٦- في **نهاية الأرب**: لون عاشق.

قافية الهاء

[٣٨]

وقال في الخرَّم: [البسيط]

١- وخرَّم مثل لون اللازورد جرى منها على فضّة بيضاء جاريها
٢- كأنّهنَّ خدود اللّاطمات ضُحى أو الطّواويس حلّتها خوافيها
٣- ما غمّضت لعيون الشمس أعينُها إلّا على لُمع من نورِها فيها

[٣٨] النتفة في **نهاية الأرب** ١١/ ٢٨٠؛ **والكشف والتنبيه** ٣٤٠-٣٤١؛ **ومباهج الفكر** (مخطوط) ق ١٠٦ب.

[٣٩]

وقال: [الوافر]

١- وعدْتَ زيارتي فصدفتَ عنها كأنك. يا مُناي. ملَلْت منها
٢- وما هذا جزايَ وأنت روحي فإنْ تكُ خالصًا ودًّا فصُنها
٣- وإنك قد ملَلْتَ القلبَ لَمَّا طلعْتَ بطلعةٍ لا صبرَ عنها

[٣٩] **التبر المسبوك** (مخطوط) ق ١٣٧.

قافية الألف اللينة

[٤٠]

وقال في مقصورة عملها على وزن مقصورة ابن دريد الشهيرة: [الرجز]

١- وقارحٍ سَمْحِ القِيَادِ سابحِ عاري النَّسَا عالي الشَّوَى عَبْلِ الشَّوَى
٢- ظَلَّلَه هادٍ وأَوْفَى حارِكٌ وانْجَدَلَ المَتْنَانِ واشْتَدَّ القَرَا
٣- تَقُول إن أَقْبَلَ عَيرُ عَانَةٍ مُرْتَقِيًا على يَفَاعٍ قَدْ عَلاَ

٤- وهْوَ أكبُّ إنْ مَضَى مُوَلِّيًا حتَّى إذا اسْتَعْرَضْتَه قلْتَ اسْتَوَى

٥- نَهْدٌ عَرِيضُ الجَنْبِ فَعْمٌ أَضَمرالـ طِّرَادُ والكَرُّ حَشَاهُ فانْطَوَى

٦- مُحَجَّلُ الأَرْبَعِ زِينَ وَجْهُهُ بِغُرَّةٍ مِثْلِ صَبَاحٍ فِي دُجَى

٧- ذو مَيْعَةٍ يكَادُ فِي إحضَارِه يَخْفَى على ناظِرِه فلا يُرَى

٨- إنْ عَصَفَت من الرِّياح أَرْبَعٌ حَسِبْتَها أَرْبَعَهُ إذا جَرَى

٩- يَهْوِي هُوِيَّ النَّجْمِ فِي انْقِضَاضِه أَوْ أَجْدَلٍ من حالِقٍ قد انْصَمَى

١٠- مُحْتَدِمٌ تَسْمَعُ صَوْتَ وَقْعِه كأَنَّهُ وَقْعُ صَفًا على صَفَا

١١- قَيْدُ الوُحُوشِ لا يَزالُ مُدرِكًا راكِبُه عَفْوًا عليه ما اشْتَهَى

[٤٠] **الأنوار** ١/٣٣٦/٣٣٧.

٥- فعم: امتلأ.

٩- جدله: صرعه.

الهوامش:

(*) د. جليل إبراهيم العطية - باريس.

(١) ترجمة الشمشاطي في:

- **الفهرست**: النديم، تحقيق مصطفى الشويمي، ٦٨٠-٦٨١.
- **الرجال**: النجاشي.
- **الإكمال**: ابن ماكولا ١٤١/٥.
- **الأنساب**: السمعاني ٣٨٦/٧.
- **معجم الأدباء**: ١٩٠٧-١٩٠٩ (رقم ٨١٣).
- **ذيل تاريخ بغداد**: ابن النجار ١٤١/٤-١٤٣.
- **معجم البلدان**: ٣٦٢/٣.
- **المشتبه**: ٣٠٣.
- **الوافي بالوفيات** ١٥٨/٢٢-١٦٠ (رقم ١٠٤)

- **لباب الألباب** : السيوطي.
- **أعيان الشيعة**: العاملي.
- **نوابغ الرواة في رابعة المئات**: آغا برزك.
- **الأعلام**: الزركلي ١٤٣/٥.
- مقدمة كتاب **الأنوار**، بطبعتيه.

(*) **العرب**: يبدو أن هذين البيتين لا تصح نسبتهما للشمشاطي لورودهما في مصادر أقدم منه؛ فقد أوردهما ابن قتيبة (ت٢٧٩هـ) دون عزو في عيون الأخبار (٢٧/٣)، وذكر البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٥٦٨/١٠) بسنده عن النضر بن شميل أن يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) قد أنشده هذين البيتين. كما ورد البيتان في كتاب الموشى (نشر كمال مصطفى، ص٣٤) وهو للوشاء (ت٣٢٥هـ). ويستبعد أن ينقل عن الشمشاطي، وقد توفي قبله بأكثر من خمسين عامًا. وقد نقلهما السيوطي دون عزو في كتابه الازدهار فيما عقده الشعراء من الآثار (تحقيق علي حسين البواب ص٢٦) وفيه تخريج أكثر مما ورد في البحث والتعليق.

والبيت الثاني في جميع هذه المصادر بلفظ:

إِنَّ الصَّدِيقَ يُمِلُّهُ أَنْ لا يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهْ

أ. م. ض

من أفانين العربية في البيان والتبيُّن

أ.د. محمد حسان الطيان(*)

تمهيد

أفانين الكلام: أساليبه وأجناسه وطرقه.

وافتنَّ الرجل في حديثه وخطبته: إذا جاء بالأفانين.

ورجل متفنن: أي ذو فنون.

والأفانين في الأصل: جمع جمع للفَنَن وهو الغصن، وجمعه أفنان، وجمع الأفنان أفانين.

قَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ رَحىً:

لَهَا زِمَامٌ مِنْ أَفَانِينِ الشَّجَرْ

وَفِي الْحَدِيث: «أَهلُ الْجَنَّة مُرْدٌ مُكَحَّلون أُولو أَفانين»؛ يُرِيدُ أُولو شُعور وجُمَم. وأَفانِينُ: جَمْعُ أَفنان، وأَفنانٌ: جَمْعُ فَنَنٍ، وَهُوَ الخُصلة مِنَ الشَّعَرِ، شُبِّهَ بِالْغُصْنِ. وَيُقَالُ: فَنَّنَ فلانٌ رأْيه: إِذَا لَوَّنه وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى رأْيٍ وَاحِدٍ(١).

قال الشاعر:

لهُ في أفانينِ الكلامِ تَصَرُّفٌ ... وفي الشِّعرِ إحسانٌ وفي النَّثرِ إجمال

وكتاب **البيان والتبين**(٢) للجاحظ أحد الموارد التي يُستقى منها الأدب،

وتُكتسب بها الفصاحة، وترتقي بها اللغة، فكم استقامت به ألسنة.. وكم استوت به ملكات.. وكم ارتقت عليه أذواق؟

ولا غرو؛ فهو أحد دواوين الأدب التي ذكرها ابن خلدون في كلمته المشهورة:

«وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين؛ وهي: **أدب الكاتب** لابن قتيبة، وكتاب **الكامل** للمبرد، وكتاب **البيان والتبيين** للجاحظ، وكتاب **النوادر** لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها»[٣].

والحق أن هذا الكتاب يجمع أفانين الأدب المختلفة، وأنواع البيان الساحرة... فما شئت من شعر جميل، ونثر بديع، وخطب فصيحة، وأمثال سائرة، وحكم بليغة، تتوجها آيات بينات من الكتاب العزيز، وأحاديث نضِرة من كلام سيد الفصحاء، عليه أفضل الصلاة والتسليم.

بيد أنه لا يقتصر على الأدب بمفهومه الضيق، بل يتعداه إلى المفهوم العام للأدب، وهو الأخذ من كل علم بطرف، فلا يخلو من كلام في علوم مختلفة كعلم الأصوات، والإحصاء، والمعاجم، وغريب اللغة، والبلاغة، والدلالة... وقد أعان على ذلك أمران اثنان:

أولهما: ثقافة الجاحظ الموسوعية، ومعرفته بعلوم عصره، واطِّلاعه على كثير من العلوم.

وثانيهما: نمط التأليف عند الجاحظ، الذي يعتمد الإطراف والإمتاع، والاستطراد والتشويق فيما يكتب أو يتناول من الموضوعات[٤]. وقد بيَّن الجاحظ هذا النمط بقوله:

«وجه التدبير في الكتاب إذا طال أن يداوي مؤلفه نشاط القارئ له، ويسوقه إلى حظه بالاحتيال له، فمِن ذلك أن يخرجه من شيء إلى شيء، ومن باب إلى باب، بعد أن لا يخرجه من ذلك الفن، ومن جمهور ذلك العلم»[٥].

والمقصـود بالأفانين ما افتنّ به الجاحظ في كتابه هذا من علوم اللغة وفنون الأدب.

وقبـل الشـروع في المقصود لابد أن أسوق طرفًا مـن كلام أهل العلم في هذا الكتاب.

قالوا في البيان والتبين:

١ـ قال المسعودي في **مروج الذهب:**

«وكتـب الجاحظ ـ مع انحرافه المشهـور ـ تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهـان؛ لأنه نظمها أَحْسَـنَ نظم، ورصفها أحسن رصـف، وكساها من كلامه أَجْـزَلَ لفـظ، وكان إذا تخوَّفَ مَلَلَ القارئ وسآمة السامع خرج من جد إلى هزل، ومـن حكمة بليغة إلى نـادرة ظريفة، وله كتب حسان: منها كتاب البيان والتبيين، وهـو أشرفهـا؛ لأنه جمع فيه بـين المنثور والمنظـوم، وغُرَر الأشعـار، ومستحسَن الأخبار، وبليغ الخطب، ما لو اقتصر عليه مقتصر عليه لاكتفى به»[٦].

٢ـ وقال الصفدي في **نصرة الثائر على المثل السائر:**

«وحسبـك بكلام يثني عليه أبو عثمان عمرو الجاحـظ، وهو من أحذق أئمة الأدب، وأعرفهـم بما يقول، وأبصرهم بمدارك العقول، وقوله في مثل هذا حجة، وما قرره في الأبيات هو المحجة.

ومـا أحسن قول القاضي الفاضل: وأمـا الجاحظ رحمه الله فما منا معاشر الكتَّاب إلا من دخل من كتبه الحارة، وشن الغارة، وخرج وعلى الكتف منها كاره.

وقد أُولع الفاضل رحمه الله بذكره في ترسُّله، وذكر تصانيفه، ولو لم يكن له في كتب الأدب إلا كتاب **البيان والتبيين** لكفاه ذلك فخرًا.

ويقـال: ممـا فضل الله به أمـة محمد ﷺ علـى غيرها مـن الأمم: عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسياسته، والحسن البصري بعلمه، والجاحظ ببيانه»[٧].

٣. وقال د. محمود الطناحي في مقال سماه: (أجمل كتاب في حياتي **البيان والتبيين** للجاحظ):

«ويبرز من بين مؤلفات الجاحظ كتابه **البيان والتبيين** معلمًا ضخمًا من معالم كتب العربية، وبابًا واسعًا من أبواب الفكر العربي. ولهذا الكتاب في حياتي أثر ضخم، فهو الذي قادني إلى كتب الجاحظ الأخرى، فقرأتها كلمة كلمة، ولم أتعامل معها تعامل المراجعة الخاطفة، ثم هو الذي جذبني إلى كتب العربية الأخرى، ومن قبل ذلك ومن بعده فهو الذي أذاقني حلاوة البيان العربي، وهو الذي هداني إلى هذه الأنغام الجليلة الفخمة المترقرقة من مختار الكلام: شعرًا موزونًا معقودًا بقواف محكمة، ونثرًا مصقولًا مسنونًا يتهادى بالحرف العربي مشرقًا وضيئًا متسقًا لينصبَّ في السمع، ويتولَّج في القلب، فيحدث تللك النشوة الغامرة، ويُمتع بذلك الطرب المؤنس الودود»[٨].

الأنواع الأدبية في كتاب البيان

١. الفصاحة والبيان

وهو مقصد الكتاب الأول، والغاية التي أُلِّفَ الكتابُ من أجلها، وأُديرَ الكلام عليها، حتى لا تكاد صفحة من صفحات الكتاب تخلو منها، بدءًا من مقدمته، ومرورًا بمحتواه، وانتهاءً بخاتمته. ولعل خير ما يجلو ذلك تلك المقدمة الرائعة التي استهل بها الجاحظ كتابه حيث يقول:

«اللهمّ إنّا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلُّف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من السّلاطة والهذَر، كما نعوذ بك من العيّ والحَصَر. وقديمًا ما تعوَّذوا بالله من شرهما وتضرعوا إلى الله في السلامة منهما»[٩].

وقد بين الجاحظ أهمية ما رمى إليه من تأليف هذا الكتاب بتوضيح منزلة البيان وأهميته وفضله، مدللًا على ذلك بأعظم الأدلة؛ فمن ذلك قوله:

«وذكر اللّٰه تبارك وتعالى جميلَ بلائه في تعليم البيان، وعظيمَ نِعمته في تقويم اللسان، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٨]. ومدح القرآنَ بالبيان والإفصاح، وبحُسن التَّفصيل والإيضاح، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ، وسماه فرقانًا كما سمّاه قرآنًا، وقال: ﴿عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾ [النحل:١٠٣] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ [طه: ١١٣،] وقال: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩] وقال: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٢]»[١٠].

والجاحظ يفصح عن غايته هذه في غير موضع من كتابه؛ كقوله:

«لأنَّ مدار الأمر على **البيان والتبين**، وعلى الإفهام والتَّفهُّم، وكلّما كان اللّسانُ أبْيَنَ كان أحمدَ، كما أنّه كلَّما كان القلبُ أشدّ استبانةً كان أحمد، والمفهمُ لك والمتفهِّم عنك شريكان في الفضل، إلاّ أنّ المفهِم أفضل من المتفهِّم، وكذلك المعلِّم والمتعلِّم، هكذا ظاهرُ هذه القضية، وجمهور هذه الحكومة، إلا في الخاصّ الذي لا يُذكَر، والقليلِ الذي لا يُشهرَ»[١١].

وهو يفرد فصولاً لها ـ أي لهذه الغاية ـ يجعل عنوانها البيان، كالذي نجده في الجزء الأول[١٢]. حيث أفرد بابًا للبيان، استهله بتوضيح معناه، وشرح مصطلحه، ليصل إلى وضع حده بقوله:

«والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل»[١٣].

ثم حصر البيان في أدواته الخمس، فقال:

«وجميع أصناف الدلالات على المعاني، من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها: اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تُسمى نصبة»[١٤].

وشرح كلًا منها مدللًا وموضحًا ومستشهدًا[١٥].

٢. الشعر

أكثر الجاحظ من التمثيل بالشعر والاستشهاد به في كل موضوع طرقه، فلا يكاد الشعر يغيب عن صفحة من صفحات البيان، بدءًا من مقدمته التي تقدمت الإشارة إليها، حيث قال بعدها مباشرة:

«وقديمًا ما تَعَوَّذُوا بالله من شرّهما، وتضرَّعوا إلى الله في السلامة منهما، وقد قال النَّمر بن تولب:

أعِذْني ربِّ من حصَرٍ وعِيّ ... ومن نَفْسٍ أعالجُهَا عِلاجَا

وقال الهُذَليّ:

ولا حَصِرٌ بخُطَبتِهِ ... إذا ما عَزَّتِ الخُطَبُ

وقال مكّيُّ بنُ سَوادة:

حَصِرٌ مُسْهَبٌ جريء جَبانٌ ... خيرُ عِيِّ الرجال عِيّ السُّكوت

وقال الآخر:

مَلِيٌّ ببُهْرٍ والتفَاتٍ وسَعْلةٍ ... ومسحةِ عُثْنونٍ وفتل أصابِع[١٦]

ومرورًا بكل باب من أبواب الكتاب، وانتهاء بخاتمته.

والتمثيل بالشعر عنده قد يقتصر على البيت الواحد، وقد يتعداه إلى البيتين، أو إلى المقطوعة القصيرة، أو النتفة الشعرية، وقلَّما طالت مقطوعاته فتجاوزت عشرة الأبيات، كما صنع عندما ساق الأبيات التي رد بها صفوان الأنصاري على بشار بن برد في تفضيله إبليس على آدم - والعياذ بالله - فقد بلغت أبيات المقطوعة ثلاثةً وثلاثين بيتًا، قدم لها بالقول:

«ولما قام بشّار بعُذر إبليس في أنّ النّار خيرٌ من الأرض، وذكر واصلًا بما ذكره به، قال صفوانِ:

زَعمتَ بأنّ النارَ أكرمُ عنصرًا ... وفي الأرض تَحْيا بالحجارة والزَّنْد

وتُخْلَق في أرحامها وأَرومها ... أعاجيبُ لا تُحصَى بخَطٍّ ولا عَقْد»[١٧]

والقارئ لما تمثل به الجاحظ من الشعر، يلحظ بديع اختياره، وحسن تمثيله، وبراعة انتقائه، ولا غرْو فهو العليم بالشعر، البصير بروائعه، الذواق لمحاسنه.

من ذلك ـ والأمثلة كثيرة لا تحصى ـ تمثُّله بأبيات المُنَخَّلُ اليَشكُرِيُّ:

ولقد شربتُ من المدَا ... مة بالقليل وبالكثير

ولقد شربتُ من المدَا ... مَة بالصَّغير وبالكبير

ولقد شربتُ الخمرَ بالـ ... خَيلِ الإناث وبالذكور

فإذا سَكِرْتُ فإنَّني ... رَبُّ الخورْنَقِ والسَّدير

وإذا صَحَوْتُ فإنني ... رَبُّ الشّويَهةِ والبعير

يا رُبَّ يومٍ لِلْمُنَـ ... ـخَّلِ قدْ لها فيه قَصير[١٨]

وهو إذا ما تمثل ببيت أو أبيات لقضية من القضايا، فلمح فيما استشهد به معنى طريفًا أو لفظًا جميلاً، استبدَّ به ذاك المعنى أو ذلك اللفظ، فراح يستشهد له بما يحضره من شعر تاركًا أصل القضية التي كان معنيًّا بها.

فمن ذلك ما لمحه في أبيات المنخل السابقة من قصته مع المتجرِّدة امرأة النعمان بن المنذر، التي قيل إنه قتله لعشقها له، فراح يتمثل بأبيات تومئ إلى تلك القصة؛ إذ قال:

«وقال بعضهم لزائرٍ له ورآه يُومِئ إلى امرأته، وهو أبو عَطاءٍ السنديّ:

كُلْ هَنيئًا وما شَرِبْتَ مَريئًا ... ثمْ قُم صاغرًا فغَيْرُ كَريم

لا أُحِبُّ النَّديمَ يُومِضُ بالعَيْـ ... ـنِ إذا ما خلا بعِرْسِ النديم

وقال الآخر، وتعرّضت له امرأة صاحبه:

رُبَّ بيْضاءَ كالقضيبِ تَثَنَّى ... قد دعتْني لوَصْلِها فأبيْت

لـيـس شـأني تحـرُّجًـا غـيْرَ أني كنتُ نَـدْمـانَ زوجِـهـا فاستحَيتُ

وقال الآخر:

فـلا واللّه لا أُلْـفَـى وشَـرْبًـا أُنَـازِعـهـم شـرابًـا مـا حَـيـيتُ
ولا واللّه مـا أُلـفَـى بـلَـيْـلٍ أُراقِـبُ عـرْسَ جـاري مـا بَقيتُ
سـأتـرُكُ مـا أخـافُ عَـلَـيَّ منـهُ مَـقـالـتَـهُ وأجْـمَـلُـهُ السُّكوتُ
أبَـى لِي ذاكَ آبـاءٌ كـرامٌ وأجـدادٌ بمـجْـدِهـمُ رَبـيـتُ»[19]

وهـي - كما ترى - من كريم الخلال التـي يتغنَّى بها كل حرٍّ أبِيٍّ، وتأمر بها كل مروءة أصيلة، إنها العفة النبيلة التي ذكرها عنترة في بيته المشهور:

وَأَغـضُّ طَـرفِي مـا بَـدَت لي جارَتـي حَتّى يُـواري جارَتـي مَـأواهـا[20]

ومن جميل ما تمثَّل الجاحظ به أبيات الأضبَط بن قُرَيع:

لِـكـلِّ هَـمٍّ مِـن الـهـمُـوم سَـعَـهْ والمُسْـيُ والصُّبحُ لا فَـلاحَ مَعَهْ
فَصِلْ حِبالَ البَعيدِ إنْ وَصَلَ الْـ ـحَبْلَ وأَقْصِ القريبَ إنْ قَطَعَهْ
وخُـذْ مِـن الـدَّهـر مـا أتَـاكَ به مَـن قَـرَّ عـينًـا بعيشه نفعَهْ
لا تَحْـقِـرَنّ الفقير عَـلَّـكَ أنْ تَـركَـعَ يـومًـا والـدَّهـرُ قد رَفَعْه
قـد يَـجـمَـعُ المـالَ غـيرُ آكِـلِـه ويـأْكـلُ المـالَ غـيرُ مَـن جَمَعه[21]

وهـي قطعة مـن بديع الشعر ونديِّـه، فاضت بها نفس شاعـر سموح، خالط الدنيا، وقاسى المحن والأهوال، وعرك الدهر وعركه، فانطلق لسانه بحِكَم سرت مسرى الأمثال، وخلدت على وجه الزمان، استهلها بتخفيف الهم عن كل مهموم، وتنفيس الكـرب عن كل مكروب، ثم راح يدعو إلى كل ما من شأنه أن يجعل المرء سعيدًا، من وصلٍ للحبل، ورضًا بما قسم الله من العيش، ومداراة للفقير، وبسط الجنـاح له، ليختم بحكمـة بالغة تُقرر أن المرء قد يجمع مـالاً لا يأكله، وقد يأكل مالاً لم يجمعه، وتلكم هي الحياة...

وقـد جرّه إلى التمثل بهذه القطعـة النفيسة معنى انقضاء الشباب ومداهمة المشيـب، وكان قد ساق لـه من الأبيات ما يحسُن ذكره ويطرب وقعه، كقول حَجْلِ ابن نضْلة:

ويـلُ امِّ[٢٢] لـذَّات الشَّـباب مَعيشةً ... مع الكُثْرِ يُعطاهُ الفتى المُتْلفُ النَّدِ
وقد يَقصُرُ القُلُّ الفتَى دُونَ هَمِّه ... وقد كانَ لوْلا القُلُّ طَلاَّعَ أنجُدِ

وقول الآخر:

قـامَـتْ تَـخـاصِـرنُي بـقُـبَّـتِـهـا ... خَـــوْدٌ تـأطَّـرُ غـــادةٌ بِـكـرُ
كـلٌّ يَـــرى أنّ الـشّـبـابَ لَـه ... فِي كـلِّ مُـبْـلِـغِ لـــذَّةٍ عُـــذْرُ

وقـول سعد بن ربيعة بـن مالك بن سعد بن زيد منـاة، وهو من قديم الشعر وصحيحه:

ألاَ إنّمـا هـذا الـسُّـلالُ الـذي تَـرى ... وإدْبـارُ جسمي مِـنْ رَدَى العَثرات
وكـم مـن خَـليـلٍ قـد تجـلَّـدْتُ بَـعـدَهُ ... تَـقـطَّـعُ نفسي بَـعـده حَـسَـرات[٢٣]

وتدبـرْ معي نعت الجاحظ لهذا الشعر بـ«قديم الشعر وصحيحه»، ثم ارجعِ البصـر فيه يتبنْ لك صـدقُ نعته، ودقة وصفه، فالبيتـان نفثة محزون تردّى بعد قـوة، واعتـلّ بعد صحـة، وفارق أحبابـه بعد طول وصْـل وألفـة، فتقطّعت نفسه حسرات، وداخله الوهن والضعف والمرض من كثرة ما لقي من العثرات.

٣. المقَطَّعات

لعل أجمل ما في البيان، تلك الكلمات البليغات التي حشا بها الجاحظ كتابه، واحتشـد لها بكل ما يملك من رواية ودراية، وحفـظ وإسناد، وسماها: «مقَطَّعات كلام العرب الفصحاء»[٢٤].

وهي - والحق يقال - لبُّ الكتاب وقلبُه، وزينتُه وحَلْيُه، لا تكاد ورقة من أوراقه تخلو منها، وما أحسبني مبالغًا إن زعمت أنها تفوق الشعر فصاحة وبيانًا، ووقعًا وجرسًا، وبلاغة وحسًّا، فقد جمعت بين الإيجاز والإحكام، وعبرت بقليل الألفاظ

عن عظيـم المعاني والأفكار، وبيسير التراكيب عن جميـل الدلالات، وأغنت فيها الإشارة عن العبارة، واللمح عن البسط والشرح.

ولا ريـب أن ما كان ذلـك وصفه تهفو إليه النفوس، وتعشقه القلوب، وتهشُّ لـه الأسماع، ويقع في النفس موقعًا لا يزاحمـه موقع. وقد عبر الجاحظ عن هذا أجمل تعبير عندما قال:

«ورُبّ قليـل يغني عن الكثير، كمـا أن رُبّ كثير لا يتعلق به صاحب القليل. بل رُبَّ كلمـة تغني عن خطبة، وتنـوب عن رسالة. بل رُبَّ كنايـة تربي على إفصاح، ولحظٍ يدل على ضمير، وإن كان ذلك الضمير بعيد الغاية، قائمًا على النهاية.

ومتـى شاكل - أبقاك الله - ذلـك اللفظ معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحـال وفقًا، ولذلـك القدر لفقًا، وخرج من سماجة الاستكـراه، وسلم من فساد التكلـف، كان قمينًا بحسن الموقـع، وبانتفاع المستمع، وأجـدر أن يمنع جانبه من تنـاول الطاعنـين، ويحمي عِرضـه من اعتراض العائبين، وألا تـزال القلوب به معمورة، والصدور مأهولة.

ومتـى كان اللفـظ أيضًـا كريمًا في نفسه، متخـيرًا من جنسـه، وكان سليمًا مـن الفضول، بريئًا مـن التعقيد، حُبّب إلى النفوس، واتصـل بالأذهان، والتحم بالعقـول، وهشّت إليـه الأسماع، وارتاحت لـه القلوب، وخفّ علـى ألسُن الرواة، وشـاع في الآفاق ذكره، وعظُم في الناس خطره، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس، ورياضة للمتعلم الريّض»[٢٥].

ولعـل خير مثـال لهذا كلِّه ما ساقه الجاحظ مـن حديث رسول الله ﷺ الذي أسس لسحر البيان، وجرى كل من تغنَّى بالبيان على أثره، وهذا نصه:

«لأنّ النبـيَّ عليه السلام لما سأل عمرَو بنَ الأهتم عن الزِّبرقان بن بدر قال: مانعٌ لحَوْزتِه، مطاعٌ في أدْنَيه.

فقال الزّبرقان: أما إنَّه قد علِمَ أكثر ممَّا قال، ولكنَّه حسَدني شرفي.

فقال عمرو: أمَا لئنْ قال ما قال، فواللَّه ما علمتُه إلاّ ضَيِّق الصدر، زَمِرَ المروءة، لئيمَ الخال، حديث الغِنَى.

فلما رأى أنه خالف قولُه الآخرُ قولَه الأوَّلَ، ورأى الإنكار في عَيْنَيْ رسول اللَّه، قال: يا رسول اللَّه، رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ، وغضِبتُ فقلتُ أقبَحَ ما علِمتُ؛ وما كذَبْتُ في الأولى، ولقد صَدَقْتُ في الآخِرة.

فقال رسول اللَّه ﷺ عند ذلك: إنّ من البيان لسِحْرًا[٢٦]».

ومن جميل هذا الباب كلمة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه، وقد رواها الجاحظ وعلق عليها تعليقًا يحسُن أن نورده بلفظه:

وقال علي رحمه الله: «قيمة كل امرئ ما يحسن». فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة، لوجدناها شافية كافية، ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصِّرة عن الغاية. وأحسن الكلام ما كان قليلُه يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشَّاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه، وتقوى قائله. فإذا كان المعنى شريفًا واللفظ بليغًا، وكان صحيح الطبع، بعيدًا من الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال، مصونًا عن التكلُّف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة. ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة»[٢٧].

- ولو رحت أسرد أمثلة مما أورده الجاحظ في هذا الباب، لما وسعني هذا البحث، فالأمر أوسع من أن يدرَك أو يحاط به، ولكن حسبي أن أُمثِّل ببضعة أخبار اشتملت على عصارة منها لتكون منبهة على ما وراءها:

- قال عمر بن ذرّ، رحمه الله: «اللّه المستعان على ألسنةٍ تَصِف، وقلوبٍ تَعْرِف، وأعمالٍ تُخْلِف»[٢٨]

– ووصف أعرابي رجلًا، فقال: «صغير القدر، قصير الشَّبر[٢٩]، ضيّق الصدر، لئيم النَّجْر، عظيم الكِبْر، كثير الفَخْر»[٣٠]

– «وقيل لرجل، أُراه خالدَ بنَ صفوان: مات صديق لك! فقال: رحمة الله عليه، لقد كان يملأ العين جمالاً، والأذن بيانًا، ولقد كان يُرجى ولا يَخْشى، ويُغْشى ولا يَغْشَى، ويُعْطِي ولا يُعْطَى، قليلًا لدى الشرِّ حضورُه، سليمًا للصديقِ ضميرُه»[٣١].

وقد يفرد الجاحظ لهذه المقطَّعات فصلًا على حِدة، من نحو ما صنع في الجزء الثاني بعد إيراده نماذج من الخطب؛ إذ أورد جملة من مقطَّعات الكلام، سأقتصر على إيراد نماذج منها.

– قال أبو الحسن المدائني: قدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلّب بن أبي صفرة، في بعض أيامه مع الأزارقة، فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم، فقال: «شدّ الله الإسلام بتلاحقكم، فوالله لئن لم تكونوا أسباط نبوة، إنكم لأسباط ملحمة»[٣٢].

– وقال أبو الحسن: دخل الهذيل بن زُفر الكلابي، على يزيد بن المهلب في حَمالات لزمته، ونوائبَ نابته، فقال له:

«أصلحك الله، إنه قد عظُم شأنك، وارتفع قدرك أن يستعان بك، أو يستعان عليك. ولستَ تفعل شيئًا من المعروف إلا وأنت أكبر منه. وليس العجب من أن تفعل، ولكن العجب من أن لا تفعل». قال يزيد: حاجتك. فذكرها، فأمر له بها، وأمر له بمائة ألف، فقال: أمَّا الحَمالات، فقد قبلتُها، وأما المال فليس هذا موضعه»[٣٣].

– قال: وقيل لعقيل: لم لا تطيل الهجاء؟ قال: «يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق»[٣٤].

– وقال جرير: «الخَرَسُ خير من الخِلابة».

– وقال أبو عمر الضرير: «البكم خير من البذاء»[٣٥].

– قـال الأصمعي: قال عيسى بـن عمر: قال ذو الرمة: قاتل اللّه أَمَةَ آل فلان ما كان أفصحَها! سألتها كيف المطر عندكم؟ فقالت: «غثنا ما شئنا»[٣٦].

٤. الخطب

تحتل الخطـب في كتاب البيان مكانة متميزة؛ فقد أفرد لها الجاحظ الجزء الثاني ـ أو كاد ـ بُغية الرد على الشعوبيين في طعنهم على خطباء العرب وملوكهم، وإن لم تخـلُ أجـزاء الكتـاب الأربعـة من خطـب متناثرة، وكلام علـى الخطابة وأصولها وأعلامها.

وقـد تكلم الجاحـظ على صفات الخطيـب، وعيوبه، وأنـواع الخطب، وبناء الخطبـة، وشكلها، وأسهب في الكلام علـى شرط البلاغة في الخطبة، وهي تعني إبـلاغ المعنى إلـى السامع بكلام واضـح فصيح موافق لمقتضى الحـال. ورأى أن العرب أخطب الأمم قاطبة، لحضور بديهتهم وذرابة لسانهم، وفطرتهم المطبوعة بلاغة في الخطبة.

ولعـل أجمـل تلخيص لأركان الخطابـة وشروطها ما حكاه عـن أبي دُوَاد بن حَريز؛ حيث قال: «تلخيص المعاني رِفْقٌ، والاستعانة بالغريب عَجْز، والتَّشادقُ من غير أهل البادية بُغْض، والنَّظَر في عيون النَّاس عيّ، ومَسُّ اللِّحية هُلْك، والخروجُ ممَّـا بُنِي عليـه أوَّلُ الكلام إسهاب، قـال: وسمعتُه يقول: رأس الخَطابة الطبْع، وعَمُودُهـا الدُّربـة، وجناحاهـا رواية الـكلام، وحَلْيُهـا الإعـراب، وبهاؤُها تَخيُّر الألفاظ، والمحبَّة مقرونةٌ بقلّة الاستكراه، وأنشدني بيتًا له في صفة خطباء إياد:

يَـرمُـون بـالخُـطـب الـطّـوال وتـارةً وَحْيَ المَلاَحِظ خِيفةَ الرُّقَباء»[٣٧]

ونبـه الجاحظ على مكانة الخطيب الخطيرة التـي بدأت ترتفع منذ العصر الأمـوي، بينمـا أخذت مكانة الشاعر تنحطُّ. وعزا ذلك إلـى اتخاذ الشعر مطيةً للتكسـب، وإلـى تعاظُم شـأن الخطابة للحاجة إليهـا ولمعالجتها أمـورًا سياسية ودينية خطيرة. وأوضح ذلك بقول أبي عمرو بن العلاء:

«كان الشاعـر في الجاهلية يُقـدَّم على الخطيب لفرط حاجتهـم إلى الشعر

الـذي يقيد عليهم مآثرهـم ويضخم شأنهـم ويهول على عدوهـم ومن غزاهم، ويهيـب في فرسانهم ويخوف مـن كثرة عددهم ويهابهـم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهـم. فلما كثر الشعر والشعراء واتخـذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر»[٣٨].

وقد تخيَّر ـ في الجزء المذكور ـ عشرات الخطب، فعرضها تباعًا، بادئًا بخطب الرسـول ﷺ، ولاسيمـا خطبة الـوداع، مثنِّيًا بخطب الخلفـاء الرشدين: أبي بكر وعمـر وعثمان وعلـي رضي الله تعالى عنهـم، ومقفِّيًا بخطب بعض الأصحاب؛ كمعاويـة وابـن مسعود، وبعض الخلفاء الأمويـين؛ كعمر بن عبـد العزيز ويزيد ابن الوليـد، وخطب بعض الولاة؛ كالحجاج وزياد، وبعض خطباء الخوارج؛ كأبي حمزة الخارجي وقطري بن الفجاءة.

هذا وقد استهل ذلك كله ببيان أنواع الخطب، فقال:

«وعلى أن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تُبتَدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد (البتراء).

ويسمون التي لم توشَّح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي ﷺ: (الشوهاء).

وقـال عمران بن حطّان: خطبت عند زياد خطبـة ظننت أني لم أقصّر فيها عن غاية، ولم أدع لطاعن علة، فمررت ببعض المجالس، فسمعت شيخًا يقول: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن.

وخطب أعرابي، فلما أعجله بعض الأمر عن التصدير بالتحميد، والاستفتاح بالتمجيـد، قال: أما بعد، بغـير ملالة لذكر الله، ولا إيثار غـيره عليه، فإنّا نقول كذا، ونسأل كذا، فرارًا من أن تكون خطبته بتراء أو شوهاء.

وقـال شبيـب بن شيبة: الحمد لله، صلّى الله على رسـول الله. أما بعد، فإنّا نسأل كذا، ونبذل كذا»[٣٩].

وللجاحـظ كلام طويـل في غـير مـا موضع من كتابـه على الفرق بـين أنواع الخطب، وبم يختص كل منها؛ كقوله:

«فأمـا الخطب بـين السماطين[٤٠]، وفي إصـلاح ذات البين، فالإكثار في غير خطل، والإطالة في غير إملال، وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته.

كأنـه يقـول: فرق بين صدر خطبـة النكاح وبين صدر خطبـة العيد، وخطبة الصلـح وخطبة التواهب[٤١]، حتـى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه، فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعت.

قـال: فقيـل له: فإنّ ملَّ السامـع الإطالة التي ذكرت أنهـا حق ذلك الموقف؟ قـال: إذا أعطيـت كلّ مقام حقـه، وقمت بالـذي يجب من سياسـة ذلك المقام، وأرضيـت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لمـا فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنـه لا يرضيهما شيء. وأما الجاهل فلست منه وليس منك. ورضا جميع الناس شيء لا تناله. وقد كان يقال: رضا الناس شيء لا يُنال.

قـال: والسنّة في خطبة النـكاح أن يطيل الخاطب ويقصـر المجيب. ألا ترى أن قيـس بن خارجة بن سنان لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخّرة راحلتي الحاملين في شـأن حمالة داحس والغـبراء، وقال: ما لي فيها أيهـا العَشَمتان[٤٢] ؟ قالا له: بـل مـا عندك؟ قال: عنـدي قِرى كلّ نـازل، ورضا كل ساخـط، وخطبة من لدن تطلـع الشمس إلى أن تغرب، آمِـر فيها بالتواصل وأنهى فيها عن التقاطع؟ قالوا: فخطـب يومًا إلـى الليل، فما أعاد فيهـا كلمة ولا معنى. فقيـل لأبي يعقوب: هلا اكتفـى بالأمر بالتواصل عن النهي عن التقاطـع؟ أوَليس الأمر بالصله هو النهي عـن القطيعة؟ قـال: أوَما علمت أن الكناية والتعريـض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف»[٤٣].

وسأقتصر بالتمثيل ببعض قصار الخطب التي وردت في البيان:

- خطبة لعلي بن أبي طالب

«أما بعد، فإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطّـلاع. وإن المضمار اليوم والسباق غـدًا. ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل،

فمن أخلص في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله، ولم يضرره أمله، ومن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله، فقد خسر عمله، وضره أمله.

ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة. ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها. ألا وإنه من لم ينفعْه الحق يضرَّه الباطل، ومن لم يستقم به الهدى يجُرّ به الضلال. ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودُللتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل»[٤٤].

- خطبة الأحنف بن قيس

«قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه:

يا معشر الأزد وربيعة، أنتم إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الصهر، وأشقاؤنا في النسب، وجيراننا في الدار، ويدنا على العدو. والله لأزُد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام. فإن استشرى شنآنُكم وأبى حَسَكُ صدوركم[٤٥]، ففي أموالنا وسَعة أحلامنا لنا ولكم سَعة»[٤٦].

- خطبة الحجاج

«اللهم أرني الهدى هدى فأتبعَه، وأرني الغيّ غيًّا فأجتنبَه، ولا تكلني إلى نفسي، فأضلَّ ضلالاً بعيدًا. والله ما أحب أنَّ ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء»[٤٧].

٥- الأمثال

والأمثال اختصار للفصاحة، وتمثيل للبلاغة في أجمل صورها، وقديمًا عُرِّفت البلاغة بأنها الإيجاز، وما ثَمَّةَ أوجزُ من مَثَل.

قال إبراهيم النظام: «يجتمع في المثَل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسن التشبيه، وجودة الكناية؛ فهو نهاية البلاغة».

وقال ابن المقفع: «إذا جُعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث»[٤٨].

ومن ثم عُني الجاحظ بإيراد الأمثال، وهو تارةً يذكرها في سياقها الزمني،

أي في موردها، وخبرها الذي أطلقت منه، وتارةً يسوقها تدليلاً على قضية ذكرها، أو استشهادًا لأمر تناوله.

فمن النوع الأول قوله:

- «ولما دخل ضَمْرة بن ضَمْرة على النُّعمان بن المنذر، زَرَى عليه، للذي رأى من دَمامته وقصَره وقلّته، فقال النُّعمان: تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيِّ لا أنْ تراه، فقال: أبيتَ اللّعنَ، إنّ الرّجالَ لا تُكال بالقُفْزان، ولا تُوزَن بالميزان، وليست بمُسوك [٤٩] يُستَقَى بها، وإنَّما المرء بأصغريه: بقلبه ولسانه، إن صالَ صال بِجَنَانٍ، وإنْ قال قال ببَيان»[٥٠].

- «وضرارُ بن عَمرو، هو الذي قال: مَنْ سَرّه بنوه ساءته نَفْسه، وهو الذي لما قال له المنذر: كيف تخلَّصت يومَ كذا وكذا، وما الذي نجّاك؟ قال: تأخيرُ الأجل، وإكراهي نَفْسي على المُقِّ الطوال، المقَّاء: المرأة الطويلة، والمقُّ: جماعة النساء الطوال، والمُقّ أيضًا: الخيل الطِّوال، وكان إخوته قد استشَالُوه حتّى ركب فرسَه ورفع عقيرتَه بعُكاظ، فقال: أَلاَ إنّ خيرَ حائل[٥١] أُمٌّ فزوِّجوا الأمَّهات، وذلك أنه صُرِع بين القَنَا، فَأَشْبَلَ[٥٢] عليه إخوتُه لأمِّه حتّى أنقذوه»[٥٣].

- وقال حُباب بن المنذر يوم السقيفة:

- «أنا جُذَيلُها المحكَّك، وعُذَيقُها المُرَجَّب[٥٤]، إن شئتم كررناها جَذَعة[٥٥]. منَّا أمير ومنكم أمير، فإن عمل المهاجري شيئًا في الأنصاري رد ذلك عليه الأنصاري، وإن عمل الأنصاري شيئًا في المهاجري رد عليه المهاجري»[٥٦].

ومن النوع الثاني قوله:

- وقالوا في المثل: «الليل أخفى للويل»[٥٧].

- وفي المثل المضروب: «كلُّ مُجْرٍ في الخلاءِ مُسَرٌّ»[٥٨]، ولم يقولوا مسرور. وكلٌّ صواب.

- ويقولون: «ما أشبه الليلة بالبارحة»[٥٩]، كأنهم قالوا: ما أشبه زمان يوسف ابن عمر بزمان الحجاج.

- وقال الأضبط بن قريع: «بكل واد بنو سعد»[٦٠].

على أنه ساق طائفة أخرى من الأمثال المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[٦١]، وذلك في مطلع الجزء الثاني الذي استهله بالكلام على بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم وفصاحته، حيث قال:

- «وسنذكر من كلام رسول الله ﷺ، مما لم يسبقه إليه عربي، ولا شاركه فيه أعجمي، ولم يدّع لأحد ولا ادّعاه أحد، مما صار مستعملاً ومثلاً سائرًا. فمن ذلك قوله: «يا خيل الله اركبي»، وقوله: «مات حتفَ أنفه»، وقوله: «لا تنتطح فيه عنزان»، وقوله: «الآن حمي الوطيس»[٦٢].

علوم العربية في كتاب البيان

١- فقه اللغة

ويمكن أن ينضوي تحت هذا كل ما تطرق إليه الجاحظ من مباحث تتصل باللغة ونشوئها، وفلسفتها، وترجمتها، وتعلمها، وتطور دلالاتها، ونشوء مصطلحات لغوية للعلوم الجديدة، واللحن اللغوي، والإحصاء اللغوي، والصوت اللغوي، وتنافر الحروف، واللثغة وما يتصل بها من مباحث...بيد أني آثرت أن أفرد كل ما تعلق بعلم الصوت على حدة، وأتناول هنا سائر مباحث فقه اللغة.

وأول هذه المباحث الكلام على نشوء العربية، والحق أنه ليس مبحثًا، بل شذرات متناثرة تشي بأن الجاحظ يذهب إلى التوقيف في أمر اللغة، فمن ذلك فصل عقده بقوله:

- «القول في إنطاق الله عزّ وجلّ إسماعيلَ بن إبراهيمَ عليهما السلام بالعربيَّة المُبينة على غير التَّلقين والتَّمرين، وعلى غير التَّدريب والتَّدريج، وكيف صار عربيًّا أعجميَّ الأبوين، وأوّل مَن عليه أن يُقرّ بهذا القَحطانيّ، فإنه لا بدَّ من أن يكون له أبٌ كان أوَّلَ عربيٍّ من جميع بني آدم ﷺ، ولو لم يكن ذلك كذلك، وكان لا يكون عربيًّا حتى يكون أبوه عربيًا وكذلك أبوه وكذلك جدُّه، وكان ذلك موجبًا لأن يكون نوحٌ ﷺ عربيًّا، وكذلك آدمُ ﷺ».

- «قال أبو عبيدة: حدثنا مسمع بن عبد الملك عن أبي جعفر محمد بن علي

ابـن الحسين عـن آبائه، قال: أول من فتق لسانه بالعربيـة المبينة إسماعيل، وهو ابن أربع عشرة سنة»[٦٣].

– «وروى قيـس بن الربيع، عـن بعض أشياخه عن ابن عباسـ: إن الله ألهم إسماعيل العربية إلهامًا»[٦٤].

– وقـد علمنـا أن الخُرْسـ والأطفـال إذا دخلوا الجنـة وحُوّلـوا في مقادير البالغـين، وإلى الكمال والتمام، لا يدخلونهـا إلا مع الفصاحة بلسان أهل الجنة. ولا يكون ذلك إلا على خلاف الترتيب والتدريج والتعليم والتقويم.

– وعلى ذلك المثال كان كلام عيسى بن مريم ﷺ في المهد، وإنطاق يحيى عليه السلام بالحكمة صبيًّا.

– وكذلـك القـول في آدم وحواء عليهما السلام. وقـد قلنا في ذئب أهبان بن أوس، وغراب نوح، وهدهد سليمان، وكلام النملة، وحمار عُزير، وكذلك كل شيء أنطقه الله بقدرته، وسخَّره لمعرفته»[٦٥].

وفي اختلاف بعض اللهجات العربية والموازنة بينها يقول الجاحظ:

«قـال أهل مكّةَ لمحمد بن المُنـاذر الشاعر: ليست لكم معاشـرَ أهل البصرة لغـةٌ فصيحة، إنّما الفصاحة لنا أهلَ مكّة، فقال ابن المُناذر: أمّا ألفاظُنا فأحْكَى الألفـاظ للقـرآن، وأكثرُها له موافقةً، فضَعُوا القرآنَ بعد هـذا حيثُ شِئتم، أنتم تُسمُّـون القـدر بُرْمَة وتجمعون البُرمة على بِرَام، ونحـن نقول قدر ونجمعها على قُـدور، وقـال اللّه عـز وجـل: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سبأ:١٣]، وأنتم تسمُّـون البيت إذا كان فـوق البيت عُلِّيَّةً، وتجمعون هذا الاسم على عَلالـيّ، ونحن نسمِّيـه غرفة ونجمعها على غُرفات وغـرف، وقال اللّه تبارك وتعالى: ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر:٢]، وقال: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧]...»[٦٦].

وفي تأثير اللغات الأجنبية على العربية يقول:

«ألا تـرى أنّ أهلَ المدينة لَمَّا نزل فيهم ناسٌ من الفُرْس في قديم الدّهر عَلِقُوا

بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمُّون البطِّيخ: الخِرْبِز، ويسمُّون السميط: الرَّزْدَق، ويسمُّون المَصُوص: المَزُور، ويسمون الشِّطرنج: الأشْتَرَنْج، في غير ذلك من الأسماء. وكذلك أهلُ الكوفة؛ فإنّهم يسمُّون المِسحاة: بال، وبَالْ بالفارسيّة»[٦٧].

٢- علم الصوت

يستوقف الباحثَ في كتاب **البيان** وقفاتٌ في علم الصوت، قد لا يجدها في غيره من الكتب المتخصصة بهذا المجال، وهي وقفات عابرة أحيانًا، يدعو إليها استطرادٌ ما، ومتأنية أحيانًا تُقصد لذاتها، ويكثر الكلام عليها، حتى ليصح أن يقال إنها محور رئيسي من محاور الكتاب.

فمن النوع الأول: كلامه على الصوت، الذي يعد قوام اللفظ، فكل لفظة تتألف من مجموعة مقاطع، وكل مقطع يتألف من مجموعة حروف، وكل حرف عبارة عن صوت. والصوت ينتج عن حركات اللسان في الفم. يقول الجاحظ موضحًا ذلك: «والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظًا ولا كلامًا موزونًا أو منشورًا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلامًا إلا بالتقطيع والتأليف»[٦٨].

ومن ذلك كلامه على تنافر بعض الحروف في العربية، وهو- أي التنافر - بحث صوتي في غاية الدقة، كنت قد جمعت له ما استطعت الوصول إليه من كتب اللغة والمعجمات وكتب علم التعمية[٦٩]، لأصنع من ذلك أساسًا لبحث صوتي حاول أن يستقصي كل ما في كتب التراث من قوانين تنافر الحروف- وقد أربت على مئة قانون- ويوازنها بنتائج الدراسة الإحصائية لجذور اللغة العربية في خمسة من أمَّات المعجمات العربية[٧٠].

فقد قال الجاحظ في هذا:

«فهذا في اقتران الألفاظ، فأمّا في اقتران الحروف، فإنّ الجيمَ لا تقارِن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين، بتقديم ولا بتأخير.

والـزّاي لا تقارنُ الظَّـاءَ ولا السِّين ولا الضاد ولا الـذال، بتقديم ولا بتأخير. وهـذا بـابٌ كبير، وقد يُكتفَى بذكـر القليل حتَّى يُستَدَلَّ به علـى الغاية التي إليها يُجرَى»[٧١].

ومن ذلك كلامه على أكثر الحروف ترددًا في بعض اللغات:

«قـال: ولكلِّ لغةٍ حروفٌ تدور في أكثر كلامهـا؛ كنحو استعمال الرُّوم للسين، واستعمـال الجرامقة للعين، وقال الأصمعيّ: ليس للروم ضادٌ، ولا للفُرس ثاء، ولا للسريانيّ ذال»[٧٢].

والأدق منه والأهم كلامه على أكثر الحروف ترددًا في الكلام العربي:

«وأنشدني دَيْسمٌ، قال: أنشدني أبو محمد اليزيديّ:

وخَلَّةُ اللفظ في الياءات إن ذُكِرَت كخَلَّة اللفظ في اللامات والألف

وخَصْلَة الرَّاء فيها غيرُ خافيةٍ فاعرِفْ مواقعَها في القَول والصّحُف

يزعم أنّ هذه الحروفَ أكثر تَردادًا من غيرها، والحاجة إليها أشدّ، واعتبرْ ذلك بأن تأخذ عِدّةَ رسائلَ وعدة خطب، من جملة خطب الناس ورسائلهم؛ فإنَّك متـى حَصَّلتَ جميع حروفها، وعددْت كلَّ شكل على حِدَة، علمت أنّ هذه الحروفَ الحاجةُ إليها أشدّ»[٧٣].

وهـو كلام نفيـس تؤيده الدراسـات اللسانية قديمًا وحديثًـا؛ إذ إن أكثر الحـروف ترددًا في الكلام سبعـة، جمعها علماء التعمية بقولهـم: الموهين، تليها الحروف المتوسطة الدوران وأولها الراء، وتجمعها عبارة: رعفت بكدس قحج[٧٤]. هذا في الكلام المستعمل، أي مع الأحرف الزائدة، أما في الجذور فإن الراء تتصدر قائمة الحروف الكثيرة الدوران وفق دراستنا الإحصائية الحاسوبية الآنفة[٧٥].

ومـن ذلك كلامه على سهولة بعض الأصوات وصعوبة بعضها، تبعًا لعمل آلة النطـق فيها، وقد أدَّاه ذلك إلـى ملاحظة دقيقة يؤيدها علـم الأصوات النطقي حول كلمتي (بابا وماما):

«والميـم والباء أول ما يتهيـأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما، وبابا؛ لأنهما خارجـان من عمـل اللسـان، وإنما يظهـران بالتقـاء الشفتين. وليـس شيء من الحـروف أدخـلَ في بـاب النقص والعجز من فـم الأهتم، من الفـاء والسين إذا كانـا في وسط الكلمـة، فأما الضاد فليسـت تخرج إلا من الشـدق الأيمن، إلا أن يكـون المتكلم أعسر يَسَرًا[٧٦]، مثل عمر بـن الخطاب رحمه الله، فإنه كان يخرج الضاد مـن أي شدقيه شاء. فأما الأيمن والأعسر والأضبط، فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد»[٧٧].

ويعـد هذا النص مـن النصوص النـادرة التي ذكرت فيها كلمـة (بابا) في تراثنـا العربي، وقد أفدت منه ـ إلى جانب نصوص أخرى ـ في تأكيد أصالة هذه الكلمة في العربية[٧٨].

ومن النوع الثاني ـ أعني الذي توقف عنده طويلاً حتى غدا محورًا من محاور الكتاب ـ كلامه على اللثغة، ولعله أبرز من توسع في هذا الباب ممن عرض له من القدمـاء، كابن قتيبة والمبرد، عدا ما كان من الكنـدي فيلسوف العرب المشهور، فقد أفرد للثغة رسالة طريفة، جمع فيها صنوف المعارف المتعلقة بها[٧٩].

أمـا الجاحـظ فقد افتتح كتابه بالـكلام على اللثغة، وكان ذلـك تعليقًا على ذكـر العِيِّ والحصَـر[٨٠]، وهما مما يعتري الكلام من العجـز وعدم القدرة على النطـق[٨١]؛ إذ بسط الكلام على شواهدهما شعـرًا ونثرًا وقرآنًا، فجرَّهُ ذلك إلى ذكر ضروب من علل الكلام، كاللجاج، والتمتام، والألثغ، والفأفاء، وذي الحُبسة، والحكلة، والرتة، وذي اللفف، والعجلة[٨٢].

ومثَّل بلثغة واصل بن عطاء إمام المعتزلة، الذي كان يتحرى اجتناب الراء في منطقه على كثرة دورانها في الكلام[٨٣].

وعرض لأنواع اللثغـة في الراء؛ إذ تكـون بالغين والذال واليـاء[٨٤] وزاد في موضع آخر الظاء، فقال:

«وأما اللثغة في الراء، فتكون بالياء والظاء والذال والغين، وهي أقلها قبحًا، وأوجدها في ذوي الشرف وكبار الناس وبلغائهم وعلمائهم»[٨٥].

وما أدق ملاحظته هذه وأصدقها، فلثغة الراء غينًا لثغة محببة، نلحظها اليوم عند بعض الأطفال، ولدى من ينشأ في الدَّعة والدلال والرفاهية واليُسر، ممن يدعى بـ (الأكابر)! بل إنها أصبحت في بعض اللغات ظاهرة لغوية حلت محل الأصل، كالذي نجده في اللهجة الباريسية للغة الفرنسية، فهي تحوِّل الراء غينًا، ولعلها أثر من آثار تقليد العامة لطبقة النبلاء التي كانت أعلى الطبقات في المجتمع الفرنسي!

ثم أفرد كلامًا لذكر الحروف التي تدخلها اللثغة، فحصرها في أربعة؛ هي: القاف والسين واللام والراء[٨٦].

وراح يمثِّل لكل ذلك بعبارات وأعلام، وكان من طريف ما مثَّل به لثغة رجل يدعى شَوْشَى، قال فيه:

«وربما اجتمعت في الواحد لثغتان في حرفين، كنحو لثغة شَوْشَى، صاحب عبد الله بن خالد الأموي، فإنه كان يجعل اللام ياءً والراء ياءً قال مرة: موياىَ وُيِّيَ ايَّيّ. يريد: مولاي وُلِّيَ الريِّ»[٨٧].

ثم فصل ألقاب اللثغة وما يدل عليه كل لقب[٨٨]، فقال في الفأفأة والتمتمة:

«وقال الأصمعي: إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام، وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء. وأنشد لرؤبة بن العجاج:

يا حمدَ ذاتَ المنطق التمتامِ كأنَّ وسواسكِ في اللِّمامِ

حديثُ شيطانِ بني هِنَّامِ[٨٩]

وقال في اللفف:

«وقال أبو عبيدة: إذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألف، وقيل: بلسانه لفف. وأنشدني لأبي الزحف الراجز:

كـــأنَّ فـيـه لـفـفًـا إذا نـطـقْ من طولِ تحبيسٍ وهمٍّ وأرقْ»[٩٠]

وقال في اللجلجة:

«وقال اللهَبيُّ في اللجلاج:

ليس خطيبُ القوم باللجلاجِ ولا الـذي يـزحَـلُ كالهلباجِ

وربَّ بـيـداءَ ولـيـلٍ داجِ هـتـكـتُـهُ بـالـنـصِّ والإدلاجِ

وقـال محمد بن سلام الجمحي: كان عمر بن الخطاب، رحمه الله، إذا رأى رجلاً يتلجلج في كلامه، قال: «خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد»[٩١].

وقال في الحُبسة والحكلة والعقلة واللكنة:

«ويقـال: في لسانـه حُبْسَة، إذا كان الـكلام يثقل عليه ولم يبلـغ حد الفأفاء والتمتـام. ويقـال: في لسانه عُقْلَة، إذا تعقَّل عليه الـكلام. ويقال: في لسانه لُكْنَة، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخـرج الأول. فإذا قالوا: في لسانه حُكْلَة، فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال.

وقال رؤبة بن العجاج:

لـو أنـنـي أوتـيـتُ عِـلْـمَ الحُـكْـلِ عِلْمَ سليمانَ كلامَ النـملِ»[٩٢]

وقال في النَّحْنَحَة والسُّعْلَة:

«قـال: وأنشـدني سُحيم بن حفص، في الخطيب الذي تعرض لـه النَّحْنَحَة والسُّعْلَة، وذلك إذا انتفخ سَحْرُهُ، وكبا زَنْدُه، ونبا حَدُّه، فقال:

نـعـوذُ بـاللهِ مـن الإهـمـالِ ومـن كـلالِ الـغَـرْبِ في المقالِ

ومن خطيبٍ دائمِ السُّعالِ»[٩٣]

واستطرد بذكر بعض أخبار الخطباء والشعراء، ليرجع به القول إلى الكلام الأول فيمـا يعـتري اللسان من ضروب الآفـات[٩٤]، حيث بيّن أهميـة الأسنان في صحة النطق وتمام الحروف، وساق أمثلة على ذلك، فقال:

«وقـال أهل التجربـة: إذا كان في اللحم الذي في مغـارز[٩٥] الأسنان تشميرٌ وقِصَر سَمْك[٩٦] ذهبت الحروف وفسد البيان، وإذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئًـا يقرعه ويصكُّه، ولم يمـر في هواء واسع المجـال وكان لسانه يملأ جوبةَ[٩٧] فمه، لم يضره سقوط أسنانه إلا بالمقدار المغتفر، والجزء المحتمل.

ويؤكـد ذلك قول صاحـب المنطق، فإنه زعـم في كتاب **الحيـوان** أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين وأحكى لما يلقن ولما يسمع، كنحو الببغاء والغداف[٩٨] وغراب البين وما أشبه ذلك...»[٩٩].

ثم ختم بذكر الأمور التي تعتري اللسان، فتمنع من البيان، مفصلاً ذلك في الشيوخ والصبيان[١٠٠].

ولا ريـب أن ما ذكره الجاحظ من أمر اللثغة، وأحرفها، وأعلامها، وأمثلتها، وشواهدها، وملاحظاته فيها، يفوق ما ذكره الكندي في رسالته التي أفردها لها، وإنمـا تميز الكنـدي عنه بذكر مخارج الأصوات في مستهـل رسالته، وبتوسعه في الأحرف التي تعتريها اللثغة، وببيان علل اللثغة وأسبابها في ختام رسالته[١٠١].

ولـو جُرِّد كلامُ الجاحظ في هذا الباب لكان رسالة على حدة، لا نظير لها في تراثنا العربي فيما أعلم.

بيد أننا في هذا المقام لا يمكن أن نغفل ما جمعه ابن سِيده في معجمه العظيم **المخصص** من مصطلحات اللثغة وما يجري مجراها من أمراض النطق؛ إذ أربت ألقابهـا عنده على المئة والخمسين، ذكرها مشفوعـة بإيضاح معناها وشواهدها على نهجه الذي انتهجه[١٠٢].

٣. البلاغة والنقد

كتاب **البيان** كتاب بلاغة ناطقة، ونصوص بليغة، وهي منثورة في كل الكتاب. ومع ذلك، فقد أفرد الجاحظ للبلاغة بابًا، عرض فيه لتعريف البلاغة عند أقوام شتّى، حيث قال:

«قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل.

وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة.

وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة»[١٠٣].

لينتهي إلى مفوم البلاغة عند العرب، فيعرضه على لسان صحار بن عياش العبدي، فيقول:

«قال معاوية بن أبي سفيان لصحار بن عياش العبديّ: ما هذه البلاغة التي فيكم؟ قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا. فقال له رجل من عُرض القوم: يا أمير المؤمنين، هؤلاء بالبُسر والرطب أبصر منهم بالخطب. فقال له صحار: أجل والله، إنا لنعلم أن الريح لَتُلَقِحُه، وإن البرد لَيعقدُه، وإن القمرَ لَيصبغُه، وإن الحر لَينضجُه.

وقال له معاوية: ما تعدُّون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز. قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ.

فقال له معاوية: أوكذلك تقول يا صحار؟ قال صحار: أقِلني يا أمير المؤمنين، ألا تبطئ ولا تخطئ»[١٠٤].

ثم يعرضه - أي مفهوم البلاغة عند العرب - على لسان أعرابي، فيقول:

«قال لي ابن الأعرابي: قال لي المفضل بن محمد الضبي: قلت لأعرابي منا: ما البلاغة؟ قال لي: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خَطَل.

قال ابن الأعرابي: فقلت للمفضل: ما الإيجاز عندك؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد»[١٠٥].

ثـم يعقد بابًا لذكر ناس من البلغاء والأبيناء والفقهاء والأمراء ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل[١٠٦]. فيذكرهم مستشهدًا بكلامهم وبلاغتهم وبعض أخبارهـم، ويتوقف عند كلمة للأصمعي تجلو أمر البلاغة عند العرب وعند أكثر المتقدمـين مـن علماء البلاغـة والبيان، وهـي قوله: «البليـغ من طبَّـقَ المَفْصِل، وأغناك عن المفسِّر»[١٠٧].

ويبـدو أن هـذا المفهوم للبلاغة - أي الإيجاز مع الوضـوح والإفهام - هو الذي يـراه الجاحظ، ويحوم حوله في معظـم النقول التي نقلها، والكلمات التي رددها، والأخبار التي سردها، آية ذلك قوله بعد ذلك:

«وخـبرني جعفر بـن سعيد، رضيـع أيوب بـن جعفر وحاجبه، قـال: ذكرت لعمرو بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى، فقال: قد قرأت لأم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها، فوجدتها أجود اختصارًا وأجمع للمعاني»[١٠٨].

وقوله:

«ويقولـون في إصابة عين المعنى بالكلام الموجز: «فـلان يفُلُّ المحَزَّ، ويصيب المفْصِـل». وأخـذوا ذلـك مـن صفـة الجزار الحـاذق، فجعلـوه مثـلاً للمصيب الموجز»[١٠٩].

وهو المفهوم الذي نعت به كبار البلغاء ممن ترجم له أو عرض لذكره، كثُمامة ابن أشرس، الذي قال فيه:

«وما علمت أنه كان في زمانه قرويٌّ ولا بلديٌّ كان بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف، ما كان بلغه. وكان لفظـه في وزن إشارته، ومعناه في طَبَقَة لفظـه، ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك»[١١٠].

إلى أن وصل إلى تأكيد ذلك، وحصره في قوله:

«وقـال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتبينـاه ودوّنَّاه - لا يكون الكلام يستحق

اسـم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»[١١١].

وتدبـر معي قوله: «وهو من أحسن مـا اجتبيناه ودوّناه»، يتبين لك مذهبه في البلاغة والنقد، فهو لا يرى بلاغة في كلام يغمض معناه، أو يخفى قصده، فضلاً عن أن يكون ملفعًا بالرمز، محاطًا بالتعقيد، غارقًا في التعمية!

وقـد كرر الجاحـظ مقولته هذه على أكثر من وجـه، وفي غير ما سياق، فقد سبق له أن قال:

«أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه»[١١٢].

ثم قال في سياق آخر:

«وإياك والتوعُّر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيـك، ويشين ألفاظك. ومن أراغ[١١٣] معنىً كريمًـا، فليلتمس له لفظًا كريمًا، فإن حقَّ المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما، وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس إظهارهما، وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما. فكن في ثلاث منازل، فإن أُولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقًا عذبًا، وفخمًا سهلاً، ويكون معناك ظاهرًا مكشوفًا، وقريبًا معروفًـا، إمّـا عند الخاصة إن كنـت للخاصة قصدت، وإمّا عنـد العامة إن كنت للعامـة أردت. والمعنـى ليس يشـرُف بأن يكون من معاني الخاصـة، وكذلك ليس يتَّضع بأن يكون من معاني العامة»[١١٤].

وقال أيضًا:

«قـال أبو عثمـان: أما أنا، فلـم أر قط أمثلَ طريقة في البلاغـة من الكتّاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرًا وحشيًّا، ولا ساقطًا سوقيًّا»[١١٥].

ويقول مؤيدًا نظريته في البلاغة وذوقه في النقد:

«وأنا أقول: إنه ليس في الأرض كلام هو أمتعُ ولا آنقُ، ولا ألذُّ في الأسماع، ولا

أشدُّ اتصـالاً بالعقول السليمة، ولا أفتقُ للسان، ولا أجودُ تقويمًا للبيان، من طول استماعِ حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء»[١١٦].

ويسـوق خـلال ذلك ـ وبعد ذلك كلـه ـ عشرات الأمثلة التـي تؤيد مذهبه من كلام البلغاء والأبيناء والفصحاء والشعراء[١١٧].

وأمـا مذهـب الجاحـظ النقدي، فمـن الصعوبة بمـكان أن نوجـزه في هذه العُجالـة، إنـه يحتاج إلى مزيد مـن التأمل، وهو حريٌّ ببحث مفـرد، يجلو أمره، ويتتبـع مواضـع ذكـره، بيد أن هذا لا يمنع مـن إيراد لمحات ممـا يشير إلى هذا المذهب:

- «رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدّربة، وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ. والمحبة مقرونة بقلَّة الاستكراه»[١١٨].

- «والمطبوعـون على الشعر مـن المولَّدين بشارٌ العُقيلـيّ، والسَّيِّد الحِمْيريّ، وأبـو العتاهيـة، وابن أبي عُيَيْنَـة. وقد ذكر الناسُ في هذا البـاب يَحيى بن نوفل، وسَلْمًـا الخاسر، وخَلَفَ بن خليفة. وأبان بن عبد الحميـدِ اللاحقيُّ أَوْلى بالطَّبع من هؤلاء، وبشّارٌ أطبَعُهم كلّهم[١١٩].

- ومـن الخطبـاء الشعـراء ومَن يؤلّـف الكلامَ الجيّـدَ، ويصْنَـع المناقلات الحسانَ، ويؤلِّف الشعر والقصائدَ الشريفة، مع بيانٍ عجيبٍ ورواية كثيرة، وحُسْن دَلٍّ وإشارة: عيسى بن يزيد بن دأْب، أحد بني ليث بن بكر، وكنيته أبو الوليد.

ومن الخطبـاء الشعراء ممن كان يجمع الخَطابةَ والشِّعـرَ الجيّدَ والرسائلَ الفاخـرة مـع البيان الحسـن: كلثوم بن عمـرو العَتَّابيّ، وكنيته أبـو عمرو، وعلى ألفاظـه وحَـذْوه ومثاله في البديـع يقولُ جميعُ مـن يتكلَّف مثلَ ذلـك من شعراء المولَّدين، كنحو مَنْصُـورٍ النَّمَري، ومسلم بن الوليد الأنصاريّ وأشباههما، وكان العتَّابيُّ يحتذي حَذْوَ بشَّارٍ في البديع، ولم يكن في المولَّدين أصوب بديعًا من بشَّارٍ، وابن هَرْمة. والعتابيُّ من ولد عمرو بن كلثوم، ولذلك قال:

إنِّي امرؤٌ هدَمَ الإقتارُ مأثرتي ... واجتاحَ ما بَنَتِ الأيامُ من خَطرِي
أيَّامَ عمرو بن كلثوم يسوّدُه ... حَيًّا ربيعةَ والأفْناءُ من مُضَرِ
أَرُومةٌ عطَّلتْني مِن مكارِمِها ... كالقَوس عَطَّلها الرَّامي من الوتَرِ»[١٢٠]

– «ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كَريتًا[١٢١]، وزمنًا طويلاً، يردِّد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، اتهامًا لعقله، وتتبعًا على نفسه، فيجعل عقله زمامًا على رأيه، ورأيه عيارًا على شعره، إشفاقًا على أدبه، وإحرازًا لما خوَّله الله تعالى من نعمته. وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات، والمقلّدات، والمنقّحات، والمحْكَمات، ليصير قائلها فحلاً خنذيذًا، وشاعرًا مُفْلِقًا.

– وفي بيوت الشعر الأمثال والأوابد، ومنها الشواهد، ومنها الشوارد.

– والشعراء عندهم أربع طبقات. فأولهم: الفحل الخنذيذ. والخنذيذ هو التام. قال الأصمعي: قال رؤبة: «الفحولة هم الرواة». ودون الفحل الخِنْذيذ الشاعر المفلق، ودون ذلك الشاعر فقط، والرابع الشعرور. ولذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء:

يا رابع الشعراء كيف هجوتني ... وزعمت أني مفحم لا أنطق

فجعله سكيتًا مخلفًا ومسبوقًا مؤخرًا.

– وسمعت بعض العلماء يقول: طبقات الشعراء ثلاث: شاعر، وشويعر، وشعرور. قال: والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران، سماه بذلك امرؤ القيس بن حجر.

ومنهم من بني ضبة المفوّف، شاعر بني حُمَيس، وهو الشويعر، ولذلك قال العبدي:

ألا تنهي سراة بني حميس ... شويعرها فُوَيْلِيَة الأفاعي

قبيّلة تردّد حيث شاءت ... كزائدة النعامة في الكراع

فُوَيْلِيَة الأفاعي: دويّبة سوداء فوق الخنفساء.

والشويعر أيضًا صفوان بن عبد ياليل، من بني سعد بن ليث، ويقال إن اسمه ربيعة بن عثمان. وهو الذي يقول:

فسائل جعفرًا وبني أبيها ... بني البزري بطخفة والملاحِ
وأفلتَنا أبو ليلى طفيلٌ ... صحيحَ الجلد من أثرِ السلاحِ

وقد زعم ناس أن الخنذيذ من الخيل هو الخَصِيّ. وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر:

يا ليتني بالخَبْتِ لم أرَ مثلَها ... أمَرَّ قرًى منها وأكثرَ باكيا
وأكثرَ خِنذيذًا يجرُّ عِنَانَهُ ... إلى الماء لم يتركْ له السيفُ ساقيا

وقال بشر بن أبي خازم:

وخِنْذيذٍ ترى الغُرْمولَ منهُ ... كطَيِّ الزِّقِ علّقَهُ التِّجارُ[١٢٢]

- وصف رائع للبيان النبوي:

ولعل خير ما أختم به هذا الباب - أعني البلاغة والنقد - وصف الجاحظ للبيان النبوي، وهو وصف عالٍ، صيغ ببيان ناصعٍ، يليق بفصاحة الرسول ﷺ، يقول فيه:

«وأنا ذاكرٌ بعد هذا فَنًّا آخرَ من كلامه ﷺ: وهو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجَلَّ عن الصَّنعة، ونُزِّه عن التكلُّف، وكان كما قال اللّه تبارك وتعالى: قل - يا محمد - ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص:٨٦].

فكيف وقد عابَ التشديق، وجانب أصحاب التقعيب[١٢٣]، واستعمل المبسوطَ في موضع البسط، والمقصورَ في موضع القصر، وهَجَر الغريبَ الوحشيَّ، ورغبَ عن الهجين السُّوقيّ، فلم ينطقْ إلا عن ميراثِ حكمَةٍ، ولم يتكلَّم إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة، وشُيِّد بالتأييد، ويُسِّرَ بالتوفيق.

وهو الكلامُ الذي ألقَى اللّه عليه المحبّةَ، وغشَّاهُ بالقَبول، وجمع له بين المهابة

والحــلاوة، وبَيْن حُسنِ الإفهام وقلّة عدد الكلام، مــع استغنائه عن إعادته، وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته.

لم تسقط له كلمة، ولا زَلّت به قَدَم، ولا بارَتْ له حجَّة، ولم يَقُم له خَصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبدُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكلِم القِصار.

ولا يَلتمــس إســكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتــجُّ إلا بالصِّدق، ولا يطلب الفَلْج[١٢٤] إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة[١٢٥]، ولا يستعمل الموارَبة، ولا يهمِز ولا يَلْمِز[١٢٦]، ولا يُبْطِئُ ولا يَعْجَل، ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر[١٢٧].

ثم لم يَسْمع الناسُ بكلام قَطُّ أعمَّ نفعًا، ولا أقصَدَ لفظًا، ولا أعدلَ وزنًا، ولا أجمــلَ مذهبًــا، ولا أكرَم مطلبًا، ولا أحسنَ موقعًــا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوَى، من كلامه ﷺ»[١٢٨].

- **خاتمة:**

وبعد، فكتاب **البيان والتبين** كتاب مُلئ علمًا وأدبًا وفنًّا ومعرفةً، كلما أمعنتَ فيــه النظر، وقلبتَ فيه الطرف، منحكَ المزيد من علومه ومعارفه، وهو - وإن كان معنيًــا بالعربيــة وآدابها وبعض علومهــا - لا يقتصر على ذلك، بــل يتوسع ليتكلم في الإنســان وأحوالــه، والنفس وشؤونهــا، والفلسفة ونواحيها... حتــى لقد أفرد بعضــ الباحثين بحوثًا لكل واحد مــن هذه العلوم والفنون[١٢٩]، ولا غرْو فإن «كتب الجاحظ تعلِّم العقل أولاً، والأدب ثانيًا» كما قال ابن العميد[١٣٠].

وكنت على أن أجعل للعلوم الأخرى التي تطرَّق إليها الكتاب مبحثًا على حدة، ولكــن البحث طال، فآثرت أن أقصر هذا البحث علــى العربية وآدابها وعلومها، وأن أفرد لتلك العلوم بحثًا آخر، وبالله التوفيق، وله الحمد، وهو المستعان.

الهوامش:

(*) أستاذ العربية في الجامعة العربية المفتوحة بالكويت، عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) انظر **لسان العرب**، و**القاموس المحيط**، و**تاج العروس**: (فنن)

(٢) الاسم الشائع للكتاب **البيان والتبيين**، والصواب: **البيان والتبين**، بياء واحدة مشددة، كما حقق الاسم الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي في كتابه **مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ** ص ٢٧ – ٤٦، وفي **مجلة مجمع اللغة العربية** بدمشق مجلد ٥٣ ج ١ ص ٧٧ – ١٠٦. وكما أقره محقق الكتاب الأستاذ عبد السلام هارون في كتابه القيم **قطوف أدبية**. وهذا نص كلامه:

وُجِّه سؤال لفضيلة العلامة المحقِّق عبد السلام محمد هارون:

سمعتكم تقولون: **البيان والتبين**، وقد كان المتداوَل في اسم الكتاب هو **البيان والتبيين** ما تفسيركم لذلك ؟

قال: هذه ملاحظة وجيهة بلا ريب، وأنا معك في أنَّ المعروف المتداول في اسم الكتاب هو **البيان والتبيين** - بياءين - ولكن طبيعة الأمور ترى أنَّ هذه التسمية لا تتمشَّى مع المنطق، فإنَّ البيان هو التبيين بعينه، ونحن نربأ بالجاحظ أن يقع في مثل هذا العيب في تسمية أشهر كتبه وأسيرها. والدارس لهذا الكتاب يرى أنه ذو شقين متداخلين:

الشق الأول: هو ما اختاره الجاحظ من النصوص والأخبار والأحاديث والخطب والوصايا، وكلام الأعراب والزهَّاد ونحو ذلك، وهو يعنيه الجاحظ بكلمة (البيان)

والشق الثاني: هو النقد الأدبي في صورته المبكرة؛ فللجاحظ في هذا الكتاب نظرات فاحصة في نصوصه، وفي الكلام بصفة عامة، تسمَّى بعد ذلك بفن «النقد»، فهذه النظرات والقواعد التي ساقها الجاحظ هو ما عناه بكلمة التبيُّن».

هذا من ناحية، وهناك ناحية أخرى تاريخية وثائقية، فإنَّ النُّسخ العتيقة من هذا الكتاب - وقد أثبتُّ صورتها في تقديمي للكتاب - تقطع بأنَّ عنوانه هو **البيان والتبين**. وهذا ما يجده القارئ بوضوح في مصورة مخطوطة كوبريلي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٣٧٠ أدب)، وتاريخ كتابتها هو سنة ٦٨٤ هـ. وكذلك نقرأ هذا العنوان بوضوح في مصورة مخطوطة مكتبة فيض الله، وهي في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم (٨٨٧)، وهناك بحمد الله صورة منها، وهذه النسخة مكتوبة بخط أبي عمرو محمد بن يوسف بن حجاج اللخمي. وقد قرأها على الإمام أبي ذرّ بن محمد بن مسعود الخُشَني في سنة ٥٨٧ هـ، وكتب هذا الناسخ أنه وجد في آخر السِّفر الذي نسخ منه الثلثَ الثالث من هذا الكتاب ما نصُّه: «كتب هذا السفر، وهو مشتمل على كتاب البيان والتبيُّن نسخة أبي جعفر البغدادي، وهي النسخة الكاملة، فتم بعون الله وتأييده في غُرَّة ربيع الآخِر من سنة سبع وأربعين وثلثمئة». أي بعد وفاة الجاحظ بمدة لا تزيد على ٩٢ سنة. وسأُعيد هذه التسمية الصحيحة إلى نصابها في الطبعة الخامسة إن شاء الله تعالى. انظر كتاب **قطوف أدبية** ص٩٧- ٩٨.

وقد التزمت في بحثي ذكره على الصواب، أعني **البيان والتبين**، عدا ما كان فيه الكلام منقولاً أو تخريجًا من نشرته المعروفة.

(٣) **مقدمة ابن خلدون** ١٢٧٧/٣ – ١٢٧٨.

(٤) وقد عبر عن ذلك أجمل تعبير الأستاذ محمود شاكر حيث يقول: «والجاحظ تأخذ قلمَه أحيانًا مثلُ الحكَّة، لا تهدأ من ثورانها عليه حتى يشتفي منها ببعض القول، وببعض الاستطالة، وبفَرَط العقل! ومع ذلك فإن النقاد يتّبعون الجاحظ ثقةً بفضله وعقله، فربما هجروا من القول ما هو أولى فتنةً بما يقول». حواشي **تفسير الطبري** ٤٨٦/٢.

(٥) **البيان والتبيين** ٣٦٦/٣.

(٦) **مروج الذهب** ص ١٩٥.

(٧) **نصرة الثائر على المثل السائر** ص ١٤٠.

(٨) **مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي** ٥٢٧/٢.

(٩) **البيان والتبيين** ٣/١

(١٠) **البيان والتبيين** ٨/١.

(١١) **البيان والتبيين** ١١/١-١٢.

(١٢) انظر ص ٧٥-٨٧ منه.

(١٣) **البيان والتبيين** ٧٦/١.

(١٤) **البيان والتبيين** ٧٦/١.

(١٥) **البيان والتبيين** ٧٦/١-٨٣.

(١٦) **البيان والتبيين** ٣/١-٤.

(١٧) **البيان والتبيين** ٢٧/١.

(١٨) **البيان والتبيين** ٣٤٦/٣-٣٤٧.

(١٩) **البيان والتبيين** ٣٤٧/١-٣٤٨.

(٢٠) **ديوان عنترة**.

(٢١) **البيان والتبيين** ٣٤١/١.

(٢٢) ويل امِّ، من صيغ التعجب السماعية، المنقولة من الدعاء إليه.

(٢٣) **البيان والتبيين** ٣٤٠/٣-٣٤١.

(٢٤) **البيان والتبيين** ٧/٢.

(٢٥) **البيان والتبيين** ٧/١-٨.

(٢٦) **البيان والتبيين** ٥٣/١.

(٢٧) **البيان والتبيين** ٨٣/١.

(٢٨) **البيان والتبيين** ٢٨٤/١.

(٢٩) الشبر: قدر القامة، تقول: كم شبر قميصك، أي كم عدد أشباره.

(٣٠) **البيان والتبيين** ٢٨٤/١.

(٣١) **البيان والتبيين** ٩٢/٤.

(٣٢) **البيان والتبيين** ٦٦/٢.

(٣٣) **البيان والتبيين** ٦٦/٢-٦٧.

(٣٤) **البيان والتبيين** ٦٨/٢.

(٣٥) **البيان والتبيين** ٦٩/٢.

(٣٦) **البيان والتبيين** ٧١/٢.

(٣٧) **البيان والتبيين** ٤٤/١.

(٣٨) **البيان والتبيين** ٢٤١/١.

(٣٩) **البيان والتبيين** ٦/٢.

(٤٠) سماط القوم صفهم، يقال: قام القوم حوله سماطين؛ أي صفين، والسماطان من الناس الجانبان. **اللسان** (سمط).

(٤١) التواهب: أن يهب الرجل من حقه ما لا يستكره عليه، وكان الأحنف يقول: لا تزال العرب عربًا ما لبست العمائم، وتقلدت السيوف، ولم تعدَّ الحلم ذلاً، ولا التواهب فيما بينها ضَعَة. **الكامل** ١٤٥/١.

(٤٢) العَشَمة، بالتحريك: الشيخ الهرم الذي تقارب خطوه وانحنى ظهره.

(٤٣) **البيان والتبيين** ١١٦/١-١١٧.

(٤٤) **البيان والتبيين** ٥٢/٢-٥٣.

(٤٥) حسك الصدور: حقد العداوة.

(٤٦) **البيان والتبيين** ١٣٥/٢.

(٤٧) **البيان والتبيين** ١٣٧/٢.

(٤٨) **نهاية الأرب** ٢/٣.

(٤٩) المُسوك: جمع مسك وهو الجلد. والرواية في **زهر الآداب**: وليست بمُسوك يستقى بها من الغدران.

(٥٠) **البيان والتبيين**١٧١/١. وانظر **جمهرة الأمثال** ٢٦٦/١، و**مجمع الأمثال** ١/ ١٢٩.

(٥١) الحائل: كل حامل ينقطع عنها الحمل سنة أو سنوات حتى تحمل.

(٥٢) أشبل عليه: عطف.

(٥٣) **البيان والتبيين**١٩٣/١. وانظر **جمهرة الأمثال** ٢٤٦/٢، و**مجمع الأمثال** ٢/ ٣٠٠.

(٥٤) الجُذيل: عود ينصب للإبل الجربى تتحكَّك به، والعُذيق: النخلة بحملها، والمرجَّب المعظم.

(٥٥) الجذَع: الصغير السن من الأنعام.كانت العرب إذا طفت الحرب بينهم يقول بعضهم متحديًا: إن شئتم أعدناها جَذَعة، أي أول ما يُبتدَأ فيها.

(٥٦) **البيان والتبيين** ٢٩٦/٣. وانظر **مجمع الأمثال** ١/ ٣١، و**المستقصى** ٣٧٧/١.

(٥٧) لأن الليل يستر كل شيء، وأخفى أفعل من خفيت لا من الإخفاء. **البيان والتبيين** ١٥١/١. وانظر **جمهرة الأمثال** ٨٨/١، و**مجمع الأمثال** ١/ ٢٥٥.

(٥٨) وأصله أن الرجل يجري فرسه في المكان الخالي لا مسابق له فيه، فهو مسرور بما يرى منه. ومُسَـرّ اسم مفعول من أسرَّ، مع أنـه ليس في كلامهم أسرَّ. **البيان والتبيين**١/٢٠٣. وانظر **جمهـرة الأمثـال** ٢/١٤٢، و**مجمـع الأمثال** ٢/ ١٣٥. والرواية فيهمـا: كلُّ مُجَرٍ في الخَلاَءِ يُسَرُّ.

(٥٩) أي مـا أشبَـهَ بعضَ القوم ببعض. يضـرب في تسـاوِي الناس في الشـر والخديعة. **البيان والتبيين** ٣/٢٩٤. وانظر **جمهرة الأمثال** ٢/٢٤٧، و**مجمع الأمثال** ٢/ ٢٧٥.

(٦٠) **البيان والتبيين** ٣/٢٩٤. وانظر **مجمع الأمثال** ١/ ١٠٥.

(٦١) والحق أنها تحتاج إلى تخريج وتحقيق، لأن كثيرًا منها ورد في أحاديث ضعيفة لا ترقى إلى الحسن ولا إلى الصحة!

(٦٣) **البيان والتبيين** ٢/١٥.

(٦٣) **البيان والتبيين** ٣/٢٩٠.

(٦٤) **البيان والتبيين** ٣/٢٩١.

(٦٥) **البيان والتبيين** ٣/٢٩٢-٢٩٣.

(٦٦) **البيان والتبيين** ١/١٨-١٩.

(٦٧) **البيان والتبيين** ١/١٩.

(٦٨) **البيان والتبيين** ١/٧٩.

(٦٩) انظر علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ١/١٢٥-١٢٩ و٢/١٤٥-١٥٧. وانظر تحت راية العربية ١٦٣.

(٧٠) وقـد نلت بـه درجة الماجستير عـام ١٩٨٤ وهو بعنـوان: المعجم العربي دراسـة إحصائية صوتية مخبرية.

(٧١) البيان والتبيين ١/٦٩.

(٧٢) البيان والتبيين ١/٦٤.

(٧٣) البيان والتبيين ١/٦٩.

(٧٤) انظر علم **التعمية واستخراج المعمى عند العرب** ١/١٢١-١٢٤ و٢/١٤٢-١٤٤.

(٧٥) وقـد اشتركـت بإنجازها مع الزميل د. يحيى مير علم بين عامي ١٩٨٠- ١٩٨٣. والحروف الكثيرة الدوران في جذور العربية مرتبة في أوائل كلمات هذا البيت من نظمي:

ربَّ لغزٍ نـالَ بـي مـن عسـرِهِـب قـلَّ دربٌ سـارَ فيـه جابـري

(٧٦) رجل أعسرَ يَسَرًا: يعمل بيديه جميعًا.

(٧٧) **البيان والتبيين** ١/٦٢.

(٧٨) وذلـك في مقـال نشرته عام ١٩٨٩ في **مجلة نهج الإسلام** العدد ٣٧ بعنوان: «بابا من بقايا الفصاح على ألسنة الأطفال». وانظر كتابي **تحت راية العربية** ٣٨٠.

(٧٩) وقد حققتها عام ١٩٨٥ ونشرتها في **مجلة مجمع اللغة العربية** بدمشق، المجلد ٦٠، الجزء ٣. وانظر كتابي تحت راية العربية ص١٢-٢٤.

(٨٠) البيان والتبيين، ١/ ٣ .

(٨١) عيَّ في المنطق عيًّا: حَصِر، والحَصَر ضرب من العِيّ، فالكلمتان بمعنى واحد هو العجز وعدم القدرة على الكلام، وقديمًا قالوا: نعوذ بالله من العجب والبطر ومن العِي والحَصَر،

(٨٢) انظر **لسان العرب**، وأساس البلاغة (حصر، عي) .

البيان والتبيين ١/٣٧-٤٠.

(٨٣) **البيان والتبيين** ١/١٦-٢٢.

(٨٤) **البيان والتبيين** ١/ ١٥.

(٨٥) **البيان والتبيين** ١/ ٣٧. وانظر ص ٣٥ أيضًا حيث تفنن في عرض أمثلتها!

(٨٦) **البيان والتبيين** ١/٣٤.

(٨٧) **البيان والتبيين** ١/ ٣٦

(٨٨) **البيان والتبيين** ١/ ٣٧ – ٤٠.

(٨٩) **البيان والتبيين** ١/ ٣٧.

(٩٠) **البيان والتبيين** ١/ ٣٨.

(٩١) **البيان والتبيين** ١/ ٣٩.

(٩٢) **البيان والتبيين** ١/ ٣٩ – ٤٠.

(٩٣) **البيان والتبيين** ١/ ٤٠.

(٩٤) **البيان والتبيين** ١/٥٧ – ٦٦.

(٩٥) تحرفت في نشرة **البيان** إلى مغاوز.

(٩٦) التشمير: التقليص، والسَّمك، بالفتح: الارتفاع.

(٩٧) أي فرجة فمه.

(٩٨) الغُداف: غراب متوسط الجثة أسحم، ريشه يلمع بحمرة، ج: غِدْفان.

(٩٩) **البيان والتبيين** ١/ ٦١-٦٢.

(١٠٠) **البيان والتبيين** ١/ ٧١ – ٧٤.

(١٠١) انظر رسالة اللثغة للكندي في كتاب: تحت راية العربية ١٦-٢٤.

(١٠٢) انظر **المخصص** ١/٢١٠-٢١٦. وكنت قد أشرفت على بحث في قسم التخصص من معهد الفتح الإسلامي، صنعه الباحث الأستاذ أحمد ليلا تتبع فيه هذه المصطلحات ودرسها.

(١٠٣) **البيان والتبيين** ١/ ٨٨.

(١٠٤) **البيان والتبيين** ١/ ٩٦.

(١٠٥) **البيان والتبيين** ١/ ٩٧.

(١٠٦) **البيان والتبيين** ١/ ٩٨.

(١٠٧) **البيان والتبيين** ١/ ١٠٦.
(١٠٨) **البيان والتبيين** ١/ ١٠٦-١٠٧.
(١٠٩) **البيان والتبيين** ١/ ١٠٧.
(١١٠) **البيان والتبيين** ١/ ١١١.
(١١١) **البيان والتبيين** ١/١١٥.
(١١٢) **البيان والتبيين** ١/٨٣.
(١١٣) طلب وأراد.
(١١٤) **البيان والتبيين** ١/١٣٦.
(١١٥) **البيان والتبيين** ١/١٣٧.
(١١٦) **البيان والتبيين** ١/١٤٥.
(١١٧) **البيان والتبيين** ١/١٣٥-١٦٠.
(١١٨) **البيان والتبيين** ١/٤٤.
(١١٩) **البيان والتبيين** ١/٥٠.
(١٢٠) **البيان والتبيين** ١/٥١.
(١٢١) حول كَرِيت: كامل تام.
(١٢٢) **البيان والتبيين** ٢/٩-١١.
(١٢٣) التقعيب كالتقعير، وهو أن يتكلم بأقصى قعر فمه.
(١٢٤) الفوز والظفر.
(١٢٥) الخِلابة: المخادعة.
(١٢٦) الهَمز: العيب في الغيبة، واللمز العيب في الحضرة.
(١٢٧) من الحَصَر وهو العِي في الكلام.
(١٢٨) **البيان والتبيين**٢/١٦-١٨.
(١٢٩) مثل كتاب **المناحي الفلسفية عند الجاحظ**، د. علي بو ملحم.
(١٣٠) **الفن ومذاهبه في النثر العربي** ص ١٥٨، وللأستاذ شفيق جبري كتاب **الجاحظ معلم العقل والأدب**.

آراء المقريزي[1] في الأوزان والأكيال الشرعية

د. مقتدر حمدان عبدالمجيد[*]

ملخص:

لوحدات الوزن والكيل أهمية كبيرة؛ إذ تجري بهما معاملات البيع والشراء في أسواق الدولة الإسلامية، وفي ضوء عيارها يؤدي المسلم بعض الفرائض المستحقة، وورد في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف آيات وأحاديث حددت مقاديرها وضرورة الالتزام بها في عمليات البيع والشراء في الأسواق. فلا غرو أن ينبري المقريزي وغيره من المصنفين إلى تناول وحدات الوزن والكيل التي يجري التعامل بها من قِبل الباعة في الأسواق، سيَّما وأن المقريزي له اهتمام كبير في المجال الاقتصادي، فقد صنف كتاب **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، وكتاب **شذور العقود في ذكر النقود**. إن هدف هذا البحث هو استعراض ما أورده المقريزي بشأن هذه الوحدات ومقارنتها مع ما أورده مصنفون آخرون ممن سبقه في عصور الدولة الإسلامية.

المبحث الأول: أحاديث رسول الله ﷺ عن الموازين والمكاييل.

المطلب الأول: تخريج المقريزي لأحاديث رسول الله ﷺ عن الموازين والمكاييل.

المطلب الثاني: الأوزان المستعملة في عهد الرسول ﷺ ومقاديرها.

المبحث الثاني: الأكيال المستعملة شرعًا.

المطلب الأول: أنواع الأكيال.

المطلب الثاني: تاريخ سكة النقود.

المبحث الأول: أحاديث رسول الله ﷺ عن الأوزان والأكيال.

المطلب الأول: تخريج المقريزي لأحاديث رسول الله ﷺ عن الأوزان والأكيال.

استهل المقريزي حديثه عن الأوزان والأكيال بأنْ أورد حديثًا لرسول الله ﷺ وقام بتخريجه من طرق عدة: أولها قال: أخرجه النسائي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «المكيال مكيال أهل المدينة، والوزن وزن أهل مكة»[٢].

وأخرجه المقريزي عن طريق ثانٍ، فقال: رواه أبو عُبيد القاسم بن سلام عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «المكيال مكيال أهل المدينة، والميزان ميزان أهل مكة»[٣].

وخرجه المقريزي من طريق ثالث، فقال: أخرجه أبو داود عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة»[٤].

ولم يكتف المقريزي بهذه الطرق الثلاثة في تخريج هذا الحديث، بل عمد إلى طريق رابع، فقال: وأخرجه الحافظ أبو نُعيم الأصفهاني من حديث طاوس عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «المكيال مكيال أهل المدينة، والوزن وزن أهل مكة»[٥]. وقال أبو نُعيم: غريب من حديث طاوس وحنظلة، ولا أعلم رواه متصلاً إلا الثوري[٦].

ونقل لنا المقريزي قول الخطابي: أن معنى هذا الحديث أن الوزن الذي يتعلق به حق الزكاة، وزن أهل مكة وهي دار الإسلام[٧]. وفي هذا الصدد قال أبو يوسف: إن قريشًا كانت تزن الفضة بوزن تسمِّيه درهمًا، وتزن الذهب بوزن تسمِّيه دينارًا، فوزن كل عشرة دراهم تساوي وزن سبعة مثاقيل، أي وزن سبعة دنانير[٨].

وقال ابن حزم: بحثت عنه غاية البحث من كل من وثقت بتمييزه، وكلٌّ اتفق لي على أن دينار الذهب بمكة وزنه (٨٢) حبة وثلاثة أعشار حبة من حب الشعير المطلق، ووزن الدرهم المكي (٥٧) حبة وستة أعشار وعشر حبة[٩].

وذكر المناوي[١٠]: أن الوزن المعتبر في أداء الحقوق الشرعية إنما يكون بميزان أهل مكة؛ لأنهم أهل تجارات، فعهدهم للموازين وخبرتهم بها أكثر. والمكيال هو المعتبر للمدينة؛ لأنهم أصحاب زراعات، فهم أعرف بأحوال المكاييل.

يرجِّح المقريزي الرأي الذي يزعم أن النبي ﷺ أراد بهذا الحديث تعديل الموازين والأرطال والمكاييل وتحديدها، وجعل عيارها على وفق أوزان أهل مكة ومكاييل أهل المدينة، ليكون عند التنازع حكمًا بين الناس يحملون عليها إذا تداعوا، فادَّعى بعضهم وزنًا أوفى، أو مكيالاً أكبر، وادعى الخصم أن الذي يلزمه هو الأصغر منهما. وهذا التأويل - كما يرى الخطابي - فاسد، خارج عمَّا عليه أقوال أكثر الفقهاء؛ لأن قوله ﷺ «الوزن وزن مكة»، يريد وزن الذهب والفضة خصوصًا دون سائر الأوزان الأخرى، وذلك لتعلق حق الزكاة في النقد، بوزن أهل مكة[١١].

وما يعزز هذا التوجه ويؤكده أن المقريزي أورد رأي الخطابي في حديث رسول الله ﷺ «المكيال مكيال أهل المدينة»، فقال: إنما المقصود الصاع الذي تتعلق به وجوب الكفارات وإخراج صدقة الفطر به، وتقدير النفقات وما في معناها بعياره[١٢]. ولكي يؤكد المقريزي رأيه السابق أورد رأيَ الطحاوي، الذي يُشير إلى أن مكة كانت أرض متجر تباع فيها الأمتعة بالأثمان، ولم يكن فيها حينئذ ثمرة ولا زرع، مستشهدًا بقول النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾[١٣]. ويرى الطحاوي أن المدينة كانت خلاف ذلك؛ لأنها ذات نخل وزرع وشجر، فكان جُلُّ تجاراتهم في المكيل، لذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم الأمصار كلها تبعًا لهذين المصرين اتباعًا في الكيل والوزن[١٤].

وذهب المقريزي إلى تأييد رأي الطحاوي الذي قال: إذا كانت السنة النبوية قد منعت من مبادلة موزون في موزون، ومن مبادلة مكيل في مكيل، وأجازت مبادلة الموزون في المكيل، والمكيل في الموزون، ومنعت من بيع الموزون بالموزون، إلا مثلاً بمثل، ومن بيع المكيل بالمكيل إلا مثلاً بمثل، وإلا عُدَّ نوعًا من الربا. كان الأصل في الموزون ما كان حينئذ بوزن مكة، وكان الأصل في المكيال ما كان حينئذ يكال بالمدينة، لا يتغير عن ذلك وإن غيَّره الناس[١٥].

وبعد هذا جاء المقريزي برأي الفقيه العزي[١٦] في كتابه عن الأوزان، الذي قال فيه: «فوجب على كل من دان بهذه الملة وتعبَّد بهذه الشريعة البحث عن كيل أهل المدينة، فيما جرت العادة بكيله، وعن وزن أهل مكة، فيما استمر العُرف بوزنه والله أعلم»[١٧].

وذكر المقريزي[١٨] أن الرسول ﷺ جعل نصاب زكاة الدراهم خمس أواقٍ، في حين جعل نصاب الدنانير عشرين دينارًا. ففي الخمس أواقيّ زكاتها خمسة دراهم، وزكاة العشرين دينارًا نصفَ دينار[١٩]. وظل الحال هكذا حتى سنة ١٨هـ، فأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يُؤخذ الوسط من بين الدراهم المتداولة في الأسواق، وهما الدرهم البغلي الذي يزن ٨ دوانق، والدرهم الطبري الذي يزن ٤ دوانق. فوسطهما بعد جمعهما ٦ دوانق، فضرب الدرهم الإسلامي بوزن ٦ دوانق سنة ١٨هـ[٢٠].

المطلب الثاني: الأوزان المستعملة في عهد الرسول ومقاديرها:

يرى المقريزي أن التعرف إلى الفرق بين وزن أهل مكة وكيل أهل المدينة يكون من خلال معرفة ما كان مستعملاً في عهد رسول الله ﷺ[٢١]. فقال: «اعلم أن الأوزان التي كانت على عهد رسول الله عشرة [٢٢]؛ هي: الدرهم[٢٣]، والدينار[٢٤]، والمثقال[٢٥]، والدانق[٢٦]، والقيراط[٢٧]، والأوقية[٢٨]، والنشّ[٢٩]، والنواة[٣٠]، والرطل[٣١]، والقنطار» [٣٢].

وبعـد أن تناول المقريـزي الأوزان عند العرب حـاول أن يستعرض كل وحدة وزن وكيل، ويبين أهمية كلٍّ منها، ومجال استعمالها في أسواق الدولة الإسلامية، فقال:

الدرهم: فأما الدرهم، فقد اختلف هل كان معلوم القدر أم لا[٣٣]؟.

القـول الأول: لم يكـن الدرهم في زمن النبـي ﷺ معلومًا حتى ضُرب الدرهم في زمـن عبدالملك بن مـروان[٣٤]. واستشهد بمـا رواه ابن عبدالـبر[٣٥] عن أبي عُبيد، قال: كانت الدراهم غير معلومة[٣٦] إلى أيام عبدالملك بن مروان، فجمعها وجعلها كل عشرة من الدراهم وزن سبعة مثاقيل. وقال أبو عُبيد: وكانت الدراهم يومئذ درهم وزنه ثمانية دوانق زيف، ودرهم وزنه أربعة دوانق جيدة[٣٧].

وفسـر ابن عبدالبر مـا قاله أبو عُبيد أن العلمـاء في عصر عبدالملك اجتمع رأيهـم علـى جمع الدرهم الذي وزنـه أربعة دوانق مع الدرهم الـذي وزنه ثمانية دوانق، فصار الوزن اثني عشر دانقًا، فأخذوا وسط الرقم وهو (٦) وجعلوه وزنًا للدرهم، فأصبح الدرهم وزنه ستة دوانق، وسمَّوه كيلاً[٣٨].

ويبـدو لي أن ابـن عبدالبر لم يكـن موفقًا في رأيـه هـذا؛ إذ إن أبا عبيد لم يقـل ذلك، وإنما قال: إن الدراهم كانت نوعـين: الأول وزنه أربعة دوانق، والثاني وزنـه ثمانية دوانق، فجاء الإسلام وهي كذلك، فلما قامت دولة بني أمية وأرادوا ضـرب الدراهم نظروا في العواقب، وقالوا: إن هذه الدراهم تبقى مع الدهر وقد جـاء فرض الزكاة، فإن جعلوا الدراهم الجديدة وزنها على غرار الدرهم الأول، فيكـون في هذا بخسًا للـزكاة؛ لأن النصاب سيكون أقـلَّ، وإن جعلوها على غرار الدرهـم الثاني يكون في هذا ضـررًا على دافعي الزكاة، فـأرادوا أن تكون هناك منزلة بين الاثنين[٣٩].

وقد أيد المقريزي رأيَ أبي عُبيد هذا، فجاء برأي الشيخ أبي محمد عبدالحق ابـن عطيـة[٤٠]، الذي قال في معرض إجابته عن سؤال من أحـد طلبته: قال أبو

عُبيد: إن الدراهم كانت على عهد رسول الله ﷺ نوعين: السوداء الوافية، وكان وزن الواحد منها ثمانية دوانق. والطبرية العتق: وزن الواحد منها أربعة دوانق. وكان الناس يزكون بشطرين من الكبار ومن الصغار. فلما أراد عبدالملك بن مروان ضرب الدراهم خشي إنْ ضرب على الوزن الوافي أن يبخس الزكاة، وإن ضرب على الطبرية يبخس حق الناس، فجمع الوزنين، وأخذ نصفها مراعاة لما كانت زكاة الناس من ذلك الدرهم، فجعل الدرهم يزن ستة دوانق[٤١].

أما القول الثاني الذي ذكره المقريزي بخصوص وزن الدرهم، فقال: قال قوم[٤٢]: إن الدرهم معلوم في زمن النبي ﷺ. فأورد رأي الداودي الذي قال: «هذا قول فاسد، لم يكن القوم ليجهلوا أصلاً من أصول الدين، فلا يعلمون فيه نصًّا، وقد كان النبي ﷺ يُخرج السُّعاة فلا يجوز أن يُظن بهم جهلٌ مثل هذا، ولم يأت ما قاله من طريق صحيح»[٤٣].

وقد علق عدد ممن كتبوا في موضوع المكاييل على قول الداودي هذا، فقالوا: لم يجز أن تكون الأوقية مجهولة الوزن في عهد رسول الله ﷺ وقد وجبت فيها الزكاة[٤٤]. يرى العزي أن ما قصده أبو عُبيد، وما فسره ابن عبدالبر والقاضي عياض مؤداه: «لولا ما قاله أبو عُبيد من أن السكة كانت على وزنين فجمعهما عبدالملك بن مروان، لجاز أن نقول: إن الدرهم الزكوي كان مسكوكًا في عصر الرسول. وما قاله الداودي لا برهان فيه؛ لأن ليس فيه أنهم جهلوا أصلاً من أصول الشريعة كما زعم»[٤٥].

ونحن نرجِّح ما قاله أبو عُبيد ومَن أيده من بعده؛ لأن أبا عبيد أشار في حديثه إلى أن الناس قبل الإسلام كانوا يتعاملون بتلك الأوزان، وجاء الإسلام وهي كما هي. وتأكيدًا لما قاله أبو عُبيد، أورد المقريزي قول ابن عبدالبر في هذه المسألة: لا يجوز أن تكون الأوقية في عهد رسول الله ﷺ مجهولة مقدار وزنها من الدراهم، ثم يوجب الرسول ﷺ فيها الزكاة، وهي لا يُعلم مقدار وزنها[٤٦]؛ إذ حدد البلاذري[٤٧] وزنها بأربعين درهمًا.

والى الرأي نفسه ذهب القاضي عياض الذي أورد العزفي رأيه الذي قال فيه: «ولا يصح أن تكون الأوقية والدرهم مجهولة القدر في زمن النبي ﷺ وهو يوجب الزكاة في أعداد منها، وتقع فيها البياعات، والأنكحة، كما جاء في الأحاديث الصحيحة. (هذا يبين أن قول من قال: إن الدراهم لم تكن معلومة إلى زمن عبدالملك حتى جمعها برأي الفقهاء، وهم)[٤٨].

وأورد المقريزي ما قاله الخزاعي بشأن الدراهم: «وإنما معنى ذلك أنها لم تكن من ضرب أهل الإسلام، وعلى صفة لا تختلف، وإنما كانت مجموعات من ضَربِ فارس والروم، وصغارًا وكبارًا، وقطع فضة غير مضروبة، ولا منقوشة، ويمنية، ومغربية، فرأوا صَرفها إلى ضرب الإسلام، ونقشه، وتصييرها وزنًا واحدًا لا يختلف، وأعيانًا يُستغنى بها عن الموازين، فجمعوا أصغرها وأكبرها وضربوه على وزنهم الكيل، ولعله كان الوزن الذي يتعاملون به حينئذ كيلاً بالمجموع، ولهذا سمي كيلاً وإن كانت قائمة مفردة غير مجموعة»[٤٩].

ولم يكتف المقريزي برأي الخزاعي، فأورد رأي ابن عبدالبر في هذه المسألة، الذي قال: «وما أظن عبدالملك وعلماء عصره نقصوا شيئًا من الأصل، وإنما أنكروا وكرهوا الضرب الجاري عندهم من ضرب الروم وفارس، فردوها إلى ضرب الإسلام»[٥٠]. وكما سبق أن أشرنا أن مبادرة الخليفة عبدالملك بن مروان تميزت أنه أزال الشارات الأجنبية من الدراهم والدنانير، وبذلك أصبحت دنانير ودراهم إسلامية خالصة.

ولتعزيز وجهة النظر هذه وتأكيدها، أورد المقريزي ما قاله الخطابي، إن قول رسول الله ﷺ «الوزن وزن أهل مكة»: «معناه أن الوزن الذي يتعلق به حق الزكاة في النقود، وزن أهل مكة، وهي دراهم الإسلام المعدلة منها العشرة بسبعة مثاقيل،... والدرهم الوزان الذي هو من دراهم الإسلام الجائزة بينهم في عامة البلدان، ستة دوانيق، وهو نقد أهل مكة، ووزنهم الجائز بينهم، وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عددًا وقت مَقدَم رسول الله ﷺ إياها، والدليل على صحة

ذلـك أن عائشة رضي الله عنها قالت فيما رُوي عنهـا من قصة بَرِيرة: «إن شاء أهلُكِ أن أعدَّها لهم عدة واحدة فعلتُ». تريد الدراهم التي هي ثمنها. فأرشدهم رسـول الله ﷺ إلـى الوزن فيها، وجعل العيار وزن أهل مكـة، دون ما يتفاوت وزنه منها في سائر البلدان»[٥١].

ونختـم هنا بما قاله العزيز: «إذا كان للإسلام ضرب ووزن، فما الذي جمع عبدالملـك بـرأي الفقهاء؟ هل جمع نقـود أهل الأرض وضـرْب ملوكها المختلفة؟ وهـذا لا ينبغي لـذي القرنين الذي ملك الأرض، وليس مثـل عبدالملك الذي ملك بعضـ الأرض. والحسُّ شاهد والعيان ببقـاء النقود القديمة المختلفـة في الزِّنَة والصفة والقيمة إلى الآن. وإن أراد جمع عبدالملك تلك الدراهم وردها إلى ضرب الإسـلام، ضـرب ووزن يوافق الإسلام، ونقشـ عليها ما تتميز بـه، ومنع الناس التعامل بغيرها، لتسهل بذلك الزكاة»[٥٢].

والذي نريد أن نؤكده أن الدراهم التي ضُربت قبل خلافة عبدالملك بن مروان كانت مـا زالت تحمل بعض الشارات الأجنبية، فلما ساءت العلاقة بين عبدالملك ابن مـروان والإمبراطور البيزنطي جستنيان الثـاني استشار عبدُالملك خالدَ بن يزيـد، والإمام الباقر محمـد بن علي بن الحسين عليهم السـلام، اللذيْن أشارا عليه بـأن يضرب نقودًا عربيـة إسلامية خالية من الشـارات الأجنبية، ويضبط أوزانها بصنجات من قوارير بحيث تستحيل الزيادة أو النقصان[٥٣].

وزن الدراهـم وعيارها: قـال المقريزي: وقد تكلم الناس في هذا الباب، وهل كانـت هذه الدراهم لم تزل في الجاهلية على هذا العيار والوزن؟ وقسم من تكلم في هـذا الأمـر إلى رأيين، الأول: ذهب إلى أن الوزن فيها لم يزل على هذا العيار، وإنما غيروا السكة منها، ونقشوا فيها اسم الله عز وجل، وقام الإسلام[٥٤].

ويـرى المقريـزي أن الأوقية كان وزنها أربعين درهمًـا، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ليـس فيمـا دون خمسـة أواق من الورِق صدقـة»[٥٥]. وهي مائتا درهم.

وهنا قال المقريزي: «وقد بلغني عن ابن سُريج[٥٦] أنه كان يقوله ويذهب إليه».

والرأي الثاني: قال أصحابه: كانت الدراهم معلومة القدر، غير موجود العين. وإنما توجد صنجته، ومنه تتركب الأوزان التي فوقه؛ كالدينار والأوقية والرطل وغيرها[٥٧]. وهنا جاء المقريزي برأي الخزاعي الذي مؤداه أن الدرهم معلوم القدر غير موجود العين، وإنما توجد صنجته، ومنه تتركب الأوزان التي فوقه، بالدينار والأوقية والرطل وغيرها. ومن أبين الأدلة على ذلك ما أخرجه النسائي[٥٨] عن مالك بن عميرة[٥٩] قال: بِعت من رسول الله ﷺ رجل سراويل[٦٠] قبل الهجرة بثلاثة دراهم لي، فأرجح، وأعطى الوزان أجره[٦١].

ولكي يؤكد المقريزي وجه النظر التي أوردها جاء بحديث رواه جابر بن عبدالله الذي قال: «اشترى مني النبيﷺ بعيرًا بأوقيتين ودرهم أو درهمين»[٦٢]. ولما عاد النبي ﷺ إلى المدينة أرسل في طلب جابر بن عبدالله لكي يوفيه ثمن البعير. قال جابر: «فوزن لي ثمن البعير فأرجح لي»[٦٣].

وقال المقريزي[٦٤] بكل ثقة واطمئنان: لو لم يكن الدرهم معلومًا في حين عقد البيع بين الصفقتين لما صح البيع، ولما عُرف الرجحان الذي أرجح لهما النبي ﷺ بعد استيفائهما حقوقهما.

وحاول المقريزي أن يرجح بين القولين، فقال للجمع بين القولين، ولدفع التعارض بينهما: إن الدرهم في مكة كان معلومًا في زمن رسول الله ﷺ على أن المراد بذلك قدره ووزنه لا عينه[٦٥]. وإن الجمع بين القولين يدل على أن الدراهم كانت غير معلومة الوزن إلى أيام عبدالملك بن مروان، أن المراد بذلك أنها لم تكن معلومة بأعيانها، وإنما كانوا يتعاملون بتلك الدراهم المختلفة المتنوعة، ويرجعون في أقدارها إلى قدر الدرهم المعلوم، الذي يتركب منه الأوقية والنش والنواة، والله أعلم[٦٦]. متجاهلاً ما سبق أن قاله في كتابه الآخر، من أن الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ضرب دراهم إسلامية منذ سنة ١٨هـ[٦٧]، ونسي أو تناسى هذه الرواية الموثوقة بأكثر من مصدر متقدم، وانساق وراء ما ذهب

إليه العزيفي الترجيح بين القولين، الذي قال: الصحيح المعتمد، المستولي على قائله على الأمد، أن الإسلام لم يكن له ضرب في الدراهم والدنانير، ولا نقش يلوح عليها لأهل الإسلام ويُنير، فأما الوزن فأمر قد سبق، واستقر في الشريعة، لمكان التعبد وتحقق. ولهذا اجتمع على فعله جميع الفقهاء، كما أجمعوا أن الأوقية أربعون درهمًا [٦٨]. ومرة أخرى نقول: إن رأي العزيفي هذا لا يصمد أمام الوقائع التاريخية الموثوقة.

مقدار الدرهم: وزعم المقريزي أن الدرهم الشرعي حدد وزنه على قولين: أحدهما ما ذكره أبو العباس بن سُريج: أن الدرهم في مكة، في زمن النبي ﷺ، كان من ستة دوانق، وأن عدد حبوبه خمسون حبة، وخُمسا حبة[٦٩]، وإنما غُير في الإسلام نقشه[٧٠]. وذكر المقريزي ما قاله أبو محمد بن عطية عن الحبة: بأن الحبة التي تركَّب منها الدراهم هي حبة الشعير المتوسطة الحجم، غير مقشرة، بعد أن يُقطع من طرفيها شيء يسير[٧١].

والقول الثاني: عن مقدار الدرهم، والذي وثَّقه المقريزي[٧٢]، عن ابن حزم الذي قال: «بحثنا[٧٣] غاية البحث عن كل من وثقت بتمييزه، فكلٌّ اتفق لي أن دينار الذهب بمكة وزنه اثنتان وثمانون حبة، وثلاثة أعشار حبة، بالحب من الشعير المطلق، والدرهم سبعة أعشار المثقال، فوزن الدرهم المكي سبع وخمسون حبة، وستة أعشار حبة، وعشر حبة»[٧٤]. وذكر المقريزي[٧٥] أن ما قاله ابن حزم، ذكره قبله الإمام أحمد بن حنبل[٧٦].

وسجل المقريزي اعتراض العزيفي[٧٧] على رأي ابن حزم، بأن ذلك لعلة مخصوصة بزمن ابن حزم، وذلك بعد نحو أربعمائة سنة من الهجرة، وأن الدينار والدرهم لم يزالا على ذلك من عهد النبي ﷺ إلى ذلك الزمن بمكة، مع إمكان اختلافه عند تعاقب الولاة، مع ما عهد من اختلاف وزن الدينار والدرهم والمكاييل عند تغير الولاة واختلاف الأزمنة.

ولكي يعزز المقريزي وجهة نظره في مقدار الدرهم، لم يكتف برأيه الشخصي، بل أورد آراء الفقهاء فيه، وأخذ رأي أحد أشهر علماء الرياضيات في عصره، وهو ابن البناء[٧٨]، الذي أثنت المصادر المختصة على رجاحة عقله وغزارة علمه، وإتقانه لهذا العلم، وكتب هو رسالة في تبيان هذا الأمر أسماها **مقادير المكاييل الشرعية**، فقال: «وأما ما نقله صاحب **الجواهر** عن عبدالله بن أحمد: أن دينار الذهب وزنه بمكة اثنتان وثمانون حبة، وثلاثة أعشار حبة، وذلك بالحب المطلق من الشعير، فيكون وزن الدرهم بالحب المطلق سبعًا وخمسين حبة وكسرًا، لأن الدرهم سبعة أعشار الدينار»[٧٩].

ويخرج المقريزي برأي ثابت مستقر مطمئن، معقِّبًا على ما قاله ابن البناء، وجمع بين القولين، فقال: هذا قول مشهور، فليس بين القولين اختلاف، لأن الوزن في القول الأول بالوسط من الشعير، وفي هذا القول بالحب المطلق، ولا يبعد أن يكون بين المطلق والوسط ذلك القدر من التفاوت، وهذا جمع بين القولين، والله أعلم[٨٠].

مقدار الدينار والمثقال[٨١]: في مستهل كلامه عن الدرهم والدينار استشهد المقريزي برأي أبي عُبيد، الذي قال: لم يزل المثقال في آباد الدهر مؤقتًا محدودًا[٨٢]. ومن ثم رأى المقريزي[٨٣] أنه من الضروري ذكر رأي الخطابي[٨٤] الذي قال: كانت الدنانير تُحمل إليهم في زمن النبي ﷺ من بلاد الروم، وكانت العرب تسميها الهرقلية.

ويبدو أن المقريزي أراد أن يعتمد الآراء التي أوردها في مسألة مقدار وزن الدينار، من دون تمحيص أو تدقيق، بدليل أنه قال: قال ابن عبدالبر[٨٥]: روى جابر بن عبدالله بإسناد لا يصح: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدينار أربعة وعشرون قيراطًا»[٨٦]. ويرى ابن عبدالبر أن الحديث وإن كان في إسناده ضعف إلا أن الإجماع على معناه يغني عن الإسناد فيه[٨٧]. وأضاف ابن رشد إلى نص الحديث: «والقيراط ثلاث حبات شعير»[٨٨]. والغريب أن ابن رشد لم

يعلق على الحديث كما علق من قبله ابن عبدالبر، لكنه أضاف أن الدينار اثنتان وسبعون حبة من الشعير، ويرى أن الأوزان لم تختلف في الدينار، كما اختلفت في الدراهم[٨٩].

ويبدو لي أن المقريزي كان مقتنعًا بأن الدينار يزن درهمًا وثلاثة أسباع الدرهم، فقد نقل[٩٠] عن الخزاعي[٩١] ما قاله علي بن محمد اللخمي[٩٢]: من أن الدينار درهم وثلاثة أسباع درهم، وهو سُبع العشرة، والعشرة دراهم سبعة دنانير[٩٣]. وهذا ما ورد عند البلاذري[٩٤] أيضًا.

ثم قال المقريزي: تقدم قول ابن حزم[٩٥]: إن وزن الدينار اثنتان وثمانون حبة، وثلاثة أعشار حبة[٩٦].

ويعرِّف المقريزي المثقال، فيقول: اسم لما له ثقل؛ سواء كبر أو صغر، وغلب عُرفه على الصغير، وصار في عُرف الناس اسمًا للدينار، والله أعلم[٩٧].

الدانق[٩٨]: نبه المقريزي إلى أن مقدار الدانق لم يشهد اختلافًا كما شهد الدرهم أو الدينار، لا بل أشار إلى أنه تَمَّ إجماع على أنه سدس الدرهم، فيكون وزنه على قول من قال، إن الدرهم خمسون حبة وخُمسا حبة بالوسط، ثماني حبات وخُمسا حبة من الشعير[٩٩]. ويبدو لي أن كلام المقريزي هنا يميل إلى نفي وجود اختلاف في الدانق، أمر يحتاج إلى مراجعة؛ إذ إن بعض فقهاء الشافعية قال بأن الدانق اختلف في الإسلام عما كان عليه في الجاهلية، وأيّد هذا الرأي ابن الرفعة[١٠٠].

القيراط[١٠١]: قال المقريزي: القيراط جزء من أربعة وعشرين جزءًا من الدينار، وهو ثلاث حبات من الشعير[١٠٢].

الأوقية: قال المقريزي إن الأوقية تزن أربعين درهمًا، واستدل على هذا بحديث رسول الله ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أواق من الورِق صدقة»[١٠٣]. وكذلك قوله ﷺ: «ليس فيما دون مائتي درهم زكاة، فإذا بلغت مائتي درهم، ففيها خمسة دراهم»[١٠٤]. وبعد هذا أدلى المقريزي برأيه بكل جرأة، فقال: إن الأوقية أربعون درهمًا[١٠٥].

ولم يكتف بهذا، فقد أورد ما رواه سلمة بن عبدالرحمن: بأن صَداق رسول الله ﷺ لأزواجه اثنتا عشرة أوقية ونشًّا[١٠٦]. والنَّش نصف أوقية، وعلى هذا يكون النَّش عشرين درهمًا[١٠٧].

النواة: جاء المقريزي بما قاله أبو عُبيد: هي خمسة دراهم[١٠٨]، وقال ابن الأثير: اسم لخمسة دراهم[١٠٩]. وذكر المقريزي أن الذي ذهب إليه ابن الأثير يخالف رأي أبي عُبيد؛ إذ كان أبو عُبيد يرى أن النواة تعني مقدار الذهب الذي يزن خمسة دراهم، وهو ما يسمى نواة، وليس أي خمسة دراهم تسمى نواة[١١٠].

ويرى المقريزي أن ما قاله أبو عُبيد هو الصواب مقارنة النواة بالأوقية والنَّشِّ، فقال: ألا ترى أن العشرين يقال لها نَشّ، وللأربعين أوقية[١١١]. ونبه المقريزي إلى أن هناك من يرى أن النواة هي مِن ذهب قيمتُها خمسة دراهم[١١٢].

وجاء رأي المقريزي منسجمًا مع ما أورده المبرد الذي عاش في القرن الثالث الهجري: «وأصحاب الحديث يقولون: على وزن نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم، وهذا خطأ وغلط، العرب تقول نواة، فتعني بها خمسة دراهم، كما تقول النَّشّ للعشرين درهمًا، والأوقية للأربعين درهمًا، فإنما هو اسم لهذا المعنى»[١١٣].

الرطل: الرطل هو من أكثر وحدات الوزن في العصور الإسلامية استعمالاً[١١٤]. قال عنه المقريزي: ثبت في صحيح مسلم[١١٥] وغيره[١١٦] عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ: يتوضأ بالمُد، ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمدد[١١٧].

المُد والصاع: قال المقريزي: الصاع يذكَّر ويؤنَّث، فاذا أُنِّث قيل: ثلاث آصع، وإذا ذُكِّر قيل: ثلاثة أصواع[١١٨]. يرى المقريزي من خلال قراءته لمجموعة من المصادر المتخصصة أن ثمَّ اختلافًا في مقدار المُدّ والصاع[١١٩].

القسم الأول: وهم أهل العراق، يروْن أن صاع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أرطال، ومُده رطلان[١٢٠]. لكن قال القاضي شريك ـ كما ذكر المقريزي ـ:

الصـاع أقل من ثمانية، وأكثر من سبعة[١٢١]. بينما يرى سفيان الثوري أن الصاع هـو مثل القفيز الحجَّاجـي[١٢٢]. في حين يرى ابن أبي ليلـى أن الصاع يزيد على القفيز الحجَّاجي مكيالاً[١٢٣].

والقفيـز الحجَّاجي: هو صاع عمر، وكان الحجـاج يَمُنُّ به على أهل العراق، ويقول: ألم أُخرِّج لكم صاع عمر[١٢٤]؟ وحصل عند بعض الفقهاء لبس بين الصاع الأول (صـاع الحجـاز)، والصاع الثاني (صاع عمر)، لكـن ابن حزم حسم هذا اللبـس، وجـزم بأن الصاع الثـاني صاع عمر، ولا يجوز أن يكـون صاع النبي ﷺ؛ لأنه لو كان صاع النبي ﷺ لنُسب إليه. وأما الصاع الحجَّاجي، فنقل ابن حزم عن الحجاج أنه قال: صاعي هذا صاع عمر، أعطتنيه عجوز بالمدينة[١٢٥].

ولتوضيـح الأمـر أكـثر، أرى من المهـم أن المصـادر اتفقت علـى أن القفيز الحجَّاجي يُقصد به صاع عمر[١٢٦].

ويرى أبو عُبيـد أن أهل العراق قالوا بأن الصاع ثمانية أرطال؛ لأنهم سمعوا حديثًا بأن النبي ﷺ يغتسل بصاع، وسمعوا حديثًا آخر: أنه ﷺ كان يغتسل بثمانية أرطـال، لهذا اضطرب قولهم. ولا خلاف بين أهل الحجـاز في أن الصاع خمسة أرطال وثلث رطل، يعرفه عالمهم وجاهلهم، ويباع في أسواقهم، ويُحمل علمه قرنًا بعد قرن[١٢٧].

ووضـح المقريزي ذلك أكـثر، فقال: ودليل العراقيين علـى أن الصاع ثمانية أرطـال: ما جاء أن النبي ﷺ كان «يغتسل بالصاع»[١٢٨]. وما جاء أنه عليه السلام «كان يغتسل بثمانية أرطال»[١٢٩]. والحديث الآخر الذي أدى إلى التباس الأمر على أهل العراق حديث «أنه كان يتوضأ برطلين»[١٣٠]. وهنا قال المقريزي: فتوهموا أن الصـاع ثمانية أرطـال. ولا خلاف بين أهل الحجاز فيه؛ إذ هم يعرفونه ـ الصاع ـ ويتبايعون به في أسواقهم، وأحكام المسلمين تدور فيما ينوبهم من أمر الكيل، وفي زكاة الأرضين، وصدقة الفطر، وفدية النُّسك، وكفارة اليمين[١٣١].

قال المباركفوري: «اعلم أن الصاع صاعان: حجازي، وعراقي؛ فالصاع الحجازي خمسة أرطال وثلث رطل، وسُمي بالحجازي لأنه كان مستعملاً في الحجاز. والعراقي ثمانية أرطال، ويقال له عراقي لأنه كان مستعملاً في العراق، وهو الذي يقال له الحجَّاجي. والحِجازي هو الذي كان مستعملاً في عهد النبي ﷺ وبه كانوا يخرجون صدقة الفطر، وبه قال مالك والشافعي وأحمد وأبو يوسف والجمهور، وهو الحق. وقال أبو حنيفة رحمه الله بالصاع العراقي. وكان أبو يوسف يقول بقوله، فلما دخل المدينة وناظر الإمام مالكًا رجع عن قوله، وقال بقول الجمهور»[١٣٢].

أما القسم الثاني: فهم أهل الحجاز، ونقل المقريزي عن إسحاق بن راهويه: أن الصاع خمسة أرطال وثلث برطل زماننا. والمُد ربع الصاع، وإليه ذهب أبو عُبيد أيضًا[١٣٣]. وبين المقريزي[١٣٤] أن المُد يساوي رطلاً وثلثًا. والصاع خمسة أرطال وثلثًا. وكذلك الصاع ثلث الفَرَق. والفَرَق: ستة عشر رطلاً. والقِسط نصف صاع[١٣٥].

ويعرِّف المقريزي الفَرَق بقوله: بتحريك الراء، وقيل بإسكانها، مكيال، في الغالب كان يصنع من الخشب[١٣٦]. وكان محمد بن شهاب الزهري يقول: إنه يسع خمسة أقساط من أقساط بني أمية[١٣٧]. وذكر قول محمد بن عيسى الأعشى بأن الفَرَق ثلاثة آصُع، وهي خمسة أقساط، والخمسة أقساط تساوي اثني عشر مُدًّا بمُد النبي ﷺ، وهذا يدل على أن القِسط يساوي خمسة أرطال وخُمس رطل[١٣٨].

وجاء المقريزي بقول الجوهري أن القِسط يساوي نصف صاع، والفَرَق ستة أقساط[١٣٩]. واستنتج المقريزي أن القسط يساوي رطلين ونشًّا[١٤٠]، وقال: إن ابن الأثير جعل الفَرَق خمسة أقساط[١٤١]. ويرى المقريزي أن قول ابن الأثير هذا منافٍ لقول من قال: إن الفَرَق ثلاثة آصُع[١٤٢]. ولكنه عاد وذكر ما أورده ابن عبدالبر من آراء الفقهاء بأن الفرق يحمل ثلاثة أصواع[١٤٣]. وجاء المقريزي برواية عن الإمام أحمد في مقدار الفَرَق، الذي قال: الفَرَق ستة عشر رطلاً[١٤٤].

وذكـر المقريزي رواية الأثرم عن الإمـام أحمد الذي قال: الفَرَق ثلاثة آصُع[١٤٥]، ستـة أقساط، ولم يرد أنه عليـه الصلاة والسلام توضأ بأقـلَّ من مُدٍّ ولا اغتسل بأقلَّ من صاع[١٤٦].

وأورد المقريـزي[١٤٧] رأي القاضـي عياض في تحديد مقـدار المُد، فقال: المُد رطل وثلث، والصاع خمسة أرطال وثلث[١٤٨].

وبعدمـا عرضـ المقريـزي هـذه الآراء قـال وبـكل اطمئنان: هذا قـول أهل الحجاز، وهو الصحيح[١٤٩].

مقـدار صـاع النبي ﷺ: جاء المقريزي برأي الشيرازي، وهو من أعلام الفقه الشافعـي في القرن الخامس الهجري؛ إذ قـال: روى عمر بن حبيب القاضي[١٥٠] أنـه قال: حججـت مع أبي جعفر المنصـور، فلما قدم المدينة قـال: ائتوني بصاع رسول الله ﷺ فأتي به، فعايره فوجده خمسة أرطال وثلثًا برطل أهل العراق. قال أبـو عُبيد: وهو الـذي عليه العمل، على حد قول المقريـزي. وقد اختلف في مقدار الرطل؛ فقيل: إنه مائة درهم وثمانية وعشرون درهمًا. قال أبو عُبيد: صاع النبي ﷺ هـو ـ كمـا أعلمتُك ـ خمسـة أرطال وثلـث. والمُد ربعه، وهو رطـل وثلث، وذلك برطلنا الذي وزْنُه مائة وثمانية وعشرون درهمًا[١٥١].

ويورد المقريزي رأي أبي عُبيد الذي قال: الدراهم وزن عشرة؛ أي كل عشرة دراهم منها تساوي سبعة مثاقيل، وهي دراهم الكيل. وقيل: الرطل مائة وثلاثون درهمًا كيلاً[١٥٢].

وأورد المقريـزي بعـد ذلـك رأي الـداودي الذي مـؤدَّاه أن: الرطـل في قول الجميـع نصف مَـنٍّ، والمَنُّ مائتا درهم كيـلاً وستون درهمًـا[١٥٣]. وبيَّن المقريزي أن ثمـة اختلافًا في مقدار الرطل، فقال: قيل إنـه اثنتا عشرة أوقية، وزن الأوقية عشرة دراهم وثلثا درهم، فذلك مائة درهم وثمانية وعشرون درهمًا، وهو الرطل العراقـي البغدادي، وهو الرطل الفلفلـي[١٥٤]. وقيل: إنه اثنتا عشرة أوقية وأربعة أخماس الأوقية، وزن الأوقية عشرة دراهم خاصة[١٥٥].

مقدار مُد النبي ﷺ: المُد من وحدات الكيل، ويساوي ربع الصاع[١٥٦]. ولما تناوله المقريزي قال: سُئل الداودي عن زنة مُد النبي ﷺ، فقال: سبع عشرة أوقية وثلثا درهم[١٥٧]. فقال المقريزي: فإذا قسمت ذلك على رطل وثلث، وهو وزن المُد الذي حكى [الداودي] الإجماع عليه، خرج لنا واجب الرطل، اثنتا عشرة أوقية، وأربعة أخماس الأوقية، فذلك مائة درهم وثمانية وعشرون درهمًا، من دراهم الكيل[١٥٨].

ويبدو لي أن المقريزي لم يرجِّح الرواية الأخرى في مقدار المُد؛ إذ قال: وقيل إنه إحدى عشرة أوقية، وثلث أوقية، وثلثا ثلث أوقية، والأوقية وزن عشرة دراهم كيلاً، فذلك مائة درهم وخمسة عشر درهمًا، وخمسة أسباع درهم[١٥٩].

القنطار[١٦٠]: القنطار من وحدات الوزن الكبيرة المستعملة في أسواق الدولة الإسلامية. تناوله المقريزي فذكر أن أبا عُبيد قال في كتاب **الغريبين**: القنطار عند العرب المال الكثير[١٦١]. وقد قال بهذا الرأي جمع من المفسرين[١٦٢]،والمحدثين[١٦٣]. واستعرض المقريزي[١٦٤] بعد ذلك الآراء التي تناولت مقدار القنطار، فقال: ملء مَسْك ثور ذهبًا. ثم أورد قول القاضي عياض: أصله في لسان العرب: الجملة الكثيرة من المال[١٦٥]. وقيل: هو ثمانون ألفًا[١٦٦]. وقيل: أربعون أوقية ذهبًا[١٦٧]. وقيل ألف ومائتا دينار[١٦٨]. وأورد المقريزي[١٦٩] رواية عن ابن سِيدَه مؤداها أن السُدِّي قال: هو مائة رطل من ذهب أو فضة. وذكر المقريزي أن ابن عطية قال: هو العقدة الكبيرة من المال[١٧٠]. وروى عن أُبي بن كعب أنه قال: القِنْطَارُ ألف ومائتا أوقية[١٧١]. ثم ختم المقريزي كلامه بالقول: هذا قول معاذ بن جبل وعبدالله بن عمر وأبي هريرة وعاصم بن أبي النجود[١٧٢].

المبحث الثاني: الأكيال المستعملة شرعًا

في البدء ذكر المقريزي الأكيال الشرعية المستخدمة في عصر النبي ﷺ[١٧٣]، ومن ثمَّ فصل في كل واحد منها؛ فقال: الأكيال المستعملة شرعًا[١٧٤] هي: المد[١٧٥]، والصاع[١٧٦]، والفَرَق[١٧٧]، والعَرق[١٧٨]، والوَسق[١٧٩].

المطلب الأول: أنواع الأكيال: بعد هذا ينتقل المقريزي إلى إعطاء مزيد من التوضيح لكل هذه المكاييل.

المُد: ويقال: المُدّي[١٨٠] بضم الميم وإسكان الدال، وجمعه مداد، وأَمْداد، ومِدَد[١٨١]. وذكر رأي الخطابي في أصل المُد؛ قال الخطابي: المُد مقدَّر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعامًا؛ ولذلك سمي مدًّا[١٨٢]. واستشهد المقريزي بما قاله ابن قتيبة: «أما أهل الحجاز، فلا اختلاف بينهم فيه أعلمه، يعرفه عالمهم وجاهلهم، ويتبايعون به في أسواقهم، وأحكام المسلمين تدور فيما ينوبهم من أمر الكيل في زكاة الأرضين وصَدقَة الفِطْر وكفّارة اليمين وفِدْية النُّسك، على أن المُدَّ رَطْل وثُلُث»[١٨٣].

وأكد المقريزي مقدار المُد بذكر رأي الداودي المؤيد للخطابي وابن قتيبة[١٨٤]. وبعد ذلك جاء المقريزي[١٨٥] برأي العزفي[١٨٦]، الذي قال: جربنا هذا المُدَّ المعتمد بالحفنات والأكُف المختلفات، فوجدنا الحفنة بالكفين العريضتين تزيد عليه، ووجدته بالكفين الدقيقتين تقصُر عنه، ووجدناها بالكفين المتوسطين كفاءً له[١٨٧]. وأورد المقريزي رأي أبي حنيفة والنخعي في مقدار المُد؛ إذ قالا إنه يساوي رطلين بغداديين[١٨٨].

الصاع: قال المقريزي: فيه قولان:

الأول: ما قاله أبو عُبيد: «أهل الحجاز لا اختلاف بينهم فيما أعلمه أن الصاع عندهم خمسة أرطال وثُلث، يعرفه عالمهم وجاهلهم، ويُباع به في أسواقهم، ويَحمل علمَه قرنٌ عن قرن»[١٨٩].

ولم يفت المقريزي أن يذكر رأي الشافعي، ولا غرابة في ذلك، فهو شافعي المذهب[١٩٠]، إذ قال الشافعي: صاع النبي ﷺ أربعة أمداد من مُده صلى الله عليه وسلم[١٩١]. ومن هنا ذهب الإمام الشافعي إلى تحديد مقدار مُد النبي ﷺ، فقال: هو رطل وثلث[١٩٢]. وبذلك قال المقريزي: الصاع يساوي خمسة أرطال وثلثًا[١٩٣].

والقـول الثاني حـول مقـدار الصـاع الـذي أورده المقريزي: فهـو رأي أهل العـراق[١٩٤]. فأصحـاب هذا القول يـرون أن مُدَّ النبي ﷺ رطـلان، وليس رطلاً وثلثًـا كما قـال جمهور الفقهاء، وعلى هـذا الأساس يكون الصـاع يساوي ثمانية أرطال[١٩٥].

وساق المقريزي رواية تؤكد صحـة رأي الإمام الشافعي الذي ذكرناه، فقال: حج الخليفة هارون الرشيد، وكان مصطحبًا معه القاضي أبا يوسف، والتقى أبو يوسف بالإمام مالك في موسم الحج، وناظره في مقدار الصاع والمُد، فما كان من الإمـام مالك إلا ان استدعى أبناء المهاجريـن والأنصار من أهل المدينة المنورة، وطلـب منهم أن يأتـي كل واحد منهم بالمُد أو الصاع الذي عنده، فجاؤوا بمكاييل آبائهـم التي توارثوها عـن أجدادهم أصحاب رسول الله صلـى الله عليه وسلم، والتـي كانت متداوَلة في عهد النبي صلـى الله عليه وسلم، فاتفقت كلها، وكل من أتى بمُدٍّ، قال: إنه أخذه عن أبيه أو عن عمه، أو عن جده، مع إشارة الجمهور إليه (أي إلى هذا المُد)، واتفاقهم عليه اتفاقًا يُوجب العلم ويقطع العذر بعد أن أخرج مالك رحمه الله صاعًا، وقال: هذا صاع النبي صلى الله عليه وسلم[١٩٦].

ولم يقتنـع القاضـي أبو يوسف إلا بعـد أن قدَّره فوجده خمسـة أرطال وثلث الرطـل، واجتمعت الأمـداد كلها[١٩٧]، فنـزع أبو يوسف رحمه الله عـن رأي أهل الكوفة في الصاع والمُد، ورجع إلى قول أهل المدينة لَمَّا تبين له الحق[١٩٨].

وإزاء ذلـك حصلـت القناعة التامـة لأهل العراق بصحة مـا عرضه الإمام مالـك، ولذلك حسم ابن حجر وغيره من العلماء أمرهم في هذه المسألة، وأثبتوا أن هـذه الحادثة وقعت وليس فيها أدنى شك[١٩٩]. وفي ضوء ذلك قال أحد فقهاء المالكيـة: «نقل الثقات الأثبات العلمـاء المحققون مناظرة أبي يوسف مع إمام دار الهجرة مالك بن أنس»[٢٠٠].

الفَـرَق: يـرى المقريـزي أن الفَـرَق يسـاوي ثلاثـة أصـواع، وهـو ستة عشر رطلاً[٢٠١].

العَـرَق: قال المقريـزي: إن العرق يعني القُفَّة، أو الزنبيل، وهو مكيال يسع ما بين خمسة عشر صاعًا إلى عشرين صاعًا[٢٠٢].

الوَسَـق: يسـاوي ستـين صاعًـا بصـاع النبي ﷺ، وذلـك يسـاوي ثلاثمائة وعشريـن رطلاً عند أهل الحجاز كمـا قال المقريزي[٢٠٣]. ومن ثم أورد المقريزي رأي الفراهيـدي[٢٠٤] في مقـدار الوَسَق، فهو يرى أنه يسـاوي حِمل بعير. في حين قال ابن سِيدَه: الوَسَق عدلان[٢٠٥]، لأن الوَسقَين أربعة أعدال[٢٠٦]. وذكر المقريزي رأي ابن دريد بأن الوسَق يساوي وزن خمس مئة رطل[٢٠٧].

ويبدي المقريزي رأيه في ضبط كلمة الوسق؛ فهو يرى أن هناك وسقين: الأول يُكتـب بفتح الـواو، ومقداره ٣٢٠ رطـلاً، والثاني يُكتب بكسر الـواو مقداره مائة وعشرون رطلاً[٢٠٨]. ومن خلال هذه الأرقام ذهب المقريزي إلى أنه يمكن التمييز بين الوسقين، (كل وسق ثمانية مكاكيك)، كل مكوك ثلاث كيلات، والكيل ستمائة درهم[٢٠٩].

القفيـز: مكيـال يسـع ثمانية مكاكيـك، والمكوك: صـاع ونصـف، وهو (أي المكوك) خمس كليجات، وهو مكيـال أهل العراق، وجمعه مكاكيك، ومكاكي على البدل[٢١٠].

الإردب: مكيـال أهـل مصر، كثيرًا ما تُكال به الحنطـة، وهو أربعة وعشرون صاعًا[٢١١].

النَّصِيْـف: لم يذكـر المقريزي[٢١٢] رأيه فيه، فقـال: قال ابن دريد: النصيف مكيـال يـكال به. وقـد بينت مصادر أخـرى مقـدار النصيف، بأنـه مكيال دون المُد[٢١٣].

القِسـط: وهو من المكاييل التي ذكرها المقريزي[٢١٤] ولم يفصِّل فيها، فقال: يساوي نصف صاع في مصر خاصة.

المطلب الثاني: تاريخ ضرب الدراهم

معنى السِّكة:

لم يُـرد المقريـزي[٢١٥] ختم كتابه عـن الأوزان والمكاييل مـن دون أن يتناول السِّكـة، وما المقصود بها. فقال: السِّكة، بكسر السين، سكة الدراهم. وقال: نهى رسـول الله ﷺ عن كسر سكة المسلمـين إلا من بأس[٢١٦]. ونص الحديث كما ورد في كثـير من المصادر الحديثية: «نهـى رسول ﷺ أن تُكسر سكة المسلمين الجائزة بينهـم إلا مـن بأس»[٢١٧]. ويبـدو لي أن المقريزي لم يكن موفَّقًـا إلى حد كبير في الاستشهـاد بهذا الحديث الذي أجمـع المحدِّثون على أنه حديث ضعيف[٢١٨]، لأن أبرز رواته من الضعفاء والمجاهيل[٢١٩].

وعلـى الرغم من ذلك، فإن الحديث - علـى ضعفه - فيه حكمة بالغة، يتوجب الوقـوف عندها بعد التعرف إلى معاني بعض كلماته. فالسِّكة بكسر السين، هي القالب أو الختم على النقود التي يتعامل بها الناس، وتتسم بالاستجادة والخلوص برسـم تلك العلامات فيها. وقد يندرج النظر فيها من قِبَل الخلافة، أو في عموم ولايـة القاضي[٢٢٠]. ويُسمى كل نقد واحد منها سكة؛ لأنَه طبع بسكة حديد، وهي الحديدة المنقوشة التي تُطبع عليها الدراهم والدنانير[٢٢١].

فالمقصود بـ(تكسر سكة) أي أن يكسر الدرهم ويُجعل فضة، ويُكسر الدينار ويُجعـل ذهبًـا[٢٢٢]. والمقصـود بـ(الجائـزة) أي تلـك السكة النافـذة والمقبولة في معاملاتهـم، والمقصـود بـ(إلا مـن بأس) أي إلا أن تكـون زيوفًا، ويوجد سبب لكسرها وإعادة سكها على وفق الوزن الشرعي[٢٢٣].

حـاول المقريزي في نهاية كتابـه الأوزان والأكيال الشرعية أن يفرد صفحات قليلـة تنـاول فيها تاريـخ ضرب الدراهم، وعلـى الرغم من أن هـذا الموضوع قد طرقـه قبله كثيرون، إلا أنه تميز عنهم جميعًا بأنه جمع الآراء والروايات كلها في هذا الشأن، ووازن بينها.

فقال: حصل اختلاف في تحديد أول من ضرب الدراهم، فهو يرى أن الآراء في هذا الأمر تنقسم ثلاثة أقسام؛ هي:

الـرأي الأول: رواه القاضـي أبـو الحسـن علـي بـن محمـد المـاوردي[٢٢٤] (ت٤٥٠هـ)، فقال: إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لَمَّا رأى اختلاف الدراهم،

وأن منها البغلي[٢٢٥]، والطبري[٢٢٦]، والمغربي[٢٢٧]، واليمني[٢٢٨].

وقال المقريزي: عندما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الاختلاف في أوزان الدراهم المتداولة في الأسواق الإسلامية، قرر أن يأخذ من الدراهم أكثرها رواجًا في الأسواق، ومما يغلب بهما تعامل الناس في السوق، فوجد الدرهم البغلي (٨ دوانق)، والدرهم الطبري (٤ دوانق) هما الدرهمان اللذان يغلب التعامل بهما، فجمع بينهما (أي جمع وزن الدرهمين ٨ + ٤ = ١٢ دانق)، فكان اثني عشر دانقًا، فأخذ نصفها، فكان ستة دوانق، وجعل الدرهم الإسلامي ستة دوانق[٢٢٩]، وحصل ذلك سنة ١٨هـ[٢٣٠].

وذكر المقريزي رأي الفقيه ابن القطان[٢٣١] الذي كان له رأي خاص أثبته في مقالته الأكيال والأوزان، فقال: إن هذا يعني أن عمر رضي الله عنه ضرب الدرهم، لكنه لم يغير نقشه، وإنما بقت فيه بعض الشارات الأجنبية[٢٣٢].

الرأي الثاني: يرى أصحاب هذا الرأي أن أول من ضرب الدراهم هو مصعب بن الزبير، عندما أمره أخوه عبدالله بن الزبير سنة ٧٠هـ، وأنه ضربها على ضرب الأكاسرة، وجعل عليها نقشًا مكتوبًا في جانب (بركة)، و(الله) من الجانب الآخر، لكن الحجاج بن يوسف الثقفي غيَّرها وكتب عليها (بسم الله) على الوجه الأول، و(الحجاج) على الوجه الآخر[٢٣٣].

والرأي الثاني يبدو لي غير دقيق، لأسباب عدة؛ أهمها: أن الحجاج بن يوسف الثقفي عُين واليًا على العراق سنة ٧٥هـ[٢٣٤]، وهذا التاريخ لا يتوافق تمامًا مع التاريخ الذي ضرب فيه مصعب بن الزبير الدراهم (سنة ٧٠هـ). ولذا وجدت المقريزي لم يُبد اهتمامًا كبيرًا بهذا الرأي لاعتقاده ببعده عن الصواب.

الرأي الثالث: أصحاب هذا الرأي ذهبوا إلى أن أول من ضرب الدراهم المنقوشة - أي التي عليها شارات ورسوم إسلامية - هو الخليفة عبدالملك بن مروان[٢٣٥]. ويبدو لي أن هذا الرأي أيضًا غير دقيق؛ لأنه يتحدث عن الدراهم المنقوشة بنقوش إسلامية. فالثابت تاريخيًا أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب درهمًا وزنه ستة دوانق، كما ذكرنا سابقًا. فـ(عمر بن الخطاب) أول من ضرب الدراهم، لكنه لم يرفع عنها كل الشارات الأجنبية. وأنَّ ما فعله عبدالملك بن مروان أنه رفع كل النقوش الأجنبية سنة ٧٧هـ.

ومن وجهة شيخ الإسلام نظر ابن تيمية (أي ضرب الدراهم بنقوش إسلامية) فإن عبدالملك بن مروان يكون أول من ضرب الدراهم المنقوشة في الإسلام. وعلى هذا الأساس جزم ابن تيمية بالقول: «لم يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه دراهم، وإنما حدث ضربها في خلافة عبدالملك بن مروان»[٢٣٦].

ويبدو لي أن معنى ما نُقل عن سكِّ الدراهم في عهد عبدالملك أنه لم يكن شيءٌ منها من ضرب الإسلام، وكانت مختلفة الأوزان، فاتفق الرأي على أن تُنقش بكتابات عربية ويصير وزنها واحدًا[٢٣٧].

ومن هذا يتأكد أن الدرهم الشرعي، أي الذي منه تُدفع الزكاة وباقي الأقضية المالية الشرعية، كان معلومَ المقدار في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة من بعدهم، وأن ما فعله عبدالملك بن مروان ليس أكثر من إصدار نقود جديدة، مغايرة في سكها وشاراتها للنقود الساسانية وغيرها، وجعل الدرهم الجديد موافقًا في وزنه للأوزان الشرعية.

ووصف المقريزي تلك الدراهم السابقة، أي قبل مبادرة الخليفة عمر بن الخطارب رضي الله عنه، فقال: إن تلك الدراهم كانت بسكَّتين، (أي بنموذجين)، الأول: عليها نقش فارسي، وهي الدراهم البغلية، وتُسمى أيضًا السود، ويزن الواحد منها ثمانية دوانق[٢٣٨]. والثاني: عليها نقش الروم، وهي العتق، وهي الطبرية، الدرهم منها يزن أربعة دوانق[٢٣٩].

ويضيف المقريزي: إن عبدالملك بن مروان استشار علماء عصره في أمر النقود ووزنها، ومنهم خالد بن يزيد بن معاوية، الذي أشار عليه بأن يضرب نقودًا جديدة خالية من الشارات الأجنبية وفيها ذكر الله. كما أشار عليه الإمام محمد الباقر أن يكتب على النقود الجديدة سورة التوحيد، ويثبِّت أوزانها، ويصب صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان[٢٤٠].

وحاول المقريزي تحديد تاريخ ضرب تلك الدراهم، فجاء برواية تفيد أن عبدالملك بن مروان أمر الحجاج بن يوسف الثقفي بأن تُضرب تلك الدراهم في العراق، فضربها في سنة ٧٤هـ. وهناك رواية تشير إلى أن الحجاج بن يوسف الثقفي ضربها في آخر سنة ٧٥هـ، ثم أمر بضربها في النواحي سنة ٧٦هـ. وقد

كتب على الوجه الأول (الله أحد)، وعلى الوجه الآخر (الله الصمد)[٢٤١]. والرواية الثانية هي المرجَّحة.

وتبرز أمام الباحث تساؤلات مؤداها أن بعض الروايات تشير إلى الأخذ بالدراهم البغلية والطبرية حصل في عهد عبدالملك، وأجروًا عليها تلك العملية الحسابية. إلا أن الروايات الموثوقة ذكرت أن هذه العملية الحسابية حصلت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتحديدًا سنة ١٨هـ، وأن ما نُسب إلى عبدالملك بن مروان كان من دون وجه حق.

ومما يؤكد ذلك أن عددًا من الفقهاء والعلماء والمؤرخين وثَّق هذه المسألة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فقد قال القاضي عياض: لا يصح أن يكون الدرهم مجهولَ المقدار حتى خلافة عبدالملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ)، وقد وجبت الزكاة فيه، وبه يتم البيع والشراء، وتدفع مهور النساء، وهذا ثابت بالأحاديث الصحيحة، وأن من زعم أن الدراهم لم تكن معلومة إلى زمن عبدالملك، فهذا قول باطل، وأن معنى ما نُقل عن ضرب الدراهم والدنانير في زمن عبدالملك، لم يكن إلا رفع كل الشارات أو الكتابات أو الرسوم الأجنبية. فالنقود الجديدة التي ضُربت في خلافة عبدالملك بن مروان تميزت بكونها نقودًا إسلامية خالصة، وصيَّرها عبدالملك وزنًا واحدًا، أو عينًا يُستغنى بها عن الموازين[٢٤٢].

الخاتمة

في نهاية بحثنا هذا توصلنا الى مجموعة من النتائج:

١- حثّ الشّارع الحكيم على إيفاء الميزان والمكيال.

٢- أورد القرآن الكريم آيات عدة تحث على الاهتمام بالموازين والمكاييل، فدعا الناس إلى حُسن التعامل بها، والنهي عن الغش فيها.

٣- من هذا المنطلق جاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في توضيح أهمية الموازين والمكاييل، وذلك لكي يعرف المسلم المقادير الشرعية وتحديدها، لأداء عبادته بشكل صحيح.

٤- لذا وجدنا المقريزي أوْلى هذا الموضوع أهمية من خلال تأليفه كتاب

الأوزان والأكيال الشرعية.

٥- حرص المقريزي على تخريج أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حول الموازين والمكاييل.

٦- بيَّن المقريزي تعلُّق الموازين والمكاييل بالحقوق الشرعية.

٧- ومن ثم ذكر الأوزان المستخدمة في عصر الرسالة، ووازن بين الآراء وذكر الراجح منها.

٨- وتطرق المقريزي بعد ذلك إلى الأكيال الشرعية، فذكرها وذكر الآراء المختلفة في مقاديرها، ووازن بينها.

٩- وختم المقريزي كتابه بذكر السكة ومعناها، وتاريخ ضرب الدراهم.

الهوامش:

(*) أستاذ الاقتصاد الإسلامي - جامعة بغداد - كلية التربية - ابن رشد.

(١) لم أعثر على ترجمة للمقريزي لكثرة ما كُتب عنه. ولمعرفة المزيد عن حياته وعصره؛ ينظر: ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج ١، ص ٦٣. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ٢١. السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج ١، ص ٥٥٧. الشوكاني، **البدر الطالع**، ج ١، ص ٧٩. كحالة، **معجم المؤلفين**، ج ٢، ص ١١. الزركلي، **الأعلام**، ج ١، ص ١٧٧.

(٢) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤١. ينظر: النسائي، **السنن الكبرى**، ج ٢، ص ٢٩. البيهقي، **السنن الكبرى**، ج ٦، ص ٣١. الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج ٤، ص ٧٨. وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وقال الألباني: حديث صحيح.

(٣) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٢. ينظر: أبو عُبيد، **الأموال**، ص ١٩٠.

(٤) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٢. ينظر: أبو داود، **سنن**، ج ٢، ص ١١١. قال العلامة الألباني: صحيح. **صحيح سنن أبي داود**، ج ٢، ص ٦٤٣.

(٥) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٢. ينظر: **حلية الأولياء**، ج ٤، ص ٢٠.

(٦) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٢. ينظر: النسائي، **السنن الكبرى**، ج ٦، ص ١٦٤. قال العلامة الألباني: صحيح.

(٧) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٣. الخطابي، **معالم السنن**، ج ٣، ص ٦١.

(٨) أبـو يوسـف، الخراج، صـ ١٥. وتأتي مفردة الدرهم هنـا بمعنى وحدة وزن، أو وحـدة كيل، وليس قطعة نقدية.

(٩) **المحلى**، ج ٥، ص ٢٤٦.

(١٠) **فيض القدير**، ج ٦، ص ٤٨٥.

(١١) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٣. ينظر: الخطابي، **معالم السنن**، ج ٣، ص ٦١.

(١٢) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٣. ينظر: الخطابي، **معالم السنن**، ج ٣، ص ٦١.

(١٣) المقريـزي، **الأوزان**، ص ٤٣. ينظر: سورة إبراهيم، آيـة ٣٦. الطحاوي، **شرح مشكل الآثار**، ج ٣، ص ٢٨٨.

(١٤) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٣. ينظر: الطحاوي، **شرح مشكل الآثار**، ج ٣، ص ٢٨٨.

(١٥) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٣. ينظر: الطحاوي، **شرح مشكل الآثار**، ج ٣، ص ٢٨٨.

(١٦) أبـو العباس أحمد بن محمد بن أحمـد اللخمي، فقيه مالكي، ولد سنة ٥٥٧هـ، كان إمامًا مفتيًا متقنًـا له مصنفـات عدة، توفي سنة ٦٣٣هـ. ينظر: ابـن ناصر الدين، **توضيـح المشتبه**، ج ٦، ص ٢٣٢.

(١٧) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٥. ينظر: العزفي، **إثبات ما ليس منه بد**، ص ٤٠.

(١٨) المقريزي، **شذور العقود في ذكر النقود**، ص ٦.

(١٩) السابق، ص ٧.

(٢٠) **الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٤٧. المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٥٧.**

(٢١) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٦.

(٢٢) السابق، ص ٤٦.

(٢٣) المقريـزي، **الأوزان**، ص ٤٦. الدرهم وحدة وزن استخدمها العرب قبل الإسلام. ينظر: أبو عُبيد، **الأموال** ص ٦٣.

(٢٤) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٤٦. الدينـار وحدة وزن مصنوعة من الذهب. ينظـر: الكردي، المقادير الشرعية، ص ٤١.

(٢٥) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٤٦. المثقـال وحـدة وزن ذهبية كان العـرب يتعاملون بهـا، ولكنها غير مضروبة.

(٢٦) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٧. الدانق وحدة وزن تساوي سدس الدرهم. ينظر: ابن الرفعة، **الإيضاح** والتبيان، ص ٦٣.

(٢٧) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٤٧. القـيراط وحـدة وزن تساوي نصف دانق. ينظـر: المقريزي، **شذور العقود**، ص ٩٧.

(٢٨) المقريـزي، **الأوزان**، ص ٤٧. الأوقية وحـدة وزن تساوي سبعة مثاقيل. ينظر: ابن الأثير، **النهاية**، ج ١، ص ١٩١.

(٢٩) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٧. قال هنتس: النشّ وزن عربي قديم كان معروفًا بمكة خاصة، وكان يزن نصف أوقية. **المكاييل والأوزان**، ص ٥٦.

(٣٠) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٧. النواة وحدة وزن عربية معروفة لدى أهل مكة تزن خمسة دراهم. ينظر: ابن الأثير، **النهاية**، ج ٥، ص ٢٧٦.

(٣١) المقريزي، الأوزان، ص ٤٧. الرطل وحدة وزن كبيرة تساوي ١٢ أوقية. ينظر: الكردي؛ **المقادير الشرعية**، ص ٤٨.

(٣٢) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٧. القنطار وحدة وزن تساوي ٤٠ أوقية من الذهب. ينظر: هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٤٠.

(٣٣) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٧.

(٣٤) السابق، ص ٤٨.

(٣٥) ينظر: ابن عبدالبر، **الاستذكار**، ج ٩، ص ١٦.

(٣٦) يقصد أنها لم يكن لها وزن ثابت.

(٣٧) المقريزي، الأوزان، ص ٤٨. ينظر: أبو عُبيد، **الأموال**، ص ٤٠٥. ابن عبدالبر، **الاستذكار**، ج ٩، ص ١٦.

(٣٨) ابن عبدالبر، **الاستذكار**، ج ٩، ص ١٧. ينظر: المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٨.

(٣٩) **الأموال**، ص ٦٢٦. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٧٢.

(٤٠) لم أعثر على ترجمة لعبدالحق بن عطية في المصادر المتيسرة لي، ولكن عثرت على ترجمة: عبدالحق بن عبدالرحمن بن عطية (ت ٥٨١هـ)، وهو مؤلف كتاب **الأحكام في الفقه الشافعي**. ووجدت عبدالحق بن غالب بن عطية المالكي الأندلسي مؤلف **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (ت٥٤١هـ). وقد ذكر المقريزي أن فتوى الشيخ أبي محمد بن عطية صدرت سنة (٦١٠هـ)، وذكر الخزاعي، ونقل عنه الكتاني أن تلك الفتوى صدرت سنة (٦١٦هـ). لذا فمن المرجح أن يكون ابن عطية المقصود من أعلام القرن السابع الهجري. ينظر: المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٨. الخزاعي، **تخريج الدلالات**، ص ٥٩٩. الزركلي، **الأعلام**، ج ٥، ص ٩٣.

(٤١) ينظر: المقريزي، الأوزان، ص ٤٨. الكتاني، **التراتيب الإدارية**، ج ١، ص ٣٢٨.

(٤٢) ينظر: الخطابي، **معالم السنن**، ج ٣، ص ٦١. ابن عبدالبر، **الاستذكار**، ج ٩، ص ١٧. الخزاعي، **تخريج الدلالات**، ص ٦٠٠.

(٤٣) المقريزي، **الأوزان**، ص ٤٩. وورد نص كلام الداودي عند: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٧١ – ٤٧٢. العزفي، **إثبات**، ص ٨٢. الخزاعي، **تخريج الدلالات**، ص ٦٠٠. الكتاني، **التراتيب**، ج ١، ص ٣٢٨.

(٤٤) ينظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٧١. الخطابي، **معالم السنن**، ج ٣، ص ٦١. ابن عبدالبر، **الاستذكار**، ج ٩، ص ١٧. الخزاعي، **تخريج الدلالات**، ص ٦٠٠.

(٤٥) العزفي، **إثبات**، ص ٨٢.

(٤٦) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥٠. ينظر: ابن عبدالبر، **الاستذكار**، ج ٩، ص ١٧.

(٤٧) **فتوح البلدان**، ص ٤٧١.

(٤٨) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥١. ينظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٧١. الخزاعي، **تخريج الدلالات**، ص ٦٠٠. الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ١، ص ٣٢٨. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ١٩.

(٤٩) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥١. ينظر النص عند الخزاعي، **تخريج**، ص ٦٠٠.

(٥٠) الاستذكار، ج ٩، ص ١٧.

(٥١) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥٢ – ٥٣. ينظر: الخطابي، **معالم السنن**، ج ٣، ص ٦١. النووي، **المنهاج**، ج ٦، ص ١٤.

(٥٢) **إثبات**، ص ٨٨.

(٥٣) البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ج ٢، ص ١٢٦.

(٥٤) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥٣. يقصد بالسكة القالب الذي تضرب به النقود. ينظر: المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٥٣. ابن خلدون، **المقدمة**، ص ٢٤٧.

(٥٥) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥٣. ينظر: البخاري، صحيح، ج ٢، ص ١١١. مسلم، صحيح، ج ٣، ص ٦٦. ويقصد أن الخمسة أواق هي النصاب الذي تجب به الزكاة.

(٥٦) العباس بن عمر بن سُريج البغدادي الشافعي، الملقب بالباز الأشهب والأسد الضاري على خصومه، شيخ المذهب وحامل لوائه، حاز علمًا وفضلاً، وولي قضاء شيراز. ولد في بغداد سنة ٢٤٩هـ، وتوفي سنة ٣٠٦هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج ٤، ص ٢٨٧.

(٥٧) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥٤. الصنج: هو الوزن الذي يوضع في السكة، ويصنع من الزجاج كي لا يعتريه زيادة أو نقصان. ينظر: هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٣٠.

(٥٨) **السنن الكبرى**، ج ٥، ص ٤٨٢.

(٥٩) أبو صفوان مالك بن عميرة بن سويد بن قيس السلمي. ينظر: ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج ٥، ص ٢٣١.

(٦٠) رجل سراويل يَقصد بها نعلين. ينظر: ابن الأثير، **النهاية**، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٦١) ابن ماجة، **سنن**، ج ٢، ص ٧٤٨. قال العلامة الألباني: صحيح. ينظر: **صحيح سنن ابن ماجة**، ج ٢، ص ١٩.

(٦٢) المقريزي، الأوزان، ص ٥٥. ينظر: البخاري، **صحيح**، ج ٤، ص ٤١. مسلم، **صحيح**، ج ٢، ص ١٥٦.

(٦٣) المقريزي، الأوزان، ص ٥٥. ينظر: البخاري، **صحيح**، ج ٤، ص ٤١. مسلم، **صحيح**، ج ٢، ص ١٥٦.

(٦٤) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥٥.

(٦٥) المصدر السابق، ص ٥٦.

(٦٦) المصدر السابق، ص ٥٦.

(٦٧) ينظر: المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص ٥٧. وورد عند الماوردي، **الأحكام السلطانية** ما يؤيد ذلك، ص ١٤٧.

(٦٨) إثبات، ص ٨٩.

(٦٩) ورد هذا الوزن عند ابن الرفعة أنه يسمى درهم الكيل. ينظر: **الإيضاح والتبيان**، ص ٥٥.

(٧٠) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥٧.

(٧١) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٥٧. ينظـر: ابن الرفعة، **الإيضاح والتبيان**، صـ ٥٧. الخزاعي، تخريج الدلالات، ص ٦٠٢.

(٧٢) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥٧ – ٥٨.

(٧٣) تصـرف المقريزي في نص ابن حزم، إذ ورد في **المحلى**: «بحثت أنا غاية البحث عند كل من وثقت بتمييزه، فكُلٌّ اتفق على أن دينار الذهب بمكة وزنه اثنان وثمانون حبة، وثلاثة أعشار حبة، بالحب مـن الشعير، والدرهم سبعة أعشـار المثقال، فوزن الدرهم المكي سبع وخمسون حبة، وستة أعشار حبـة، وعُشر حبة، فالرطل مائة درهم وثمانية وعشرون درهمًا، بالدرهم المذكور». ينظر: **المحلى**، ج ٥، ص ٢٤٦.

(٧٤) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٥٨. ورد رأي ابن حزم عنـد كل من النووي، **المجموع**، ج ٦، ص ١٦؛ وابن حجر، **التلخيص الحبير**، ج ٦، ص ٥؛ والعظيم آبادي، **عون المعبود**، ج ٩، ص ١٣٥.

(٧٥) المقريزي، الأوزان، ص ٥٨.

(٧٦) ينظر أيضًا: القرافي، **الذخيرة**، ج ٣، ص ١٠. ابن الحاجب، **التوضيح**، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٧٧) **إثبات**، ص ٩٨. وقد ذكره المقريزي مختصرًا.

(٧٨) ابـن البَنَّـاء أبو العباس أحمد بن محمـد بن عثمان الأزدي العددي ابن البنـاء، ولد سنة ٦٥٤هـ، رياضـيّ وباحث، من أهل مراكش، مولدًا ووفاة. كان أبوه بنَّاءً. ونشأ هو منصرفًا إلى العلم، فنبغ في علـوم شتـى. لـه مؤلفات عدة؛ مـن أهمها **رسالـة في المكاييـل**، وضع قانونًـا في معرفة الأوقات بالحساب، توفي سنة ٧٢١هـ. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص ٤١.

(٧٩) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥٩. ينظر: الخزاعي، **تخريج الدلالات**. ص ٦٠٩.

(٨٠) المقريزي، **الأوزان**، ص ٥٩. ينظر: الخزاعي، **تخريج الدلالات**. ص ٦٠٩.

(٨١) هنـاك اختلاف بين الفقهاء في الدينار والمثقال، فقسم جعلهما شيئًا واحدًا، وقسم آخر يميل إلى وجـود اختـلاف بينهما، فالمثقال مـن أوزان الكيل، والدينار من أوزان النقـد، وهذا هو السبب في الاشتباه بين الوزنين. ينظر: ابن الرفعة، **الإيضاح**، ص ٤٨.

(٨٢) المقريـزي، الأوزان، ص ٦٠. ينظر: أبو عُبيد **الأموال**، ص ٥٢٢. الخزاعي، **تخريج الدلالات**، ص ٥٩٩.

(٨٣) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٠.

(٨٤) **معالم السنن**، ج ٣، ص ٥٥. ينظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٧١.

(٨٥) **التمهيد**، ج ٢٠، ص ١٤٥.

(٨٦) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦١.

(٨٧) **التمهيد**، ج ٢٠، ص ١٤٥.

(٨٨) **البيان والتحصيل**، ج ٢، ص ٤٩٥.

(٨٩) السابق، ج ٢، ص ٤٩٥.

(٩٠) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦١.

(٩١) **تخريج الدلالات**، ص ٦٠٨.

(٩٢) علي بن محمد الربعي، المعروف باللخمي، فقيه مالكي، له معرفة بالأدب والحديث، قيرواني الأصل، نزل سفاقس وتوفي بها، صنف كتبًا مفيدة، من أحسنها تعليق كبير على **المدونة** في فقه المالكية، سماه **التبصرة**، أورد فيه آراءً خرج بها عن المذهب، ومؤلفات أخرى في فنون مختلفة. توفي سنة ٤٧٨هـ. ينظر: ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ص ٢٠٣.

(٩٣) **التبصرة**، ص ٨٦٣.

(٩٤) فتوح **البلدان**، ص ٤٧١.

(٩٥) **المحلى**، ج ٥، ص ٢٤٦.

(٩٦) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦١.

(٩٧) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٢. ينظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٧٠.

(٩٨) قال المقريزي: يجوز بفتح النون وكسرها، وهو معرَّب. ينظر: **الأوزان**، ص ٦٣. والدانق: يعني الجزء من الشيء، وهو وحدة وزن صغيرة من أجزاء الدينار والدرهم، وكان مقداره من الدرهم اليمني درهمًا واحدًا، ومن الدرهم البغلي ربعه، ومن الدرهم الطبري ثمنه. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٠، ص ١٠٦.

(٩٩) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٣. ينظر: الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص ١٤٧. المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٥٧.

(١٠٠) **الإيضاح والتبيان**، ص ٦١.

(١٠١) قال المقريزي: أصل القيراط قِرَّاط، مأخوذ من قرط عليه، أي أعطاه قليلاً قليلاً، وهو معرب. ينظر: **الأوزان**، ص ٦٤. يرى هنتس أن القيراط يساوي ١/ ٢٤ من المثقال. **المكاييل والأوزان**، ص ٤٤.

(١٠٢) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٤.

(١٠٣) البخاري، **صحيح**، ج ٢، ص ١١١. مسلم، **صحيح**، ج ٣، ص ٦٦.

(١٠٤) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٤. ينظر: ابن خزيمة، **صحيح**، ج ٤، ص ٣٠. قال الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: إسناده حسن.

(١٠٥) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٤. وقد اتفق المقريزي في حكمه هذا مع ما ورد عند البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٧١.

(١٠٦) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٥. ينظر: مسلم، **صحيح**، ج ٤، ص ١٤٤.

(١٠٧) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٥. ينظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٧٢.

(١٠٨) أبو عُبيد، غريب الحديث، ج ٢، ص ١٩٠. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٥٦.

(١٠٩) **النهاية**، ج ٥، ص ٩٥.

(١١٠) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٥. ينظر: ابن الأثير، **النهاية**، ج ٥، ص ٩٥.

(١١١) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٥.

(١١٢) ينظر: العزيفي، **إثبات**، ص ١٤١.

(١١٣) **الكامل في اللغة والأدب**، ج ٣، ص ١٥٧. ينظر: المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٦.

(١١٤) هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٣٠.

(١١٥) مسلم، **صحيح**، ج ١، ص ١٧٧. واللفظ له.

(١١٦) البخاري، **صحيح**، ج ١، ص ٥٨.

(١١٧) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٦.

(١١٨) السابق، ص ٦٩.

(١١٩) هناك اختلاف بين الفقهاء؛ فقسم يرى أن مقدار صاع الطعام يختلف عن صاع الماء، وأن صاع الطعام يساوي خمسة أرطال وثلثًا، وصاع الماء يساوي ثمانية أرطال. والكلام في اختلافهم لا يسع المجال لاستيعابه. ينظر: أبو عُبيد، **الأموال**، ص٤٦١. ابن الأثير، **النهاية**، ج٤، ص٢١٨.

(١٢٠) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٧. ينظر: السرخسي، **المبسوط**، ج ٣، ص ٩٠. الكاساني، **بدائع الصنائع**، ج ٢، ص ٥٩.

(١٢١) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٧. ينظر: أبو عُبيد، **الأموال**، ص ٦٢٢.

(١٢٢) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٧. ينظر: أبو عُبيد، **الأموال**، ص ٦٢٢. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٦.

(١٢٣) ينظر: أبو عُبيد، **الأموال**، ص ٦٢٣.

(١٢٤) السرخسي، **المبسوط**، ج ٣، ص ٩٠.

(١٢٥) **المحلى**، ج ٥، ص ٢٤٥. ينظر أيضًا: المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، ج ٣، ص ٢٨٠.

(١٢٦) العيني، **نخب الأفكار**، ج ٨، ص ٢٥٤.

(١٢٧) **الأموال**، ص ١٨٨. ينظر: المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٩.

(١٢٨) البخاري، **صحيح**، ج ١، ص ٥٨. مسلم، **صحيح**، ج ١، ص ١٧٧.

(١٢٩) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٨. قال الدارقطني: إسناده ضعيف. سنن، ج ٢، ص ١١٢.

(١٣٠) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٨. قال البيهقي، إسناده ضعيف. ينظر: **السنن الكبرى**، ج ٤، ص ١٧١.

(١٣١) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٩.

(١٣٢) **تحفة الأحوذي**، ج ٣، ص ٢٨٠. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٣.

(١٣٣) ينظر: أبو عُبيد، **الأموال**، ص ١٨٨. ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج ١، ص ٣٠٢.

(١٣٤) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٩.

(١٣٥) المقريزي، **الأوزان**، ص ٦٩. ينظر: النووي، **المنهاج**، ج ٤، ص ٣. ابن حجر، **فتح الباري**، ج ١، ص ٣١٣.

(١٣٦) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٠.

(١٣٧) السابق، ص ٧٠.

(١٣٨) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٠. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٤ – ٦٥.

(١٣٩) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٠. ينظر، **الصحاح**، ج ٣، ص ١١٥٣.

(١٤٠) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٠. ينظر: هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٥.

(١٤١) **النهاية**، ج ٣، ص ٤٣٧.

(١٤٢) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٠.

(١٤٣) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٠. ينظر: ابن عبدالبر، **الاستذكار**، ج ٣، ص ٧٥. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٤.

(١٤٤) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧١. ينظر: أبو داود، **سنن**، ج ١، ص ٦٢. البيهقي، **السنن الكبرى**، ج ٤، ص ١٧٠.

(١٤٥) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧١. ينظر أيضًا: ابن عبدالبر، **الاستذكار**، ج ٣، ص ٧٥. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٣.

(١٤٦) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧١.

(١٤٧) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧١. ينظر: هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٧٤.

(١٤٨) **مشارق الأنوار**، ج ١، ص ٣٧٥.

(١٤٩) المقريزي، **الأوزان** ن ص ٧١.

(١٥٠) عمر بن حبيب بن محمد العدوي القاضي، من بني عدي بن عبد مناة، من أهل البصرة، قاض ومن رجال الحديث، زار بغداد وولي القضاء بها، وبعدها في البصرة، كان صلبًا في القضاء، حسن السياسة، حتى هابه الناس، توفي سنة ٢٠٧هـ. ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ج ٢، ص ٣٢٥. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج ١١، ص ١٩٧.

(١٥١) **الأموال**، ص ٦٢٥. المقريزي، **الأوزان**، ص ٧١.

(١٥٢) **الأموال**، ص ٦١٥ وما بعدها. المقريزي، **الأوزان**، ص ٧١.

(١٥٣) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٢.

(١٥٤) السابق، ص ٧٢.

(١٥٥) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧١. وهذه الأوقية تختلف عن وزن الأوقية التي مرت معنا، وتساوي ٤٠ درهمًا.

(١٥٦) هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٧٤.

(١٥٧) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٣.

(١٥٨) السابق، ص ٧٣.

(١٥٩) السابق، ص ٧٣.

(١٦٠) اختُلف في تحديد مقداره إلى أقوال عدة. ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج ١، ص ٢٨٣. ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج ١، ص ٤٠٨.

(١٦١) المقريزي، **الأوزان**، ص٧٣. ينظر: أبو عُبيد، **الغريبين**، ج٥، ص١٥٨٧. الرازي، **تفسير**، ج٢، ص٦٠٨.

(١٦٢) الـرازي، **تفسـير**، ج٢، صـ٦٠٨، ابـن عطية، **المحـرر الوجيـز**، ج١، صـ٤٠٩، البغوي، **معالم التنزيل**، ج ١، ص ٢٨٣. البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج ٢، ص ٦٦. ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج١، ص ٣٠٧. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٤، ص ٣١. النسفي، **مدارك التنزيل**، ج ١، ص ١٤٤.

(١٦٣) الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج ٢، ص ٢٦٨. ابن حجر، **فتح الباري**، ج ١١، ص ٢٢٠.

(١٦٤) المقريـزي، **الأوزان**، ص ٧٣. ينظر: الدارمي، سنن، ج٢، ص٤٦٦. ابن حجر، هدي الساري، ص ١٧١. الرازي، **تفسير**، ج ٢، ص ٦٠٩. ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج ١، ص ٤٠٨. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٣٠٧. النسفي، **مدارك التنزيل**، ج ١، ص ١٤٤.

(١٦٥) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٤. الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج ٢، ص ٢٦٨. ابن حجر، هدي الساري، ص ١٧١.

(١٦٦) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٧٤. وهـذا الـرأي قاله ابن عباس وقتادة، ينظر: ابـن عطية، **المحرر الوجيز**، ج ١، ص ٤٠٨. البغوي، **معالم التنزيل**، ج ١، ص ٢٨٤.

(١٦٧) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٧٤. ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ج ٤، ص ٣١. ابن حجر، **هدي الساري**، ص ١٧١.

(١٦٨) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٧٤. ينظـر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج ١، صـ ٢٨٤. ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج ١، ص ٣٠٧.

(١٦٩) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٧٤. ينظر:ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج ١، ص ٣٠٧. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٤، ص ٣١.

(١٧٠) المقريـزي، **الأوزان**، ص ٧٤. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج ١، ص ٤٠٨. ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج ١، ص ٣٠٨.

(١٧١) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٧٤. ينظر: البغوي، **معالم التنزيـل**، ج ١، ص ٢٨٤. ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج ١، ص ٤٠٨. وقال: وهو أصح الأقوال.

(١٧٢) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٥. قال ابن عطية: وبه قال معاذ بن جبل وعبدالله بن عمر وأبو هريرة وعاصم بن أبي النجود وجماعة من العلماء، وهو أصح الأقوال. **المحرر الوجيز**، ج ١، ص ٤٠٨.

(١٧٣) ذكـر أبـو عُبيد أن الآثار التـي نُقلت عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعـين أكدت وجود ثمانية أصناف من المكاييل؛ هي: الصَّاع، والْمُدّ، والْفَرَق، والقِسط، والْمُدّي، والمَخْتُوم، والقَفِيز، والمَكُّوك. وأشار إلى ان استعمال الغالب كان للمدِّ والصَّاع. ينظر: **الأموال**، ص٦١٧.

(١٧٤) وردت هـذه الأصنـاف الخمسـة عند: الخزاعي، **تخريج الـدلالات السمعيـة**، ص ٦١٩ - ٦٢٦. وقال ابن الرفعة: المألوف من الأكيال في عصر النبي ﷺ ومحل إقامته كما جاءت به الأخبار: المد، والصاع، والفرق، والعرق. ينظر: **الإيضاح والتبيان**، ص ٦٢.

(١٧٥) المـد: وحدة كيل تستخـدم في المدينة، مختلف في مقداره بين رطل وثلـث إلى رطلين. ينظر: ابن الأثير، **النهاية**، ج ٣، ص ٥.

(١٧٦) الصاع: مكيال وهو من مضاعفات المد؛ إذ يسع أربعة أمداد. ينظر: ابن الأثير، **النهاية**، ج ٣، ص ٥.

(١٧٧) الفَرَق: إناء يستخدم بالمدينة يسع ١٦ رطلاً. ينظر: هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٤.

(١٧٨) العَـرَق: مـن الأكيال المشهورة في صدر الإسـلام، وهو مكيال مدني يسـع ١٥ صاعًا. ينظر: ابن الرفعة، **الإيضاح والتبيان**، ص ٦٢.

(١٧٩) الوَسَق: هو حمل بعير يساوي ستين صاعًا. ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج ٤، ص ٢١٠.

(١٨٠) يبدو أن المقريزي حدث عنده لبس بين المكيالين، قال ابن الأثير: المد: مقدار أن يمد الرجل يديه فيمـلأ كفيـه طعامًا، ويساوي رطلاً وثلثًـا عند الجمهور بالعراقي، وعنـد الأحناف رطلين. ينظر: النهايـة، ج ٤، صـ ٣٠٨. والمدي: مكيـال لأهل بلاد الشام يسع ١٥ مكـوكًا، والمكوك صاع ونصف. ينظر: النهاية، ج ٤، ص ٣١٠.

(١٨١) المقريزي، **الأوزان** ص ٧٧.

(١٨٢) الخطابي، **غريب الحديث**، ج ١، ص ٢٤٨. ينظر أيضًا: المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٨.

(١٨٣) ابن قتيبة، **غريب الحديث**، ج ١، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(١٨٤) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٧٨. وعبـارة الـداودي نقلهـا المقريزي عن الخزاعـي. ينظر: **تخريج الدلالات السمعية**، ص٦٢٠.

(١٨٥) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٨.

(١٨٦) العزفي، **إثبات**، ص ٦٧ - ٦٨.

(١٨٧) السابق.

(١٨٨) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٧٨. ورأي أبـي حنيفـة والنخعي نقلـه المقريزي من **تخريـج الدلالات السمعية**، الذي بدوره عزاه إلى المؤَّاق، ص٦٢٠.

(١٨٩) **الأموال** ص ٦٢٣. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٣.

(١٩٠) ابن تغري بريدي، **المنهل الصافي**، ج ١، ص ٤١٦.

(١٩١) **الأم**، ج ٢، ص ٣٢. المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٨. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٣.

(١٩٢) **الأم**، ج ٢، ص ٣٢.

(١٩٣) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٨. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٣.

(١٩٤) يقصد بهم الأحناف وكل من وافقهم في آرائهم.

(١٩٥) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٧٨. ينظـر: الكـردي، **المقاديـر الشرعيـة**، ص ١٤٣. هنتـس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٣.

(١٩٦) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٧٨. ينظر: الطحاوي، **شـرح معاني الآثـار**، ج ٢، ص ٤٨٧؛ ابن بطال، **شـرح صحيـح البخاري**، ج ١، ص ٣٧١؛ العيني، **عمـدة القاري**، ج ٣، ص ٩٦؛ المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، ج ١، ص ١٥٣.

(١٩٧) أي تلك الأمداد التي جلبها أهل المدينة لإثبات صحة رأي الإمام مالك.

(١٩٨) المقريـزي، **الأوزان**، صـ ٧٩. ينظـر أيضًا: البيهقـي، **السنن الكبرى**، ج ٤، صـ ١٧١. العزفي، إثبـات، ص ٤١. الخزاعي، **تخريج الدلالات السمعية**، ص ٦٣٠. ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، ج ٢١، ص ٥٤. ابن حجر، **التلخيص الحبير**، ج ٢، ص ٧٧٤.

(١٩٩) ابن حجر، التلخيص **الحبير**، ج ٢، ص ٧٧٤.

(٢٠٠) ينظر: **إثبات**، ص ٤١.

(٢٠١) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٩. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٤.

(٢٠٢) المقريزي، **الأوزان**، ص ٧٩.

(٢٠٣) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٠. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٧٩.

(٢٠٤) ينظر: **العين**، ج ٥، ص ١٩١. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٧٩.

(٢٠٥) العِـدْل: نصف الحمل، يكون على أحد جنبي البعـير؛ أي نصف وسق. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١١، ص ٤٣٢.

(٢٠٦) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٠. ينظر: ابن سيده، **المخصص**، ج ٣، ص ٣١٥.

(٢٠٧) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٠. ينظر: ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج ١، ص ٢٦٥.

(٢٠٨) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٠.

(٢٠٩) السابق، ص ٨٠.

(٢١٠) السابق، ص ٨٠.

(٢١١) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٠. هنتس، المكاييل **والأوزان**، ص ٦٦.

(٢١٢) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨١. ينظر أيضًا: ابن سيده، **المخصص**، ج ٥، ص ١٣٠.

(٢١٣) ينظـر: الزمخشري، **الفائق**، ج ٣، ص ٢٣٢. ابن حجر، **فتح الباري**، ج ٧، ص ٢٨. المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج ١٠، ص ٢٤٦.

(٢١٤) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨١. قال هنتس: القِسط وحدة كيل في العراق، قسط صغير وقسط كبير. **المكاييل والأوزان**، ص ٦٥.

(٢١٥) **الأوزان**، صـ ٨٥. ابـن ماجـة، **سنن**، ج ٢، صـ ٧٦١. أبو داود، سنن، ج ٢، صـ ١٣٤. البيهقي، **السنن الكبرى**، ج ٦، ص ٣٣.

(٢١٦) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٥.

(٢١٧) ابـن ماجة، **سنن**، ج٢، ص ٧٦١. أبو داود، **سنن**، ج٢، ص ١٣٤. ضعفه العلامة الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، ج ١٠، ص ٢٥٣.

(٢١٨) قـال ابن عبدالـبر: حديث لا يجيء إلا من وجه واحد، وإسناده فيه لين. ينظر: **الاستذكار**، ج ٦، ص ٣٥٨.

(٢١٩) راوي الحديـث هو: محمد بن فضاء البصري الجهضمي أبو بحر، كان معبرًا للرؤيا. ينظر: ابن معين، **تاريخ**، ج ٢، ص ٨٦. ابن حجر، **لسان الميزان**، ج ٧، ص ٣٧١.

(٢٢٠) ابن خلدون، **المقدمة**، ص ٢٤٧ – ٢٤٨.

(٢٢١) العظيم آبادي، **عون المعبود**، ج ٩، ص ٢٢٨.

(٢٢٢) الزمخشري، **الفائق**، ج ٢، ص ١٥١. المناوي، **فيض القدير**، ج ٦، ص ٤٤٧. الصنعاني، **التنوير**، ج ١٠، ص ٦١٠.

(٢٢٣) الصنعاني، **التنوير**، ج ١٠، ص ٦١٠. العظيم آبادي، عون المعبود، ج ٩، ص ٢٢٨.

(٢٢٤) الأحكام السلطانية، ص ٢٣٧. ووافقه الرأي نفسه: الخزاعي، **تخريج الدلالات**، ص ٦٢٧، وابن الأخوة، معالم القربة، ص ٨٢.

(٢٢٥) الدرهم البغلي: ويزن ثمانية دوانق. المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٢.

(٢٢٦) الدرهم الطبري: ويزن أربعة دوانق. المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٢.

(٢٢٧) الدرهم المغربي: يزن ثلاثة دوانق. المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٢.

(٢٢٨) الدرهم اليمني: يزن دانقًا واحدًا. المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٢.

(٢٢٩) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٢. ينظر: ابن الرفعة، **الإيضاح**، ص ٦٠.

(٢٣٠) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص ٥٧.

(٢٣١) علي بن محمد بن عبدالملك الكتامي الفاسي أبو الحسن، المعروف بابن القطان، ولد سنة ٥٦٢هـ، من حفاظ الحديث ونقاده، كان مقربًا من السلطان، لكنه تعرض لمحنة اضطرته إلى الخروج من مراكش سنة ٦٢١هـ، بعدها ولي قضاء سجلماسة حتى وفاته سنة ٦٢٨هـ. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢٢، ص ٣٠٦.

(٢٣٢) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٣. ينظر أيضًا: الخزاعي، **تخريج الدلالات**، ص ٦٢٧.

(٢٣٣) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٣. ينظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٧١.

(٢٣٤) عن **تاريخ تولية الحجاج** بن يوسف الثقفي على العراق ينظر: المسعودي، **مروج الذهب**، ج ٣، ص١٢٦، وابن الجوزي، **المنتظم**، ج ٦، ص ١٥٠، وشاكر، **التاريخ الإسلامي**، ج ٤، ص ١٧٧.

(٢٣٥) ابن تيمية، **المستدرك على مجموع الفتاوى**، ج ٣، ص ١٥٨.

(٢٣٦) السابق.

(٢٣٧) النووي، **المجموع**، ج ٦، ص ١٥. ابن خلدون، **المقدمة**، ص ٢٦٣. ابن حجر، **فتح الباري**، ج ٣، ص ٢٤٦.

(٢٣٨) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٤.

(٢٣٩) السابق، ص ٨٤.

(٢٤٠) البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ج ٢، ص ١٢٦ و ١٢٨.

(٢٤١) المقريزي، **الأوزان**، ص ٨٤. ينظر: الخزاعي، **تخريج الدلالات**، ص ٦٢٨.

(٢٤٢) القاضي عياض، **إكمال المعلم**، ج ٣، ص ٤٦٤.

معجم فيشر بين طبعتين مجمعيَّتين

د.محمد جمعة الدِّربيّ (*)

توطئة:

أَوْجُست فيشر August Fischer (١٨٦٥- ١٩٤٩م) أحد كبار المستشرقين الألمان، كان حجة في اللغات الشرقية. ومنها العربية. وكانت له معرفة بالأدب وتاريخ الحضارة العربية؛ وعيِّن ضمن الرعيل الأول الذين اختيروا لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالمرسوم الملكيّ لعام ١٩٣٣م؛ أي بعد عام من إنشاء المجمع، وله بعض الدراسات مثل الشواهد النحوية، وقيمة التراجم المعروفة للقرآن، والقرآن عند أبي العلاء المعري[١]، وله أيضًا بعض الآراء المعجمية؛ منها أنه قدَّم ثلاثة أدلة على أن كلمة (البق) تدل على البعوض، وأن كلمة (الاستجداء) فصيحة مشتقة من الجدوى، وردَّ على بحث للأستاذ الكرملي في كلمة (موسيقى)، و(موسيقا)[٢]، ولكن أبرز جهوده اللغوية إثارته قضية المعجم التاريخي للغة العربية، وتقديم محاولة تطبيقية مبدئية لإحدى مراحل هذا المعجم.

جاء في مرسوم إنشاء المجمع، في البند الثاني من المادة الثانية الخاصة بأغراض المجمع: «أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثًا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها»[٣]. وقد عرض فيشر على المجمع - بعد مدة وجيزة من تعيينه عضوًا فيه - مشروعه لإعداد معجم تاريخيّ للغة العربية، وفي الجلسة السادسة عشرة من الدورة الثانية للمجمع في مارس ١٩٣٥م «اجتمعت لجنة المعجم، ونظرت في تقرير الأستاذ فيشر الخاص بوضع نظام مفصل لتأليف المعجم اللغويّ التاريخيّ، وفي أثناء البحث علمت اللجنة أن

الأستـاذ فيشر كاد يفرغ[٤] من عمل معجم لغـويّ تاريخيّ لخمسة القرون الأولى مـن الهجرة[٥] في نفس الغرض الذي تبحث فيه اللجنة ؛ فاقترح حضرة الأستاذ نلّينو عضـو اللجنة أن ينتفع المجمع بعمل الأستاذ فيشر، ويختصر به وقتًا طويلًا وجهـدًا عظيمًـا في تأليف المعجم اللغويّ التاريخيّ بـأن تتولَّى وزارة المعارف طبع معجم الأستاذ فيشر على نفقتها، بإشرافه وبمساعدة موظفين يعاونونه في الطبع والتصحيـح والمراجعة والتحرير النهائيّ، وباتفاق الوزارة معه على الطريقة التي تكفـل له الإقامة والراحـة في مصر مدة إشرافه على طبع هـذا المعجم»[٦]؛ وقد وافقت اللجنة على اقتراح الأستاذ نلّينو بالإجماع، وقرَّرت أن يقدِّم الأستاذ فيشر كراسة تشمل بعض مواد المعجم مصنفة على مثاله للاطلاع عليها، وعلَّق الأستاذ ماسنيـون[٧] فقال: «إن عمـل الأستاذ فيشر مقصور على خمسـة القرون الأولى مـن الهجرة، وهو قسم من العمـل ؛ فيجب العناية بطلب الأدوات وتجهيز الغرف اللازمة لحفظ جميع الجزازات، سواء أكانت من عمل الأستاذ فيشر أم من عمل المجمـع»[٨]، وعلَّـق الأستاذ علي الجارم، فقال: «ليـس (هناك) ما يمنع من طبع معجـم الأستاذ فيشـر الآن، وهو جزء من العمل. والمعجـم كاملًا لا ينتهي العمل فيه إلا بعد زمن طويل، وعند إعداد المعجم الكبير يدمج فيه معجم الأستاذ فيشر وينوّه به»[٩].

وفي الجلسـة الثالثـة والثلاثين من الـدورة نفسها تمت إحاطـة المجمع علمًا بمـا جرى في إحدى جلسات لجنة المعجم خاصًّا بمعجم الدكتور فيشر؛ فتُلِي على المجمع محضر اللجنة، وهذا نصه: «دار البحث في هذه الجلسة في معجم الدكتور فيشر الذي يرغب المجمع في طبعه، وقد كتب حضرة الدكتور فيشر ملحقًا بتقريره الأول؛ وقد قرئ هذا الملحق في الجلسة، ويمكن تلخيص المناقشات فيما يأتي:

(أ) موضوع المعجم: هذا المعجم خاص بألفاظ اللغة العربية الأدبية الواردة في دواويـن الشعـر، ونصوص النثر الفنـيّ وغير الفنيّ، والقـرآن ـ على اختلاف الروايـات ـ والحديـث. أمـا المصطلحـات، فلا يذكر منهـا إلا ما يتعلـق بالعلوم العربية؛ كالنحو، والصرف، والعروض والقوافي، ومصطلح الحديث.

(ب) مزايا هذا المعجم:

١- إن كلمات معجم حضرة الدكتور فيشر مأخوذة مباشرة من النصوص العربية، مع الإشارة إلى المصادر المأخوذة منها.

٢- إن هذا المعجم يبين نشوء الكلمة بحسب وجودها التاريخيّ.

٣- إنه يظهر منه أن الكلمة كثيرة الاستعمال أو نادرة.

٤- إنه يبين اختلاف دلالات الكلمات بحسب اختلاف الأقطار التي تستعمل فيها.

٥- يمتاز بحسن ترتيب المادة وفروعها ليسهل الاهتداء إلى المقصود منها، وليعرف تاريخ تطور الكلمة في الدلالة على المعاني المختلفة.

٦- وإن ما فيه من الشواهد، وما أشار إليه من المراجع المختلفة يرشد الباحث إلى المعنى الحقيقيّ للكلمة الذي لا يجده في المعجمات التي تخلو من الشواهد.

٧- يشرح ويبيّن المعنى الحقيقيّ لبعض الكلمات الواردة في بعض المصادر العربية التي عجز عن تفسيرها مؤلفو المعاجم القديمة لعدم معرفتهم باللغات الساميّة وعادات بعض الأمم التي كانت تجاور العرب.

(جـ) مقترحات في المعجم:

١- إذا كان هناك خلاف في رواية كلمة في أحد المتون القديمة، ولم يمكن الحكم على أصح الروايات؛ فلا بد من ذكر الرواية الأخرى مع الإشارة إلى الراوي.

٢- وضع حضرة الدكتور فيشر في أكثر جزازاته ترجمة للكلمة العربية باللغتين الألمانية والإنجليزية، وترى اللجنة أن تترجم الكلمات العربية باللغتين الإنجليزية والفرنسية[١٠].

(د) جزازات أخرى: ذكر حضرة الدكتور فيشر في المصادر التي رجع

إليها[١١] دواوين الشعـراء والمولدين من بعد القرن الثالث الهجريّ، وهذا القسم مـن الجـزازات لا يدخل في المعجـم الذي اقـترح المجمع طبعـه في مصر، ولكن حضـرة الأستاذ فيشـر سيقدمها إلى المجمـع لينتفع بها في معجمـه الكبير[١٢]، واقترح حضرة الأستاذ الجارم بعد ذلك (أن) يرسل للمجمع بعض صفحات من هذا المعجم في الصيف؛ لتكون نموذجًا منه يطلع عليه حضرات الأعضاء؛ فوافق حضرة الدكتور فيشر على ذلك»[١٣].

وفي الجلسة الخامسة والثلاثين من الدورة نفسها عُرض تقرير فيشر، الذي بدأ بالحديث عن مصادره، فقال:

«(أ) جمعتُ كل الكلمات بلا استثناء التي في..... وكل الكلمات تقريبًا التي في..... وكل الكلمات غير المشهورة التي في..... وكلمات كثيرة في.....

(ب) وجمعتُ:

١- كل الاصطلاحات النحوية التي في **كتاب** سيبويه وفي **المفصل** للزمخشريّ.

٢- الاصطلاحات الخاصة بالحديث وبنقد أسانيد الحديث[١٤].

(جـ) قصدي أن أضمّن معجمـي كل اللغة العربية الأدبيـة الخاصة بزمان الجاهليـة وبثلاثة القـرون الأولى بعد الهجرة[١٥]؛ ففي هـذه القرون نشأت اللغة العربيـة الفصيحة وازدهرت وبلغـت حدَّ الكمال. وأرى لتحقيـق غرضي هذا أن أتمِّم ذخيرة جزازاتي بأن أجمع أيضًا كل الكلمات المهمة التي تشتمل عليها أشعار كتـاب **الأغاني** لأبي الفـرج الأصبهاني، وكتاب **الشعر والشعـراء** لابن قتيبة[١٦]؛ ممـا لا يوجـد في الدواويـن ومجموعات الشعر المذكـورة آنفًا، وهـي التي خزَّنتُ ألفاظها في جزازاتي..... وأرى أن أراعي أيضًا دواوين أشهر الشعراء المولَّدين؛ مثـل بشـار بن برد و..... ومـع أن لغتهم غير فصيحة، فإنهـم كانوا في القرنين الثاني والثالث من الهجرة.....

(د) نظـام العمل في تحرير المعجم: سأصنف المعجم بمقتضى القواعد التي

قرَّرتهـا لجنة المعجم إن ساعدني موظفـان أو ثلاثة يعينونني في اقتباس الألفاظ مـن المصـادر وترتيبها، وفي تحريـر المعجم النهائـيّ، ويمكنني إتمـام تصنيف المعجم وطبعه في ست سنين، وأقترح أن ينشر المعجم جزءًا فجزءًا، وفي كل جزء ١٢٠ صفحة، ومن رأيي أنه يمكنني نشر الجزء الأول سنة ١٩٣٦»[١٧].

وبعـد الانتهاء من عرض التقرير دارت مناقشات بـين الأعضاء عن أهمية المعجـم الذي يرغب فيشر في إعداده، وعن قـدرة المجمع الماليَّة على طبعه، وعن كيفيـة استفادة المجمع من جزازات فيشر الـذي آثر - على الرغم من سعْي بعض شـركات المطابع في أوربـا لطبع هذا المعجم - إهداء هذه الجـزازات إلى المجمع؛ ليكون طبع هذا المعجم في زمن وجيز إحدى مفاخره.

وفي مفتتـح الدورة الثالثـة عام ١٩٣٦م قال رئيس المجمـع في كلمته: «ومما يحسـن (أن) يسجَّل في هذا المقام مع أوفـى الشكر وأبلغ السرور أن أحد أعضاء المجمع - وهو الأستاذ فيشر - جمع في جزازاتٍ جمهرةَ الموثوق بصحته من متداول الكلمات في القرن الأخير للجاهلية، والقرون الثلاثة الأولى في الإسلام، واستهلك في نقلها وجمعها وترتيبها نيِّفًا وأربعين عامًا، على نيَّة أن يطبعها باسمه في معجم خاص، ولكنـه إيثارًا لمشـرق العربية وترجمانهـا الحق في هذا الزمـان، رأى أن يخصّ بهذه الهدية مصر؛ فيهبها لمجمعها هبة الكريم، وسيُعرض على حضرات أعضاء المجمع في هذه الدورة نموذج من هذا المعجم»[١٨].

وقـد عُرض النموذج، فـكان الثلـث الأول مـن مـادة (أ خ ذ)؛ ويعلِّل فيشر الاقتصـار علـى الثلث بقوله: «عندي قرابة ٦٠٠ جـزازة في معاني (أ خ ذ)؛ فلما طلب مني المجمع كراسة صغيرة اكتفيتُ بالثلث الأول من المادة خوفًا من الإطالة، وأكبر ظني أن في هذا الثلث دلالة واضحة على أسلوبي في تصنيف المعجم وترتيب مواده ومعانيها»[١٩].

ودارت مناقشات حول المعجم ونموذجه؛ ففي الجلسة الثامنة تساءل الدكتور فارس نمر: «لماذا لم يُضِف الدكتور فيشر في معجمه «الهيروغليفية» (إلى) اللغات

التـي روعي ما بينها وبين العربية من صـلات في الألفاظ..... وجدتُ شبهًا قويًّا بين العربية والهيروغليفية في مئات من الألفاظ»[٢٠].

وأثنى الأب أنستاس الكرملي على المعجم، فرأى أنه «في ترتيبه وتبويبه يماثل أكبر المعاجم الأوربية كمعجم أكسفورد، ويحق للمجمع أن يفاخر بطبعه».

ورأى الشيخ أحمد الإسكندري أن بالنموذج «شواهد لا داعية إليها؛ ومثالها: ذكره في الاستشهاد على (خذ) قول الله تعالى: ﴿خذوه فغلوه﴾؛ فنحن لا نتمسّك بمثل هذه الشواهد المعروفة، وكذلك رأيتُ استشهادات على أفعال قياسية في علم الصرف؛ فهذه لا يحسن الاستشهاد عليها؛ إذ هي مسلَّمة بالقواعد»[٢١]، وردَّ عليه ماسنيون بأن «المعجم الذي يؤرِّخ الكلمات ومعانيها يجب أن يُعنى بإثبات الشواهد القديمة عليهـا، سواء أكانت معروفة ظاهرة أم كانت مـن الغريب المجهول»[٢٢]؛ فعقَّـب الإسكندريّ بأن «الواجب في المعاجم التي تؤلَّف اليوم اختصار القياسيّات والصرفيّـات وما يُعـرف بالبداهة، وثمـة مسألة ذات بال، وهـي أن النموذج لم يذكـر إلا الشواهد على المعاني الأصلية، ولم يميِّـز بين الحقيقة والمجاز، ولو فعل ذلـك وفرَّق بين استعمالات الكلمات في أقوال الشعراء ـ كما فعل صاحب **الأساس** ـ لقلنا: إنه إتمام لكتاب الأساس، ولكان له الشأن العظيم».

وفي هـذه الجلسة علَّق فيشر نفسه على نموذجـه، فقال: «في طبعة نموذجي هـذه أغلاط لستُ مسؤولًا عنها؛ قد أرسلتُ نموذجي إلى المجمع مخطوطًا بيدي، فطُبع طبعًا حسنًا، ولكن تقع عادة في مثل هذه الظروف أغلاط مطبعية، ولحسن الحظ كانت قليلة، ويمكن التنبُّه لها، وأنا كنتُ قد ضبطتُ بخطّي كلمات الشواهد بالشـكل الكامـل، ولكن الذي تولَّـى الطبع أهمـل بعض الضبـط، واكتفى بوضع الحـركات المهمة، وأنا أظن أن ذلك وافٍ بالغرض الذي نرمي (إليه) هنا اليوم، ولكـن من رأيي أن الفائدة من المعجم لا تتم إلا بوضع الشكل الكامل. ولكي يأخذ المعجـم صفـة تاريخية قد بذلتُ كل جهدي في أن تكون وجوه مادة (أ خ ذ) مرتبة حسب تطورات المعنى على قدر الإمكان، وسلكت في هذا طريقة المعاجم الأوربية.

ولقد أتيت في نموذجي هذا بكثير من الشواهد لأبرهن على مقدار الشواهد التي تحتوي عليها جزازاتي، ولكن أستحسن أن يُكتَفى عند طبع المعجم بعدد من الشواهد أقل؛ لكي لا يكون المعجم كبيرًا في الحجم؛ فيكون غاليًا في الثمن؛ فمن رأيي أن يكتفى (بإثبات) الضروريّ من تلك الشواهد، مع مراعاة ألا يكون في هذا الاختصار تشويه لجوهر العمل»[٢٣].

وفي الجلسة الثانية عشرة كان من رأي الشيخ إبراهيم حمروش «أنه في حاجة إلى تهذيب وترتيب، وأنه لا يصح طبعه على حاله؛ فهل تُحقِّق المعاونة التي سيقوم بها الأعضاء المعاونون تهذيبه وترتيبه؟ وقد جاء في اقتراح معالي الرئيس أن صاحب المعجم سيحل استدراكات حضرات الأعضاء محل النظر والتقدير؛ فمن يدرينا أنه يعمل بها؟ وماذا يكون الأمر حين يأباها ويغض الطرف عنها؟».

وكان من رأى الأستاذ أحمد العوامري أن هناك «ملاحظات عامة يجب استخلاصها، وإظهار الأستاذ فيشر عليها؛ حتى يعمل بها قبل الشروع في الطبع..... في النموذج الذي بين أيدينا شواهد يسهل فهمها من غير رجوع إلى المعجمات، ولا تؤدي معنًى جديدًا يحتاج إلى استشهاد له؛ فهذه يحسن حذفها، وفي النموذج كذلك شواهد مقتضبة؛ نحو التمثيل بثلث بيت أو شطر بيت، ولا يُفهم المراد من هذه الشواهد إلا بالرجوع إلى أصولها كاملة؛ فيحسن العدول عن اقتضاب الشواهد، وهناك أمر يجب التنبيه (إليه) ذلك هو الضبط؛ فمن الواجب أن يكون الضبط كاملًا حتى لا يكون لبس، وكذلك ترد ألفاظ غريبة أو أعلام غير مشهورة؛ فيحسن تفسيرها في حواشي الصفحات»[٢٤].

ولاحظ الشيخ إبراهيم حمروش وجود «معانٍ متداخلة لا متغايرة؛ والبوْن ظاهر بين التداخل والتغاير؛ فيجب ألا يفصل بين المعاني المتداخلة، ولا يصح جعلها فصولًا قائمة بذاتها، بل يجب ردُّها إلى أصولها، ومن القواعد المقرَّرة أن حقيقة الشيء لا تغيّرها عوارضه؛ فليس بصواب أن يكون الأخذ في الحرب فصلًا من معاني مادة (أ خ ذ)، كما فعل الأستاذ فيشر في النموذج الذي بين

أيدينا..... قال: أخذ بمعنى نوَّم، واستشهد بقوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ وليس المعنى: لا تنوّمه سنة ولا نوم؛ وإنما المعنى: لا تغلبه سنة ولا نوم».

وخالفه الأستاذ علي الجارم؛ حيث رأى أن «تفصيل المعاني المتداخلة تبيين لاختلاف الأساليب، وهذا النسق غريب في معجماتنا؛ إذ (أن) مؤلفينا يذكرون المعنى العام ولا يفصلون مواقع استعماله في مَساق الكلام، أما المعجمات الغربية فتُعنى بذلك كل العناية؛ فتفصل بين أخذ الكتاب، وأخذ الأسير، وأخذ الرأي مثلاً، ونحن لم نألَف ذلك الغرار في التأليف؛ فإذا أخذنا به فتحنا أبواب اللغة للناس على اختلافهم، وسهَّلنا عليهم تذوُّق الألفاظ في أحسن مواقعها في الاستعمال»[٢٥].

وأيَّد رئيس المجمع كلام الجارم بأن «هذه الطريقة تفيدنا، ومن فوائدها أنها تيسِّر للأجانب أن يلقَّنوا العربية، وأولى بنا أن نرحب بهذا التيسير».

ومن الآراء المهمة التي قيلت في هذه الجلسة قُبيل ختامها: قول الشيخ عبد القادر المغربيّ: «من أمثلة ما في معجم الأستاذ فيشر مما تجب ملاحظته النقط الدينية؛ مثل ذكره في معاني كلمة أخذَ الحقيقية حديث: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»! وبدَهيّ أن أَخْذ الله للظالم ليس من باب الحقيقة في شيء، وإنما هو مجاز أو كناية عن الاستيلاء عليه؛ فيجب الانتباه إلى أمثال هذه النقط»[٢٦].

كانت هذه المناقشات - كما قلتُ - في دَور الانعقاد الثالث للمجمع عام ١٩٣٦م، ومع ذلك لم يُطبع نموذج فيشر - وهو الثلث الأول من (أ خ ذ) - إلا عام ١٩٦٠م؛ حيث قام الأستاذ إسماعيل مظهر - وكان من معاوني فيشر - بنشره في السنة الرابعة من **مجلة المجلة** ضمن بحثه (اللغة العربية وحاجتها إلى معجم لغويّ تاريخيّ)، ثم قام العضو المجمعيّ الأستاذ محمد شوقي أمين، بعد سبعة عشر عامًا، بنشر هذا النموذج بخط فيشر كما هو في جزازاته، ولا أدري! هل أراد تقديم النموذج كما كتبه فيشر ليكون وثيقة لنا على خطه وعمله، أو أنه لم يطَّلع

علـى نشرة الأستاذ إسماعيل مظهـر؟! لقد قدَّم الأستاذ محمد شوقي أمين لهذه الجـزازات بأربع صفحـات لخَّص فيها ما سبق نقله عـن محاضر الجلسات من مناقشـات، وأستعير قولـه إن: «الدكتور فيشـر أوشك في سنـة ١٩٣٨م أن يقدِّم الجـزء الأول مـن معجمه للطبع؛ فلما عرض ذلك علـى المجمع تقرَّر إعفاء لجنة المعاونـة من مهمتها، وتُـرك أمر المعجم لمؤلفه يُطبع باسمـه وعليه تبعَته، وهكذا مضى الدكتور فيشر في عمله في المعجم مستقلًّا به، وما هي إلا أن نشبت الحرب العالميـة؛ فحالت بينه وبين العودة إلى القاهرة، وكان قـد غادرها صيفًا؛ وبذلك تعذَّرت مواصلة العمل في المعجم بعد أن أعدَّ الدكتور فيشر مقدمته والجزء الأول منـه حتـى آخر مادة (أ ب د)، وراجع بعض تجارب الطبع. وفي سنة ١٩٤٩م توفي الدكتور فيشر؛ فعرض رئيس (المجمع) اقتراحًا بأن يُطبع هذا القدر الذي تتمثل فيـه طريقة المؤلـف ومنهجه وبيان مراجعـه، كما يحتوي النمـوذج الواضح لموادّ المعجـم وأسلـوب صياغتها وتفصيل معانيهـا؛ فهو بذلك صـورة صحيحة للنحو الـذي (كان يريد المؤلف) أن يخرج عليه معجمه، ولا يعوزه إلا ما عساه يعنّ أثناء المراجعـة، ومـا لبث المجمع أن وافـق على هذا الاقتراح، فأخـرج (المجمع) ذلك القـدر مطبوعًا مرتين [٢٧]». انتهى كلام العضو المجمعيّ دون تعليق على ما طبعه المجمـع مرتـين، ودون تعليـق على ما تكرَّم العضـو نفسُه بتصويـره من جزازات فيشر!

وأقـول: أخـرج المجمـع هذا القدر للمـرة الأولى عـام ١٩٥٠م بعنـوان معجم فيشر، مقدمة ونموذج منه في ست وتسعين صفحة، تقع مقدمة فيشر منها في ثمانٍ وثلاثـين، بعدها المعجم اللغويّ التاريخيّ من أول حرف الهمزة إلى مادة (أ ب د). وفي هذه الطبعة أخطاء كثيرة لا تليق بمكانة المجمع ولا بمكانة فيشر. ويمكن التمثيل ببعض الصفحات؛ ففي صـ٢٣ أُحيل إلى **معجم لين** ص xxy، والصواب xxv؛ إذ لا وجـود للحـرف y في الأرقـام اللاتينيـة! وفي ص ٧٤ «بالارميـة»، والصواب «بالأراميّـة»، ص ٧٩ بدأ بيت حسان بكلمـة «فاللوم» هكذا دون ضبط، مما يوهم قراءتها «اللَّوْم»؛ والصواب «فاللُّؤْم»، وفي ص٨٠ سقطَ قدر كبير ما بين كلمة جرير

وكلمة معجم، وتكرَّر مكانه الكلام الموجود ص٩٢-٩٣ فأوهم بعضَ الباحثين[٢٨]! وفي ص٨٤ كُتب شطر بيت بلفظ: «والمرء قد يؤدى به الأبدُ»! والصواب وفقًا للمعنى والعَروض «يُودى»، وفي ص٨٦ كُتبت ثلاثة أبيات من مجزوء الرجز في سطر واحد كأنها نثر! وفي ص٨٧ بُدئ بيت لمزاحم بلفظ « كان حصاها»، ودون فاصل بين الشطرين! والصواب «كأنّ حصاها»، وفي ص ٨٨ كُتب بيت للأخطل في سطر واحد دون فاصل بين الشطرين، وكُتب لسان العرب بلفظ (اللسان) بدلًا من رمز اللام الذي اختاره فيشر! وفي ص٨٩ ضُبطت (صَبح) في قول عدي ابن زيد (وذي تناوير ممعونٍ له صبح) بفتح الحاء! والصواب (صَبَحٌ) بالضم والتنوين، وكُتبت كلمة (هجائن) في الشطر الأول من بيت زهير (كأن أوابد الثيران فيها هجائ) ، مع أنها من الشطر الثاني! كما سقطَ رمز فيشر الدال على رواية أخرى للشطر الثاني من بيت شعرٍ؛ مما يوهم أننا أمام بيتين! وفي ص٩٢ (شرح المعضليات!) ، وكُتب شاهد من بحر الطويل في منتصف الصفحة! والصواب وضعه جهة اليمين؛ لأنه شطر بيت، كما ضُبطت (إليّ) في قول النابغة (هدى إليّ أوابد الأشعارِ) بفتح اللام وتشديدها! وفي ص٩٣ كُتب الفرزدق بدون دال، ونُسب إلى البحترى قول ابن الرومي[٢٩]:

قواف أبى الوغدُ إبريزها ... فأخرجتُ للوغد أخباثها

أوابدُ قد أخنست قبله ... كهولَ الرجال وأحداثها

وفي ص٩٤ وقع بياض؛ مثل: «وأخطأ (بياض) في تبيينه لعبارة أوابد الشعر في كتابه (بياض)»، ومثل: «رآ (بياض) أبود (بياض)»[٣٠]! وفي الصفحة نفسها صُحِّف قول جران العود:

رفيع العلا في كل شرق ومغرب ... وقولك ذاك الآبدُ المتلقَّفُ

فوقع بلفظ «ومغراب»، لفظ «الأب»! كما وقع الرمز (رو) بدون علامة المد فوق الراء والواو، ووقع (الحارث) بدون ألف تقليدًا للكتابات القديمة، وكُتب شاهد له في شكل نثر! وفي ص٩٥ سقطت الهمزتان من عبارة: «تقدَّم في (أ ب د) ..... (فإن) كل الظواهر»! كما تكرَّرت ظاهرة البياض؛ مثل: «ذكره (بياض) ص

(بياض) ..... وكتَب لي المستشرق السويسريّ (بياض): وأخذتُ عن العتيبيّ (بياض) ..... وإني أميل إلى الرأي بأن تعريف (بياض) صحيح، وكذلك ذكره (بياض) ..... في علم النبات هو (بياض)»! كما ضُبطت كلمة (المؤَبَّد) بكسر الباء وفتح الدال وتشديدها في شاهد **الحماسة** (إلى معدن العزّ المؤبد والندى) مع حذف كلمة الندى[٣١]! وفي الصفحة الأخيرة صُحِّف اسم أبي صخر الهذليّ إلى أبي صخرة - بزيادة تاء - وكُتب «لابد» بدلًا من «لآبدٍ»، وكُتب «الراهب أبدً (كذا بدون ألف!) عزَب؛ فقيل له: متأبِّد»!

وقد أدرك مجمعنا الموقَّر أن هذه النشرة لا تليق بمكانته ولا مكانة فيشر؛ فأعاد تحقيقها عام ١٩٦٧م في نشرة جديدة عدَّها الطبعة الأولى، كأنه يتبرأ من النشرة الأولى أو يمحو آثارها، وجعل النشرة الجديدة بعنوان **المعجم اللغويّ التاريخيّ**، تأليف أ. فيشر، القسم الأول من أول حرف الهمزة إلى أبد، وتغيير العنوان يعني أنه من صنع المجمع، لا من صنع فيشر.

ومن مزايا النشرة الجديدة تقسيم صفحاتها من القطع الكبير إلى عمودين على شاكلة **المعجم الكبير**، وإضافة أو تصحيح بعض الترجمات المختصرة بالإنجليزية والفرنسية، زيادةً من فيشر في الإيضاح وعونًا للمستشرقين الذين لم يتمكَّنوا من اللغة العربية التمكُّن المطلوب[٣٢]، ونَقل زيادات فيشر من داخل الشواهد الشعرية إلى أسفلها[٣٣]، وإدراج جدول رموز الكتب التي نقل عنها فيشر الشواهد وبعض الملاحظات مع رموز أخرى استعملها في المعجم[٣٤].

وعلى الرغم من ذلك لم تخلُ هذه النشرة الجديدة من هفوات، أولها ما وقع في تصدير الدكتور إبراهيم مدكور بلفظ: «أوجست فيشر أحد كبار اللغويين في القرن العشرين، عُني بالمعجم العربيّ منذ أخريات القرن الماضي، وعاش معه نحو خمسين سنة، ويظهر أن **معجم أكسفورد التاريخيّ** الذي نُشر قبل مولده بقليل كان مثَله الأعلى؛ فشاء أن يطبق منهجه في اللغة العربية»[٣٥]!

وقد فطن الدكتور ناصر الدين الأسد إلى الخطأ التاريخيّ، فقال: «وقد طال

بحثـي عـن معجم يسمَّى معجـم أكسفورد التاريخـيّ؛ فلم أجد له أثـرًا ولا ذكرًا في الحقيقـة وفي الواقع، والذي بـين أيدينا عنوانه **معجم أكسفـورد الإنجليزي**، أو **معجـم أكسفـورد للغـة الإنجليزيـة** (The Oxford English Dictionary) بغـير وصف أنه تاريخيّ، وقد صدرت طبعتـه الأولى سنة ١٩٣٣م، وهي بعد مولد فيشر بسنـوات طويلة، وبعد تفكيره في المعجم بنحو ثلاثين سنة..... التفكير في بريطانيا في **معجم أكسفورد** بدأ منذ سنة ١٨٥٧م»[٣٦].

وخالفـه الدكتـور محمد حسن عبـد العزيز، فذكـر أن معجـم أكسفورد: «هو أول معجم تاريخيّ في اللغات الإنسانية، وقد ظهر أول مرة تحت عنوان: (A New English Dictionary on Historical Principles in ten volumes) عـام ١٩٢٨م»[٣٧]. وقـد يكون الدكتور محمد حسنٍ محقًّـا في أن **معجم أكسفورد** تاريخـيّ، وإن لم تحمـل عناوين بعض نشراته دليلًا على ذلـك، ولكن هل صدور المعجـم عام ١٩٢٨م يعني أنه ظهر قبل مولد فيشـر بقليل؟! لعل الدكتور مدكورًا أراد في تصديـره أن فيشـر تأثـر بفكرة **معجـم أكسفورد** التي بـدأت قبل مولده بقليل، أو تأثر بالنشرة الأولى التي طُبعت قبل تعيينه عضوًا في المجمع بقليل.

وفي الفقـرة الثانية من التصديـر يذكر الدكتور مدكور أن فيشر: «أنفق أربع سنـوات في جمـع مادتـه واستكمالها وتبويبهـا وتنسيقها، ولكن الحـرب العالمية الأخـيرة فاجأتـه واضطرته للعودة إلـى وطنه، توزَّعت مـوادّ معجمه (في الأصل بالتاء المربوطة)»!

وليـس صحيحًـا أن فيشر أنفق أربع سنـوات في معجمه، ولعـل مدكورًا أراد أربعـين سنة؛ حيث عرض فيشر الفكـرة في باسَل عـام ١٩٠٧م، وراجع تجارب الجـزء الأول مـن معجمه (من الهمزة إلـى أ ب د) ومقدمته عـام ١٩٤٧م، وقد نقلـتُ آنفًا قول مدكـور في الفقرة الأولى من تصديـره أن فيشر عاش مع المعجم العربيّ «نحو خمسين سنة»[٣٨].

وعلى الرغم من تصريح الدكتور مدكور في الفقرة الأخيرة من تصديره بأن المجمـع أعاد هذه النشرة «كمـا وردت بقلم المؤلف نفسه» هناك تعديلات في هذه

النشرة تثير الشكوك؛ فقد بدأت مقدمة فيشر في النشرة الأولى بقوله: «هل أصبح العالم العربيّ، وكذلك المستشرقون، في حاجة إلى معجم عربيّ جديد؟»، وبدأت النشرة الجديدة بعبارة «بسم الله، والحمد لله، وبعد: فهل أصبح...»! وفي ص ٦ يقول فيشر: «والمعجمات العربية»، وفي النشرة الأولى ص٦: «والقواميس العربية»! وفي ص٢٠ يقول فيشر: «أما فيما يختص بأحسن المعجمات العربية..... **الذيل للمعجمات** لدُوزِي SUPPLEMENT. DOZY»، وفي النشرة الأولى ص٢٣: «أما فيما يختص بأحسن القواميس العربية..... الذيل للقواميس لدوزي Dozy. Supplement ، وفي ص ٢١: « كُولِيُس»، وفي النشرة الأولى ص٢٣: «كُوليوس»! وفي ص٢٢ : «فكيف إذًا يجب أن يكون معجم اللغة العربية الفصحى ملائمًا للتطور العلميّ للعصر الحاضر؟» ويقابله في النشرة الأولى ص٢٤: «وإذن كيف يجب أن يكون معجمٌ للغة العربية الفصحى ملائمٌ للتطور العلميّ للعصر الحاضر»! وفي خاتمة مقدمة فيشر تاريخ بلفظ: «١٠ من مارس ١٩٤٧م » خلَت منه النشرة الأولى! وفي نهاية ص ٤٢ إحالة إلى لين (Lane) خلَت منها النشرة الأولى! وفي ص ٤٥: «تنقضّ؛ يعني الفَرَس»، وفي النشرة الأولى ص ٨٨ «تنقضّ؛ أي الفَرَس»! وفي ص٤٦ «فيما يلي»، وفي النشرة الأولى ص٨٨ «في ما يلي»! وقد التزمت النشرة الأولى بفصل حرف الجر في حين جاءت عبارة: «في ما سبق» في صفحة واحدة من النشرة الجديدة مفصولة مرتين متصلة مرة[٣٩]! وحدث العكس مع العلامة (/)؛ حيث التزمت بها النشرة الجديدة للفصل بين الجزء والصفحة، أو بين الصفحة والعمود، والسطر أو بين القصيدة والبيت، وزاوجت النشرة الأولى، فاستعملت في غير موضع العلامة (-) ، ثم استعملت[٤٠] العلامة (/)!

وعلى الرغم من مزايا النشرة الجديدة، وقعت فيها أخطاء نجَت منها النشرة الأولى؛ ففي النشرة الأولى كُتب الحرف الأول فقط من الأعلام بالحرف الاستهلاليّ الكبير capital، وفي النشرة الجديدة كُتبت جميع حروف الأعلام بالحرف الاستهلاليّ مثل[٤١] :(KRENKOW GOLIUS-FREYTAG-)! وفي النشرة الأولى ص٢٤: «فلا شك أن لكل كلمة تطورها التاريخيّ الخاص»، وفي

النشـرة الجديدة صـ٢٢: «فلا شكّ... » كذا بإسـكان! وفي النشرة الأولى ص٨٩ خُتـم بيتٌ لعديّ بن زيـد قافيته مطلقة بكلمـة (أمهـارا)، وفي النشرة الجديدة صـ٤٦ كُتبـت الكلمة بالتنويـن! وفي النشرة الأولى ص٩٠ كُتـب الشاهد الشعريّ (مع البِيض أولاد النعام الأوابدِ) وفي النشرة الجديدة ص٤٧ كُتب الشاهد بدون النعـام! وفي النشرة الأولى صـ٩٤ لم تُضبط كلمة (آبِدة) مـن قول ابن الرومي (تأتيـك آبِـدةٌ منهـا فآبـدة)[٤٢]، وضُبطت في الموضـع الأول فقط مـن النشرة الجديدة ص٥١ بفتح الباء وكسرها!

ومن الأخطاء الإملائية ما جاء ص ٢٣ بلفظ: «أبَّ لشيء..... تهيَّأله»، كذا دون فاصـل بين الفعل وحرف الجـرّ، وكُتب مفصولًا ص ٦٤ مـن النشرة الأولى! ومثلـه كلمة (دائمة) التي وقعـت في النشرة الجديدة ص٤٢ بلفظ (دايمة)[٤٣]، وكُتبت صحيحة ص ٨٥ من النشرة الأولى!

وهناك هفوات في كلتا النشرتين؛ مثل الإحالة التي وقعت بلفظ: «وهذا المعجم ليـس هو المعجم الذي ذُكر في صفحة ٢١ أنه من أعمال مجمع اللغة العربية»[٤٤]، ومثـل كلمـة «بالإثيوبية» التي وقعت بكسـر الهمزة[٤٥] في النشـرة الأولى ص٧٤، والنشرة الثانية ص٣٢! ومثل الرمز (نقائض جا) الذي استعمله فيشر اختصارًا لنقائض جرير والأخطل تأليف أبي تمام[٤٦]؛ فقد وقع الرمز في النشرة الجديدة ص٤٥ بلفظ: (نقائض جآ) بالمدّ على الألف، وجُمع في النشرة الأولى ص ٨٨ بين الهمـزة والمدّ! ومثل عبارة «يعد ما لا يملكه» التي وقعت في النشرة الأولى ص٨٨، والنشـرة الجديـدة صـ٤٦ بلفظ «يعد مـالا يملكه»! ومثل الرمـز (نقائض جف) الـذي استعمله فيشر اختصارًا لنقائض جرير والفرزدق، ووقع في النشرة الأولى ص٩١، والنشرة الثانية ص٤٩ بإضافة علامة المدّ على الجيم[٤٧]!

وثمـة فروق بـين النشرتـين في أرقـام ورموز صفحـات المصـادر التي رجع إليهـا فيشـر. ومعظمها طبعات قديمة من تحقيـق المستشرقين. وكان المتوقَّع من مجمعنـا الموقَّر توضيـح سبب هذه الفروق! قارن على سبيـل المثال بين النشرتين

(صـ ٤٤، ص ٥ الرقم الخاص **بالمفصل**)، (صـ٨٨، ص ٤٦ الرقم السابق على **المفضليات** واللاحق لها)، (ص٨٩، ص٤٦ الرقم الخاص بالبكري)، (ص٩١، صـ٤٨ الرقم الخاص **بالحماسة**)،(ص٩٢، ص٤٩ الأرقام الخاصة بالميداني. الهذليون)،(صـ٩٣، صـ٥١ الأرقام الخاصة بابن الرومي مع ملاحظة خطأ النشرة الأولى في نسبة بيتي ابن الرومي إلى البحتري)، (ص٩٤، ص٥١ الأرقام الخاصة بكلمة أبيد)، (صـ٩٥، ص٥٣ الرقم الخاص **بالحماسة**)، (ص٩٦، ص٥٣ الرقم الخاص بشعر بشار وأرقام السطر قبل الأخير)؛ فهل أرقام النشرة الأولى جرى تصحيحها في النشرة الجديدة؟!

وهناك أخطاء ترجع إلى فيشر، ويؤخذ على المجمع عدم إصلاحها أو التنبيه إليها، وهي نوعان؛ الأول: أخطاء يُعذر فيها، ويمكن التمثيل بالرموز؛ حيث سلك فيشر مسلك الغربيين الذين تزخر بحوثهم بالرموز اختصارًا للحجم، ولكن الإكثار من الرموز ثقيل على القارئ العربيّ لاختلافه عمّا اعتاد عليه، وقد يؤدي إلى غموض النصّ، ومن الأمثلة: قوله في النشرة الجديدة صـ٥ = ص٤٤ في النشرة الأولى: «**الأغاني** ٣/ ٢٤٤/ ٩ : أفلا قلتَ الحمد للّه؟ قال : أوَنعمةٌ هي حتى أحمد اللّه عليها ؟ هلَج. رَ كذلك المفصّل § ٥٨١ مع ابن يعيش غ». ومن المعروف أن الرقم الأول للجزء والثاني للصفحة والثالث للسطر، وأما (هلَج)؛ فمعناه (وهلمّ جرًّا)، مع ملاحظة أن علامة المدّ هنا على اللام، وفي جدول الرموز على الهاء، وفي النشرة الأولى بلا علامة مدّ! وأما (رَ) فمعناه (راجع) مع ملاحظة أن الحرف كُتب في جدول الرموز دالًا! ومن الواضح أن(§) علامة ترقيم تعادل النقطتين الفوقيتين، وأما (غ) فمعناه (وغيرها...).

ومن الأمثلة أيضًا: قوله ص٢٣ = ص٦٤ من النشرة الأولى: «أبَّ لشيء يئِبّ ويؤُبّ أبًّا وأبيبًا وأبابًا وأبابةً وإبابةً (آنـ : Lane «أبب» فَق «أب»): تهيّأ له وتجهّز، ويقال: هو في أبابِه وأبابته وإبابته: أي في جهازه، Lane موسَا "[٤٨]، ومعنى (آنـ) (انظر) وإن كتب في جدول الرموز بهمزة قطع! ومعنى (فَق) (فقرة) وإن كُتبت

علامـة المدّ في جدول الرموز على الحرفين! فيكـون معنى ما بين القوسين: انظر معجـم لين مـادة (أ ب ب)، فقرة «أبّ»، وأما (موسَـا) فمعناها الموضع السابق، وإن كُتبـت علامة المد هنا علـى السين، وفي جدول الرموز علـى الميم والواو، وفي النشرة الأولى على الألف!

ومـن الأمثلة كذلـك: قوله ص ٤٦ = صـ٨٩ من النشرة الأولـى: «الهذليون رقـم ٥/١٦ (رَوَ: الصُّحْـم بدل العُصْم (رَ: ما يلـي ٤٧ ع ٨/١)، - أبو كبير رقم ٦/٤، - كثـير رقـم ٥/١٢٣، - البكري ٤٦٣ / ت. صـ = ٤/ع٨/١». ومن المعلوم أن الرقم الأوّل للقصيدة والثاني للبيت، ومثله أبو كبير، وكثير، وأما (رَوَ) فمعناه (وقـد روي، وفي رواية أخـرى...)، و(رَ) بمعنى (راجع)، والأرقام بعد (ما يلي) للصفحـة والعمـود والسطر، وما بعد البكري غير واضـح ؛ فهل معناه (ص٤٦٣، مـن تحت صفحة ٤، عمود ١، سطر ٨)؟ وقد خلت النشرة الأولى من (ص = ٤/ ع٨/١)! ويؤيدها أن النسخة التي رجع إليها فيشر من **معجم ما استعجم** للبكري تقع الصفحة منها في عمود واحد، وشاهد الأوابد في السطر الأخير من الصفحة المذكورة[٤٩].

وهكـذا اجتمعت كثرة رموز فيشر مـع الاضطراب المجمعيّ في رسمها[٥٠] مع وجـود رموز تحمل مدلولين مختلفين؛ مثـل حرف التاء (ت)، فقد جعله فيشر في جـدول الرموز صـ (ه) اختصارًا لصحيـح الترمذيّ، وجعله صـ (يط) بمعنى (تحـت، من تحت)، وقد يقـال إن الأمر سهل عند ذكر حديـث نبويّ؛ حيث يدل سيـاق الكلام على **سنن الترمذي**، ولكن كان من واجب المجمع التدقيق في كتابة الرمـوز والاختصارات، والتعليـق على الرموز الغامضـة، وكان في إمكانه تجميع الرمـوز بخط صغـير أسفل كل صفحـة كي يعين القـارئ على الإفـادة المباشرة منها[٥١].

والثـاني: أخطاء تسرَّع فيها فيشر، ويمكن التمثيل بكلمة «أوابد»، التي جعلها فيشـر بمعنـى مضحكات، ثم قـال: «وتخص أيضًـا العصر المتأخـر»، واستشهد علـى ذلك بقـول الزمخشريّ: «وقـرئ: ﴿وَيْلٌ لِـكُلِّ هُمَـزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ بسكـون الميم،

وهو المَسْخَرة الـذي يأتي بالأوابد والأضاحيك»[٥٢]! وقـول فيشر: «وتخص أيضًا العصـر المتأخر» يعنـي أن «أوابد» استُعملت قبل الزمخشـري بمعنى مضحكات، ولم يقـدم فيشـر شاهدًا على ذلك! حتى نص الزمخشريّ- مع تأخره عن القرون الثلاثـة الهجريّة التي حدَّدها فيشر- لا يصلح دليـلًا كافيًا على استعمال الأوابد بمعنى المضحكات! فالأضاحيك جمع الأُضحوكة، وهي كلّ ما يُضحَك منه، أو كل موضع سخريـة[٥٣]، فمراد الزمخشري أن الهُمَزة اللُّمَزة هو المسخرة الذي يأتي بالغرائـب والمضحكات؛ والعطف هنا للتشريك والتقييـد، وجعله فيشر للتفسير، وقـد سارت في ركاب فيشر لجنة النسخة التجريبية من **المعجم الكبير**[٥٤]، وتبعه أيضًـا بعض أكابر العلماء؛ منهم الدكتور عبدالله درويش، والدكتور أحمد مختار عمر[٥٥]! ويبدو أن لجنة الجزء الأول من **المعجم الكبير** لم يرُقها توسُّع فيشر، أو تسرُّعـه، فحذفت نصَّ الزمخشريّ؛ حيـث رأته يفتقر إلى دليل استعمال الأوابد مُطلقًا بمعنى المضحكات[٥٦].

الخاتمة

والآن وقد حصل اتحاد المجامع- ورئيسه هو رئيس المجمع المصريّ- على وعد كـريم من حاكـم إمارة الشارقة بتمويل مشـروع **المعجم التاريخـيّ للغة العربية** أرجو من المجمع الموقر إعادة النظر فيما طُبع من معجم فيشر، وإخراج ما عنده مـن جزازات أو الاعتراف بضياعها حتى لا تتعلق آمال المهتمين بها، وعليه كذلك أن يبحث عما تفرَّق من هذه الجزازات في ألمانيا، أو يقتني نسخة مما بادر بعض الأساتـذة الألمان في جامعة توبنجن بنشره من هـذا المعجم مستعينين «بعدد من أهـل التخصص في هذا الميـدان، وقد خرجت أول كراسة منـه سنة ١٩٥٧م من أول حـرف الكاف»[٥٧]. وليت المجمع يبـدأ في إصدار الأجزاء الأخيرة من **المعجم التاريخـيّ** كـي لا يعتمد على ما صدر من أجزاء **المعجـم الكبير**، وعسى أن يلتقي المعجمـان في مرحلـة وينتهيا في مرحلة أخرى. ولعل المجمـع يصبر صبرًا جميلًا حتـى تكمل الدوحة تجربتها في **المعجم التاريخيّ** الـذي قطعت فيه شوطًا كبيرًا؛

كي يفيد المجمع من تجربتها؛ فالحضارات تُبنى بوضع لَبِنة إثر لَبِنة، والعمل حيث انتهى الأولون والمتقدمون.

الهوامش:

(*) باحث معجميّ ومحقّق لغويّ- جمهورية مصر العربية.

(١) وقد تلقَّى العلم على يد فيشر كثير من المستشرقين، منهم برجشتراسر (Bergstrasser) الذي درَّس لبعض اللغويّين المصريّين؛ منهم الدكتور رمضان عبد التواب ؛ راجع مزيدًا من التعريف بفيشر في: **المجمعيون في خمسة وسبعين عامًا** ص٥٧٦- ٥٧٨.

(٢) محاضر الجلسات؛ **مطبوعات المجمع** ط/١٩٣٩م. جـ٤/٤٩٠،٣٥٩،١٨٣،١٥٦، ط/١٩٧٠م. جـ٦/٢٠٤.

(٣) من مرسوم إنشاء المجمع الصادر في ١٤شعبان سنة ١٣٥١- ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢، راجع المرسوم كاملًا في: مرسوم إنشاء المجمع والمراسيم المعدلة له ص١١.

(٤) من غير المعقول إنجاز معجم لخمسة قرون في هذه المدة الوجيزة، ولكن فكرة المعجم التاريخيّ للغة العربية كانت في ذهن فيشر قبل تعيينه في المجمع المصريّ؛ فقد عرَض فكرته لأول مرة في سنة ١٩٠٧م في باسَل (Basel) في اجتماع المستشرقين الألمان، ثم عرضها في المؤتمرين الأمميَّيْن للمستشرقين اللَّذيْن عُقدا في كوبنهاجن سنة ١٩٠٨م، وفي أثينا سنة ١٩١٢م، راجع مقدمة فيشر لكتابه: **المعجم اللغويّ التاريخيّ**، من أول حرف الهمزة إلى (أ ب د)، **مطبوعات المجمع** ط١/١٩٦٧م، ص٢٩.

(٥) عبارة غير دقيقة، وسوف يردِّدها ماسنيون بعد قليل، وقارن بقول فيشر: «قصدي أن أضمّن معجمي كل اللغة العربية الأدبية الخاصة بزمان الجاهلية وبثلاثة القرون الأولى بعد الهجرة»، راجع محاضر الجلسات- **مطبوعات المجمع** ط/١٩٣٧م.جـ٢/٣٨٢.

(٦) محاضر الجلسات- **مطبوعات المجمع** ط/١٩٣٧م.جـ٢/١٧٦.

(٧) هكذا بياء واحدة هنا ص١٧٧، ص٣٨٣، ولكنها بياءين وسينين «ماسينيوس» في مرسوم تعيين الأعضاء العاملين بالمجمع ١٩٣٣م ضمن: مرسوم إنشاء المجمع والمراسيم المعدلة له ص٦٤، وبياءين ونونين «ماسينيون» في : **المجمعيون في خمسة وسبعين عامًا** ص٩٣٤.

(٨) هل أخذ المجمع بنصيحة هذا المستشرق؟ وهل حُفظت الجزازات؟ لعل السطور القادمة تجيب!

(٩) محاضر الجلسات- **مطبوعات المجمع** ط/١٩٣٧م. جـ٢/١٧٧ وما بين القوسين الهلاليّين زيادة مني، وفي كلام الجارم إشارة إلى أن معجم فيشر محاولة جزئية من **المعجم التاريخيّ الكبير** الذي يحتاج إلى زمن طويل، وفيه إشارة إلى أهمية هذه المحاولة وضرورة إدراجها والإفادة منها في المعجم التاريخيّ الكبير، ولا يخفى أن هذا المعجم المنشود غير المعجم الكبير الذي شرع فيه المجمع منذ عام ١٩٥٦م.

(١٠) في الموضعين بلفظ: «الانكليزية» بالكاف وألف وصل؛ وقد يكون إسقاط الهمزة من أثر الطباعة!

(راجع **المعجم الكبير- مطبوعات المجمع** جـ١/٥٦٧)، ومن الواضح اعتزاز فيشر بلغته الألمانية، ولكن لجنة المعجم آثرت الفرنسية مراعاة للشهرة.

(١١) في الأصل «اليها» بألف وصل!

(١٢) لا أدري! هل قدَّم فيشر هذه الجزازات؟ وهل انتفع بها المجمع فيما صدر من أجزاء **المعجم الكبير** ابتداء من النسخة التجريبية التي صدرت عام ١٩٥٦م؟ وهل سينتفع بها - كما رأى أعضاؤه الأوائل - في **المعجم التاريخيّ الكبير** الذي يستعدّ له الآن بعد أن حصل على وعد كريم من حاكم إمارة الشارقة بتمويل هذا المشروع؟

(١٣) محاضر الجلسات- **مطبوعات المجمع** ط/١٩٣٧م.جـ٢/٣٥٢ وما بين القوسين الهلاليّين وقع بألف وصل!

(١٤) لم يوضح فيشر سبب اعتماده على الزمخشري (ت ٥٣٨ه)، ولم يسمِّ كتب الاصطلاحات ونقد الأسانيد!

(١٥) هذا ردّ واضح من فيشر على من يدَّعي أنه اعتمد على خمسة القرون الأولى من الهجرة.

(١٦) لم يوضح سبب اختياره الأغاني، ولم يراعِ الترتيب بين صاحبه (ت٣٥٦هـ) وبين ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ).

(١٧) محاضر الجلسات- **مطبوعات المجمع** ط/١٩٣٧م. جـ٢/٣٨٢ وقد كان حديث فيشر في الدورة الثانية المنعقدة ١٩٣٥م، وانظر إلى الهمة والتخطيط، ولا شك أنه أراد بنشر المعجم على مراحل دعوة المتخصصين في اللغة من عرب ومستعربين إلى القراءة، وتسجيل ما يمكن أن يلحظوه في كل جزء كي يتم استدراكه في الجزء الذي يليه. وليس دقيقًا قول الدكتور صالح بلعيد إن فيشر «عرض فكرته سنة ١٩٣٦م على مؤتمر مجمع القاهرة»! راجع: المعجم التاريخيّ للغة العربية، إجراءات منهجية - د. صالح بلعيد- **مجلة المجمع** جـ١١٤/١٥٧.

(١٨) محاضر الجلسات- **مطبوعات المجمع** ط/١٩٣٨م.جـ٣/٦ وما بين القوسين الهلاليّين وقع بألف وصل! وليس صحيحًا قول الرئيس إن فيشر بدأ جمع مادة معجمه من القرن الأخير للجاهلية؛ فقد عرفنا آنفًا أنه اعتمد على خمسة قرون منها القرون الثلاثة من الهجرة! محاضر الجلسات- **مطبوعات المجمع** ط/١٩٣٧م. جـ٢/١٧٦.

(١٩) محاضر الجلسات- **مطبوعات المجمع** ط/١٩٣٨م. جـ٣/١١٣.

(٢٠) ما بين القوسين الهلاليّين كُتب بألف وصل! وقد أشار الدكتور فارس إلى كتاب لأحمد كمال باشا في ألفاظ اللغة الهيروغليفية، كما اعترف ص ١١٢ أن نموذج فيشر «طريقة مبتكرة في التأليف المعجميّ؛ فلا شك في فائدته».

(٢١) قوله: «شواهد لا داعية إليها»؛ يعني شواهد لا حاجة داعية إليها.

(٢٢) قوله: «يؤرخ الكلمات» صحيح فصيح، وإن كان الأشهر في الاستعمال الحديث تعدية الفعل أرَّخ باللام؛ راجع: **تاج العروس** للزبيدي (أ ر خ) جـ٧/٢٢٥- ٢٢٦، و**معجم اللغة العربية المعاصرة** (أ ر خ) جـ١/٨٢.

(٢٣) ما بين القوسين الهلاليّين وقع في محاضر الجلسات جـ٣/١١٢ بلفظ: «اليه»، «أخذ»، «باثبات»!

وإسقـاط الهمزة من أثر الطباعة، ونحن نؤثر كتابة المادة المعجمية بحروف مفرَّقة هكذا (أ خ ذ) تمييزًا لها عن الفعل. وفي كلام فيشر دليل على اهتمامه بعمله ونظره فيه بعد طبع المجمع له، وفي كلامـه أيضًا دعوة إلى ضبط المعاجم بالشكل التامّ، وإلى اختصار حجم المعجم حتى لا يكون غلوُّ ثمنه مانعًا من شرائه.

(٢٤) مـا بـين القوسين الهلاليّين كُتـب بألف وصل! والضبط الكامل في المعجـم العربيّ يصعب تطبيقه مـع عيـوب الكتابة العربية وضعف المراجعين وقلة عزائمهم؛ ونطمـع في ضبط المُلبس الذي يشتبه أو يختلـط وتجنُّب التصحيـف والتحريف، وسبق آنفًا في كلام لفيشر أنـه ضبط في جزازاته وأن المجمع لم يلتزم! وأما التفسيرات فتوضع في المتن بين قوسين، ولا داعي للحواشي.

(٢٥) مـا بـين القوسين الهلاليّين قد يكون من أثر الطباعة؛ لأن الأفصح والأشهر كسر همزة (إن) بعد (إذ)، وربمـا يكون أخذًا بـرأي من يجيز الفتح؛ راجع **حاشية الصبان علـى شرح الأشموني على ألفيـة ابـن مالـك** (إن وأخواتها) جـ١/٢١٨ بلفـظ: «والصحيح جواز الفتـح عقب (حيث)..... و(إذ) مثل (حيث) في جواز الفتح فيما يظهر».

(٢٦) محاضر الجلسات- **مطبوعات المجمع** ط/١٩٣٨م.جـ٣/١٥٤.

(٢٧) مـن التراث المجمعيّ مثال «أخذ» من **معجم فيشر**- تقـديم وعرض الأستاذ محمد شوقي أمين- **مجلـة المجمـع** جـ٤٢/٣٧- ٣٨ بلفظ: «رئيس لمجمع»! وتكـرار كلمة المجمع في نهاية الكلام مقبول، وتعبـير «كان يريـد المؤلـف» من قبيل تقديـر ضمير الشـأن، أو زيادة كان، أو تقـديم خبرها على اسمها، راجع: **معجم الصواب اللغويّ** (مسألة٣٨٧) جـ٢/٩١٥.

(٢٨) يمكـن التمثيـل بالدكتور عبـد الله درويش، الذي عرَض بتصرف واختصـار نموذج (أ ب د) من **معجـم فيشـر** دون أن ينتبه إلى السقط وما نتج عنه من تكـرار! راجع كتابه: **المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين**، ص١٤٥.

(٢٩) راجـع البيتـين في **ديـوان ابـن الرومـي**- تحقيـق د.حسين نصار جـ١/٤٠٢ والبيـت الأول بلفظ «فأخلصتُ»، والثاني بلفظ «خيَّست».

(٣٠) لا أدري المقصود بالرمز (رآ)، ولعل الصواب (رَوّ) مع وضع علامة المد على الحرفين، ويُستعمل هذا الرمز عند فيشر بمعنى «وقد رُوي، وفي رواية أخرى». وراجع أمثلة أخرى على البياض ص٦٤، ٧٢.

(٣١) الحـذف هنا غير مخـلّ يلجأ إليه المستشرقـون رغبة في الاختصـار، وكان الواجب وضع النقاط الدالة على الحذف.

(٣٢) للمقارنـة بـين الترجمـة في النشرتين راجع مثلًا النشـرة الأولى صـ ٨٤-٨٧، والنشرة الجديدة ص٤٢-٤٣.

(٣٣) فسَّـر فيشـر بعضـ الكلمـات الصعبـة، وأشار إلـى بعض الروايـات داخل الأبيات، وهـو نوع من الاختصـار عنـد المستشرقين، وهنـاك موضع- إن لم يخنـي الإحصاء- تُـرك في النشرتين داخل البيت، راجع النشرة الأولى ص٩١، والنشرة الجديدة ص ٤٩.

(٣٤) جـدول الرموز من صنع فيشر رغبة في الاختصار، وهو في عشرين صفحة، وقد خلت منه النشرة الأولى!

(٣٥) ص (ه)، وتلقَّف هذه العبارة دون تعليق الدكتور أحمد مختار عمر في: **البحث اللغويّ عند العرب** ص٣١٦.

(٣٦) د. ناصر الدين الأسد - المعجم الكبير للمجمع يغني عن المعجم التاريخيّ اللغويّ- **مجلة المجمع** جـ١١٠/١١٠-١١١، وقد سبقت الإشارة إلى أن فيشر (١٨٦٥- ١٩٤٩م) عرض فكرته في باسَل عام ١٩٠٧م.

(٣٧) د. محمد حسن عبدالعزيز، **المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج**، ص ٧٠ - ٧١.

(٣٨) هذا يدفعني إلى المطالبة بتعيين مستشار لغويّ معجميّ لرئيس المجمع وأمينه العامّ، وعسى أن يكون قريبًا.

(٣٩) النشرة الأولى ص٩٦، والنشرة الجديدة ص٥٣، وليس الخطأ في طريقة الكتابة، ولكن في التنويع، ومثله ضبط «فُرِيْتاغ» بإسكان الفاء والياء تارة، وإسكان الفاء والياء والغين تارة أخرى، وأحيانًا بدون ضبط! راجع النشرة الجديدة ص٢١ من المقدمة، ص (ز) من جدول الرموز.

(٤٠) النشرة الأولى ص ٨٩، ٩١، ٩٣-٩٥، والنشرة الجديدة ص ٤٦، ٤٨، ٥٠، ٥٢-٥٣، ومن التنويع في النشرة الأولى كتابة (الخ) هكذا بألف وصل، وفي مواضع أخرى (آلخ) كذا بالمدّ!

(٤١) النشرة الأولى ص٢٢-٢٣، وقارن بالجديدة ص٢٠-٢١، ص٢٣، ٢٧، ٢٩-٣٤، ص(أ) - (يز).

(٤٢) عجزه في النشرة الأولى ص٩٤، والنشرة الجديدة ص٥١ (تتابُع الموجِ خلفَ الموج تحتفزُ). وقد وقع مفتتح الشطر الثاني في **المعجم الكبير** ط/١٩٥٦م. ص١٠٠ بلفظ «كَتتابع»؛ ولا يستقيم الوزن العروضيّ!

(٤٣) كذا بدون همزة، ومثله (المفصَّل) بدون ألف ص (ك)، ومثله في ترقيم صفحات جدول الرموز (بط) بعد (يح)، والصواب (يط) حسب الترتيب الأبجدي، وكل هذا من آثار الطباعة والمراجعة!

(٤٤) **المعجم اللغوي التاريخي** لفيشر- النشرة الثانية ص ٢٥ وصواب الإحالة ص ٢٢، وفي النشرة الأولى ص٢٨ أُحيل إلى ص٢٢، والصواب إلى ص٢٤!

(٤٥) أثيوبيا بفتح الهمزة في **المعجم الوسيط** (ح ب ش) جـ١/١٥٨، و**المعجم الكبير**- مطبوعات المجمع (أ ث ي و ب ى ا) جـ١/١٠٢، و**المعجم العربي الأساسي** (أ ث ي و ب ى ا) ص٧١، و**معجم اللغة العربية المعاصرة** (أ م ه ر) جـ١/١٢٥.

(٤٦) المعجم اللغوي التاريخي لفيشر ص (يد)، وبعده الرمز (نقائض جف).

(٤٧) وكذا في النشرة الجديدة ص٥٠، ويقابله في النشرة الأولى ص٩٣ مرة بالمد ومرة بدونه!

(٤٨) مستخلص بعد تصويب أخطاء النشرتين.

(٤٩) البكري- **معجم ما استعجم** - نشره فَرْدناند فُسْتَنْفَلد جـ٢/٤٦٣.

(٥٠) وراجع مثلًا الرمز (مر) بمعنى (مرادف)؛ حيث كُتب في جدول الرموز بالمد على الميم والراء، وكُتب ص٩٦ من النشرة الأولى، ص٥٣ من النشرة الجديدة بالمدّ على الراء فقط! ومثل الرمز (رَ) بمعنى (راجع)؛ حيث كُتب ص ٩٦ من النشرة الأولى بالمد مرتين، وكُتب ص٥٣ من النشرة الجديدة مرة بعلامة المد وأخرى بدونها! وسبقت الإشارة آنفًا عند الحديث عن هفوات النشرتين

إلى الرمز (نقائض جا) الذي استعمله فيشر اختصارًا لنقائض جرير والأخطل، ووقع في النشرة الجديدة ص٤٥ بلفظ: (نقائض جآ) بالمدّ على الألف، وجُمع في النشرة الأولى ص ٨٨ بين الهمزة والمدّ! وكذلك الرمز (نقائض جف) الذي استعمله فيشر اختصارًا لنقائض جرير والفرزدق، ووقع في النشرة الأولى ص٩١، والنشرة الثانية ص٤٩ بإضافة علامة المدّ على الجيم!

(٥١) حدث هذا في بعض المعاجم العربية؛ مثل **معجم القراءات القرآنية**- د. أحمد مختار عمر ود.عبدالعال سالم مكرم.

(٥٢) بعده في **الكشاف** «فيُضحك منه ويُشتَم»، وفي النص دلالة على فصاحة استعمال «المسخرة» بمعنى المُضحك، راجع: الكشاف للزمخشري جـ٤/٢٨٣، والمعجم اللغوي التاريخي لفيشر ص٤٩، والنشرة الأولى ص٩٢، وتكرَّر ص٨٠ بدلًا من كلام ساقط!

(٥٣) **المعجم الوسيط** (ض ح ك) جـ١/٥٥٥، و**معجم اللغة العربية المعاصرة** (ض ح ك) جـ٢/١٣٤٨.

(٥٤) **المعجم الكبير** ط/١٩٥٦م. (أ ب د) صـ٩٨: «وتُطلق الآبدة مجازًا على الكلمة الغريبة الوحشية، أو الفعْلة، أو الداهية يُنفَر منها ويُستوحَش، أو العادة المنكَرة، أو القول المضحك..... ومال(!) الزمخشريّ في **الكشاف** عند تفسير قوله تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾: وقرئ لُمَزة، بسكون الميم، وهو السُّخْرة (!) الذي يأتي بالأوابد والأضاحيك؛ فيضحك منه ويُشتَم»!

(٥٥) **المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين** صـ١٤٥- ١٤٦، و**البحث اللغويّ عند العرب** ص٣١٩.

(٥٦) **المعجم الكبير** (أ ب د) جـ١/٢٤- ٣٠، و**المعجم الوسيط** (أ ب د) جـ١/٢، و**معجم اللغة العربية المعاصرة** (أ ب د) جـ١/٥٢ وعدم ذكر الأوابد بمعنى المضحكات في المعجم الأخير قد يكون رجوعًا من الدكتور مختار- مؤلف المعجم بمساعدة فريق عمل كنتُ واحدًا منهم- إلى الصواب.

(٥٧) **المجمعيون في خمسة وسبعين عامًا** ص٥٧٧، وراجع **مجلة المجمع** جـ١١٤/١٥٧.

مناهج التحقيق في مؤلفات العرب في المعادن

ملاحظات واستدراكات

مصطفى يعقوب عبد النبي(*)

يكاد ينعقد الإجماع بين أرباب فن التحقيق على أن الغاية من التحقيق هو كتابة النص المحقق في صورة أقرب ما تكون إلى ما كتبه المؤلف نفسه بلا زيادة أو نقصان. ومعنى هذا أن جهد المحقق سوف ينصب في مجرى واحد، وهو تطبيق أسس التحقيق وقواعده؛ من المقابلات بين النسخ المختلفة، وإثبات الساقط من الألفاظ، والتنبيه على ما قد يقع عادة في النسخ من تحريف وتصحيف، وغير ذلك من أمور قواعد التحقيق؛ بغية شيء واحد، هو الوصول بالمتن إلى الصورة التي كتبها المؤلف، دون أي تدخل من جانبه؛ سواء بالشرح، أو إيضاح ما غمض من الألفاظ، وبمعنى آخر: تحويل النص المكتوب في صورة مخطوطة إلى صورة مطبوعة. ليس هذا فحسب، بل إن محققًا شهيرًا كالدكتور صلاح الدين المنجد يعيب على المحققين ما يضيفونه في الحواشي من الشروح؛ إذ يقول: «غاية التحقيق هو تقديم المخطوط صحيحًا كما وضعه مؤلفه دون شرحه. إن الكثرة من الناشرين لا تنتبه إلى هذا الأمر، فتجعل الحواشي ملأى بالشروح والزيادات: من شروح للألفاظ، وترجمات للأعلام، ونقل من كتب مطبوعة، وتعليق على ما قاله المؤلف، كل ذلك بصورة واسعة مملة قد تشغل القارئ عن النص نفسه»(١).

ومثل هـذا الفريق من المحققـين يفترض شيئًا واحـدًا؛ أن النص الذي كتبه المؤلـف منـذ مئات السنين، هو نصـ عصري مفهوم قد كتـب بالأمس القريب لا غموض فـي ألفاظه أو معانيه، ولا حاجة إلى شروح أو تعليقـات. وهذا الافتراض غـير صحيح تمامًا؛ فالشـروح والتعليقات هـي من الضرورة بمـكان في مؤلفات الـتراث حتـى يتيسر فهمهـا وإدراك معانيها، وهو غاية المؤلف مـن تأليفه. ولقد فطـن الأستاذ عبـد السلام هارون إلى هـذا الأمر، فأوضحه قائـلاً: «لاريب أن الكتـب القديمة، بما تضمنت من معارف قديمة، محتاجة إلى توضيح يخفف ما بهـا من غموض، ويحمل إلـى القارئ الثقة بما يقرأ والاطمئنـان إليه. ومن هنا كان مـن المستحسن ألا يترك المحقق الكتاب غُفلاً من التعليقات الضروريـة التي تجعلـه مطمئنًّا إلى النص، واثقًا من الجهـد الذي بذلـه المحقق في تفهم النص وتقدير صحته»[٢].

ومـن الطريف في الأمر أن القدماء كانوا أكثر وعيًـا وإدراكًا لهذه الحقيقة؛ بدليـل شروحهـم المتنوعة للشعر العربـي القديم، التي لولا وجودهـا لما استقام فهْـم الكثـير من هذا الشعر، وعلى سبيل المثال؛ هل كان بإمكان القارئ أن يفهم المعلقـات لولا شروح ابن الأنباري وأبي جعفر النحاس وغيرهما ممن تناولوا تلك المعلقات وغيرها من الشعر العربي القديم بشروحهم المتنوعة؟

نخلـص من هذا لنقـول: إن التعليق على النص، بما يزيـل غموضه ويفسر معانيـه، يجـب أن يكون من أهـم مقاصد التحقيـق التي يوليها المحقـق عنايـة خاصـة، نقـول هـذا لأن هنـاك ضربًا مـن ضروب الـتراث العربي هـو الأوْلى بالشـروح والتعليقات مـن سواه، وهو الـتراث العلمي العربـي؛ فمؤلفات التراث العلمـي إذا خلت مـن الشروح والتعليقات تصبح هـي والمخطوطات العصيَّة على القراءة والفهم سواءً بسـواء، وأنها مجرد نشر للكتاب وليس تحقيقًا له. فالنشر هـو مجرد تحويـل المخطوط من كونه مخطوطًـا تعسُر قراءته إلـى كتاب مطبوع تسهل مطالعته مـع بعض زيادات يجريها المحقق؛ كالمقابلات بين النسخ، وإثبات الساقـط من الألفاظ، وبيان مواضع التصحيف والتحريف، وغير ذلك من أسس التحقيق وقواعده.

ولقد تخيرنا من بين أنماط التراث العلمي العربي مؤلفات العرب في المعادن،

مـن حيث تعامـل المحققين مع تلك المؤلفـات، حسب الترتيـب الزمني من تاريخ الطبع، حتى يمكن معرفة التطور الحادث في مناهج التحقيق:

أولاً: الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني (١٣٥٥ هـ)

ومحققـه هـو فريتس كرنكـو (Fr.Krenkow) (١٨٧٢ـ١٩٥٣) وهو مستشـرق ألماني، حقق الكثير مـن المخطوطات العربية، ولاسيمـا النادرة منها، ولمـا أنشأ سلطـان حيدر آباد دائرة المعارف العثمانيـة، اتصل كرنكو بها، وكلفته بنشر عدد كبير من أمهات الكتب، من بينها **الجماهر في معرفة أحوال الجواهر** للبيروني، واعتنق الإسلام، وأسمى نفسه محمد سالم الكرنكوي[٣].

ولا نحسـب أننا ننكر جهد هذا الرجل؛ **فالجماهـر** لا يوجد من مخطوطاته سـوى ثـلاث نسخ فقط، ربما كانت معرَّضة للضيـاع أو الفقد؛ إذ يقول في خاتمة الكتـاب: «اعتمدت في تهذيب هذا الكتاب على ثلاث نسخ، وليس في العالم نسخة أخرى، وهي:ـ

ـ نسخة محفوظة في خزانة طوب خانة بالآستانـة.

ـ نسخـة في خزانـة السيد راشد أفندي بالقيصريـة، وقد كُتبت في مصر في زمـن دولة المماليك، وقـد أخطأ الكاتب في مواضع كثيرة ظنًّـا أنه يصحح أصله فوهم.

ـ نسخـة محفوظـة فـي خزانة الأسقوريـال بالأندلس، وهـي بقلم جاهل باللغة[٤].

ولعـل مـا يُحمد للرجل أنـه كان سببًا من أسباب وجود العلـم العربي ضمن فصول تاريـخ العلم الإنساني العام فيما يتعلق بعلـم المعادن (Mineralogy)؛ فقد أجمع المستشرقون ومؤرخو العلم على دور البيروني وريادته في قياس الأوزان النوعيـة للمعـادن، وهـو أول قياس مـن نوعه في تاريـخ العلم علـى أساس علمي سليـم[٥]. فلولا هذه النسخ الثـلاث وعكوفه على تحقيقها ـ أيًّا كان هذا التحقيق ـ هو الذي جعل لعلم المعادن ذكرًا وأي ذكر في تاريخ العلم. أما من ناحية التحقيق، فإننـا نظلـم الرجل ونكلفه فوق ما يطيـق إذا طلبنا منه أن يعقّـب على كل فقرة غامضة، أو يشرح كل لفظة غريبة، فهذا جهد آخر من باحثين آخرين.

أمـا عـن الكتاب، فيجب الاعتراف بأن **الجماهر** مـن الكتب التي تعسر على القـراءة، وربما تعسر على الفهم أيضًا؛ لأن اللغة العربية كانت بالنسبة للبيروني لغـة أجنبية، فيقع في كلامـه بعض الخشونة، وقد صنف البيروني هذا الكتاب في شيخوخته عندما قارب الثمانين من عمره[٦].

والحقيقة أن المحقق لم يقصر في تطبيق أسس تحقيق المخطوطات وقواعدها، فقد انصبّ جهده في إثبات اختلافات النسخ، كما أثبت أيضًا ما كتبه النساخ من هوامش، والتي غالبًا ما توضح غوامض شتى في عبارات البيروني رأى الناسخ ألا يتركهـا دون تعليق أو إيضاح، وغير ذلك مـن أسس وقواعد. غير أننا نأخذ على المحقق أمرين:

الأول: أن الكتـاب كتـاب علمـي في الأساس، ومـن بديهيات الأمـور في هذه الحالة أن يعالج النص معالجة علمية، أي يحقق النص على ضوء معطيات العلم الحديث بوصفه نصًّا علميًّا. وإذا كنا قد سلمنا بأن هذا فوق طاقة المحقق، إلا أنه قـد أجهد نفسه في تخريج الأبيات الشعرية التـي استشهد بها البيروني في كتاب لا حاجـة للقارئ لهذا الجهد، وما أكثر الأبيات التي استشهد بها البيروني، فوُفّق في تخريـج بعض الأبيات، ولم يوفّق في البعضـ الآخر، وكان يجب عليه أن يسخّر هـذا الجهد في شرح وتفسير بعض الألفـاظ التي تحتاج إلى ما يعين القارئ على الفهـم والإدراك، وهي غايـة سامية من غايات المحقـق؛ أن يكون النص مفهومًا بقدر الإمكان.

الثـاني: أن المحقق لم يستثمر وجوده في جامعة عليكـره بالهند، حيث دائرة المعارف العثمانية التي أصدرت العشرات من مؤلفات التراث العربي، فلم يستشر أيًّا من المختصين باللغات الهندية القديمة، أو لغات ما جاورها من بلاد كخوارزم مثلاً؛ لأنه ـ كما يبدو لنا من قراءة **الجماهر** ـ كان هناك عدد لا بأس به من أسماء المعـادن والأحجار الكريمـة هي من اللغات المحلية الهنديـة التي كانت سائدة في عصر البيروني، وكما هو معروف فإن الهند من مواطن الأحجار الكريمة، قديمًا وحديثًا.

يبقـى بعد ذلك القسـم العلمي من الكتـاب، وهو هنا بيـت القصيد، وغاية المـراد من الكتاب، إذ لابد أن يتولاه باحث متخصص في علوم المعادن. ليس هذا

فحسب، بل يجب أن يتمتع بحس علمي؛ لأن الكتاب هو كتاب علمي في الأساس، برغم ما حواه من تاريخ وأدب ولغة؛ إذ إنه من الخصائص الواردة في الجماهر المتعلقة بمعدن ما أو حجر كريم ما، يمكن لهذا الباحث أن يستنتج الاسم العلمي له في سهولة ويسر. كما يمكن لهذا الباحث أن يتوصل إلى حقيقة المصطلح العلمي في لغة البيروني، ولنأخذ مثلاً على كيفية التوصل إلى الاستنتاج العلمي للمصطلحات العلمية؛ فعلى سبيل المثال كلمة (قطب) المنسوبة إلى الياقوت الأكهب، والتي ترد كثيرًا لدى الحديث عن أوزان الأحجار الكريمة، فيقول البيروني «وقد جعلنا وزن المائة من الأكهب قطبًا في القياس سائر ما عداه، وإليه نرجع كالرجوع إلى القانون»[٧]. و(القطب) هنا هو كما في أدبيات مراجع العلوم الحديثة: وحدة قياس (Measure unit) كالمتر - مثلاً - كوحدة قياس الطول، وكالجرام كوحدة قياس للأوزان. غير أن البيروني عندما احتاج إلى تقدير الأوزان النوعية للأحجار الكريمة كان لابد له من وحدة قياس، فاختار الياقوت الأكهب وجعله مائة، أي قطبًا يقاس به. ومن هنا تيسر له قياس الأوزان النوعية للمعادن الواردة في الكتاب بالنسبة لمقياسه الخاص الذي ارتضاه، وهو الياقوت الأكهب. وعلى هذا الأساس، فإن البيروني يكون أول من استعمل وحدة القياس في الأوزان في تاريخ العلم، ومن هنا جاءت إشادة الكثير من مؤرخي العلم بدقة أوزان البيروني.

وتأتي الفقار العلمية في النص معضلةً من المعضلات التي تواجه المحقق، فماذا يفعل المحقق حيال فقرة في النص قد تبدو ألفاظها سهلة ميسورة، بحيث يمكن تفسيرها من معاجم اللغة، غير أنها تظل على حالها من الغموض والإبهام، هنا يبرز دور الحس العلمي للمحقق من أهل الاختصاص في تفسير تلك الفقرة الغامضة المعنى، والسهلة الألفاظ في آن واحد.

فعلى سبيل المثال؛ أورد البيروني فقرة جاء فيها: «وقال الكندي: ومن أشباهه - يقصد أشباه الياقوت - الكركهن في جميع أنواعه، فمنه الخلوقي والزيتي والفستقي وبوقلمون، يوجد فيه كل لون من الخلوقية والصفرة والخضرة والسماوية، ترى فيه هذه ألوان عند تحريكه، فيتلون ضروبًا كبوبراقيش في تلون

ريشه... وقول الكندي في الألوان المختلفة تترأيا فيه الحركات يدل أنها ليست فيه ذاتية إنما هي مخايل»[٨].

ولاشك أن الباحث في علم المعادن سوف يستنتج، وهو يطالع هذه الفقرة، أن البيروني يتحدث عن معدن متلوّن أو متعدّد الألوان مثل (أبو براقيش). وبالبحث عن (أبو براقش) هذا وجدناه، كما جاء في **عجائب المخلوقات** للقزويني: «طائر حسن الصوت، طويل الرقبة والرجلين، أحمر المنقار، يتلون كل ساعة بلون من أحمر وأخضر وأصفر وأزرق، وفيه يقول الشاعر:

كأبي براقش كلّ لو ن لونه يتخيل»[٩]

ولعل أقرب المعادن الذي ينطبق عليه تلك الأوصاف اللونية هو معدن التورمالين (Tourmaline) الذي يتميز بخاصية تلاعب الألوان[١٠]. ومما يرجّح لدينا أن المعدن المقصود الذي عناه البيروني هو التورمالين، أن (التورمالين) لفظة سنهالية[١١]، والسنهالية هي لغة سيلان[١٢]، وهي جزيرة زاخرة بكل أنواع الأحجار الكريمة، وعلى رأسها الماس واليواقيت كما هو معروف ومشهور عنها قديمًا وحديثًا. ومما يسترعي الانتباه أن البيروني كان مصيبًا كل الإصابة، وموفقًا في صدق رأيه عندما رأى أن الألوان ليست ذاتية، بل هي مخايلُ على حد تعبيره.

ومثل آخر على أهمية الحس العلمي في تحقيق الجماهر، حيث أورد البيروني فصلاً بعنوان «في ذكر الكهربا» جاء فيه: «...يسلب التبن بجذبه إلى نفسه والريشة، وذلك بعد الحكّ على شعر الرأس، واسمه بالرومية القطرون. وزعم حمزة أن الكهربا نوع من الخرز يطفو على بحر المغرب، ولا يعرف معدنه، وليس كما قال، وكأنهما لم يريا الحشيش والبقّ والذباب، ثم كيف يعرف له معدن وليس بمعدني. وقال الكندي: الكهربا صمغ كالسندروس من شجرة تنبت ببلاد الصقالبة على شاطئ نهر، كل ما سقط منها في الماء انعقد وجرى إلى البحر، وألقته الأمواج على الساحل»[١٣].

ومـن هنا يبرز دور الحس العلمي للمحقـق؛ لأن البيروني يتحدث عن العنبر الـذي له أسماء شتى منها «الكهرمان والكهـرم والكهربا وحجر البحر ومصباح الـروم والعنـبر»[١٤]. وكل مـا قالـه البيروني عـن العنـبر أو الكهربـا ـ على حد تعبـيره ـ يتفـق تمام الاتفاق مع معطيـات العلم الحديث من حيـث أماكن وجوده وخصائصـه[١٥]. غير أن هناك جملـة لا بد أن تستوقف كل ذي حسٍّ علمي، وهي قولـه: «ثم كيف يعرف له معدن وليس بمعدني». والحقيقـة أن البيروني كان أول مـن أدرك حقيقـة العنبر بأنه ليس من المعادن، وإن كان ذا صفة متحجرة مثلها. يقـول ماكس بور في كتابه الموسوعي عن الأحجار الكريمة Precious Stones: إن العنـبر مـادة (Material)، ولا يمكـن أن توصف أنها معـدن (Mineral)، إنها تتكـون من الكربون والأكسجين والهيدروجين بنسب مختلفة، مع وجود نسبة من عنصر الكبريـت[١٦]. ومعنى هذا أن التركيـب الكيميائي للعنبر يفتقد صفة الثبـات، وهـي الصفة الأساسيـة في المعـادن؛ إذ إن التركيـب الكيميائي الثابت هـو من الشـروط الواجب توافرها في المعادن. ليس هـذا فحسب، بل إن **قاموس أكسفورد** في الجيولوجيا يضع العنبر ضمن الأحافير (Fossils)[١٧].

تلـك كانت الملامح الرئيسة في منهج التحقيـق العلمي، وهو منهج يجعل من المخطـوط جزءًا فاعلاً في تاريخ العلم، وليـس كتابًا مطبوعًا غير قابل للفهم. إن كـثرة الدراسات عـن البيروني في المعادن لا تبرر بأي حـال عدم تحقيقه تحقيقًا علميًـا حتى الآن، بـل إن الموجود في المكتبات من **الجماهـر** هي نسخ مصورة عن طبعة حيدر آباد، حيث طبع أول مرة في سنة ١٩٣٨.

ومـن الجدير بالذكـر أن كاتب هذه السطور قد نـادى منذ ما يزيد على ربع قـرن، بـأن **الجماهر** للبيروني يحتـاج إلى التحقيـق العلمي بالنظـر إلى أهميته البالغة في تاريخ العلم[١٨].

ثانيًا: نخب الذخائر في أحوال الجواهر للأكفاني (١٩٣٩)

وهو من تحقيق الأب أنستاس ماري الكرملي، وهو حجة في لغات عديدة حديثة

وقديمـة؛ «فقد كان - إلى إتقانه اللغات العربيـة والفرنسية واللاتينية واليونانية - قـد ألَمَّ بطرف من لغات شرقيـة وغربية كثيرة: السريانيـة والعبرية والحبشية والصابئية والفارسية والتركية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية»[١٩]. لذا فليس مـن العجيب أن تأتي الهوامش والتعليقات زاخرة بالمعلومات القيمة والمفيدة حول أصول أسماء المعادن، التي أضافت كثيرًا إلى هذا الفرع من العلوم، حيث يندر أن يذكر كتاب من كتب المعادن - عربية كانت أم أجنبية- أصول أسماء المعادن، ولو لم تكـن في الكتاب من مزية من المزايـا سوى هذه المزية لكفاه فضلاً وعلمًا. غير أنه هناك بعض الملحوظات التي لا تقلل من جهد الكرملي في التحقيق، ولكنها من الأمور الواجبة الذكر في سبيل الوصول إلى منهج أمثل في التحقيق:

أولاً: جاءت التعليقات والهوامش أكثر من متن الكتاب، ويعدّ هذا ميزة لا عيبًا في التحقيق، فإن مؤلفات التراث العلمي هي أحوج ما تكون إلى الشرح والإيضاح والتفسـير والبيان، غير أن بعضًا من تلك التعليقات كانت نوعًا من الاستطرادات التـي لا لزوم لهـا؛ مثل قوله: «.... معنـاه ضرب من الزهر اسمـه بالفرنسية... إلـخ»[٢٠]. وكذلك استطـراده في لفظة لا تحتمل الاستطـراد الطويل، وهي لفظة (الأرجواني)[٢١]، وغير هذين المثالين. فإن الاستطرادات كانت هي الحاضرة في الهوامش والتعليقات، القليل منه ما يفيد في ذات الموضوع، وهو الأحجار الكريمة، والكثـير منه حشو لا لزوم له، وإن كان يـدل على مقدرة الكرملي على التنقل بين اللغات قديمها وحديثها.

ثانيًا: من الاستطـرادات في التعليق والتعقيب ذلك الاستطراد الذي لا لزوم لـه، والذي أوقـع الكرملي في خطأ فادح ما كان يجب أن يقـع فيه، فقد جاء قوله تعقيبًـا على قول أرسطو بأن الماس له القدرة على تفتيت حصاة في مجرى البول: «هـذه أحسـن وسيلة لتفتيت الحصـاة في المثانة، فيـا حبذا لو لجـأ إليها الذين يعالجـون المرضـى بهذا الـداء المؤلم»[٢٢]. ولعلنـا لسنا بحاجة إلـى الدلالة على فداحـة هذا الخطأ الطبـي؛ لأن الماس في هذه الحالة سوف يفتـت أيضًا أنسجة مجرى البول.

ثالثًا: يُلحظ في الكتاب كثرة الفهارس كثرةً غير مألوفة بلغت أحد عشر فهرسًا، بعضها من لوازم التأليف ولا غنى عنها، ومن أهمها فهرس يحوي الفصول والموضوعات، ومن الفهارس المفيدة فهرس للحجارة الكريمة والمعادن، وكذلك فهرس يحوي الكلم المكتوبة بالحرف الروماني من فرنسية ولاتينية وإنكليزية ويونانية وما يقابلها في لغتنا العربية، إلا أن هناك بعض الفهارس التي هي من قبيل الحشو، ولا تفيد القارئ؛ مثل فهرس يحوي الألفاظ المتعلقة بالحيوان والطير والسمك، وكذلك فهرس يحوي الألفاظ المتعلقة بالنبات؛ لأن الكتاب لا يختص بغير المعادن في مادته. غير أن أغرب ما صادفنا من فهارس ذلك الفهرس الذي يحوي «أسماء الأمراض التي تعالج بالحجارة الكريمة». ويردف الكرملي تحت هذا العنوان قائلاً: «وهي من قبيل الخرافات، وكانت شائعة عند الأمم القديمة»[٢٣]. ولا يقل في غرابة عن هذا الفهرس، الفهرس السابع، وعنوانه: «فهرس سابع عمراني يحوي ما كان عليه الأقدمون من أخلاق وعادات وغنى»[٢٤]، وإلى حد ما «فهرس تاسع للألفاظ اللغوية والقواعد والأحكام العربية»[٢٥].

رابعًا: من الأشياء المحمودة في الكتاب، التي نأمل أن تكون في المستقبل، سَنّ أُسس تحقيق التراث، استكتاب الغير من الكُتّاب للتعقيب أو التعليق، أو حتى إبداء الرأي في الكتاب موضوع التحقيق، وحسنًا فعل الكرملي عندما استكتب الأديب الأردني روكس بن زائد العُزَيْزي الذي كتب تعقيبين أو (ملحقين) بلغة الكتاب؛ الأول: تعليقات وفوائد لغوية، والثاني: ما يشبه المقال عن (الجواهر في الإسلام)، وهو مقال لم تكن مادته بعيدة عن متناول الكرملي نفسه، ربما لتقارب المشارب والثقافة. ولقد كان الأجدر بالكرملي أن يمد بصره قليلاً نحو دمشق ليجد الشخص المناسب والأجدر من سواه على التعقيب الصائب والتعليق المفيد، وهو الدكتور محمد يحيى الهاشمي، الذي قدم أطروحة لجامعة بون-ألمانيا بعنوان **منابع كتاب الأحجار للبيروني**، وكان ذلك في سنة ١٩٣٥، أي قبل طبع كتاب الكرملي بأربع سنوات[٢٦].

خامسًا: مـن حسنات الكرملي في الكتاب أنه أضـاف شيئًا مفيدًا للغاية من عنـده استكمـالاً لفائدة رآها واجبة. وعنده كل الحق في ذلك. فقد أضاف ملحقًا **بنُخب الذخائـر**، ذكـر فيـه ما لم يذكـره ابن الأكفـاني ليتم البحـث من جميع أطرافـه ومناحيـه[٢٧]. وليت كل محقق يرى نقصًا غفـل عنه المؤلف، فيكمل هذا النقص لتتم الفائدة.

سادسًا: وإذا كان الكرملي قد أجاد في فن التحقيق فأحسن الإجادة، وجاءت تعليقاته وحواشيه بكل ما هو مفيد بالنظر إلى ثقافته اللغوية التي يندر أن تجتمع في شخص مـا، والتي وظَّفهـا لخدمة التحقيـق، وعلى الرغم من هـذه الميزات جميعها، إلا أن الكرملي قد وقع - أو بالأحرى قد أوقع نفسه - في بعض الأحيان في أكثر من خطأ كبير، وهو أنه نصّب نفسه عالمًا بالمعادن (Mineralogist)، ولم يكـن المطلوب منه ذلـك، فعلم المعادن (Mineralogy) لـه أصحابه والعارفون بدقائقه وحقائقه التي لا تحتمل اللبس أو التأويل، بل إنها من ثوابت الأمور بحكم أنها من العلوم التجريبية التي لا تخضع للرأي أو الاحتمال. وفيما يأتي أبرز تلك الأخطاء العلمية:

١ - في القول على الياقوت، قال الكرملي في استطراد غير ذي معنى أو جدوى: «ثـم أُطلق الياقوت عندهم على صوف أو ثـوب مصبوغ ببنفسجي، تلك الزهرة، ثـم توسعوا في معناها، فأطلقوها على ضرب مـن الجمست، وهو الحجر الكريم الذي يجري عليه الكلام هنا»[٢٨].

هنا يخلط الكرملي بين الياقوت (Ruby)، الذي يتكون كيميائيًا من أكسيد الألومنيـوم[٢٩] وبـين الجمسـت (Amethyst) الـذي يتكـون من ثـاني أكسيد السيليكون[٣٠].

٢ - من أعجب الأشياء وأكثرها غرابة إيراد عدد من الآراء القاطعة كأنها من الأمـور البديهية والمعروفة، مع أنها من أولى الأمور وأشدها احتياجًا لدى القارئ إلـى معرفة الأسبـاب والتفاصيل بشأنها، وهي تلـك الآراء المتعلقة بإيراد المقابل

الفرنسي لأسماء المعادن بالعربية؛ مثل قوله الذي جاء في سطر مستقل بذاته: «والبلخش بالفرنسية SPINELLE»[٣١]. وعندما رجعنا إلى أحد القواميس الفرنسية وجدنا: «سباينل . Min (SPINELLE)»[٣٢].

٣ ـ في الحديث عن الزبرجد: «وجاء في كلام الشارح ـ يعني الكرملي نفسه ـ في الكلام على الزبرجد أنه من أنواع الزمرد، وهو أقرب إلى الصواب؛ لأن الزمرد يسمى بالفرنسية (EMERAUDE)، أما الزبرجد فاسمه (BERYL)، أو (BERIL)، وهو ضرب من نوع واحد»[٣٣]. وهذا الخلط بين الزبرجد والزمرد أفضى إلى خطأ جسيم؛ فالزبرجد يختلف تمام الاختلاف عن الزمرد؛ فالأول يتكون كيميائيًا من سيليكات مغنسيوم وحديد، ويرادفه باللغة الإنجليزية (Pridot)[٣٤]. أما الزمرد، فيتكون كيميائيًا من سيليكات الألومنيوم والبريليوم، ويرادفه في اللغة الإنجليزية (Beryl)[٣٥]. كما أننا قد وجدنا في **القاموس الفرنسي ـ العربي** (BERYL)[٣٦]، يرادفه باللغة العربية الزمرد، وليس كما قال الكرملي بأنه الزبرجد.

٤ ـ من الأخطاء التي كان الكرملي في غنى عنها: ما جاء في ملحقه الذي أضافه عن المعادن عن (الخماهان) الذي قال إنه (HEMATITE)، دون أن يقدم خاصية تفيد بأن هذا هو ذاك، أي إن الخماهان هو الهيماتيت. ليس هذا فحسب، بل انتهى عند قوله: «معدنه بالجبل المقطم ونواحيه بأرض مصر»[٣٧]. والجملة الأخيرة قد نقلها عن **الجماهر** للبيروني، الذي نقلها بدوره عن صاحب **أشكال الأرض**[٣٨]. والحقيقة أن (الهيماتيت) من المعادن المشهورة والواسعة الانتشار، كما أنه يعد من أهم خامات الحديد، لا يوجد بجبل المقطم، كما هو معروف ومشهور ولا في نواحيه أيضًا، وإنما يوجد (الهيماتيت) في منطقتين: أسوان ومنطقة القصير بالصحراء الشرقية، وهما أبعد ما يكونان عن جبل المقطم[٣٩].

٥ ـ وعلى النمط نفسه من الخطأ السابق نجد أن الكرملي يقول إن (البنفش) هو

(HYACINTH)[٤٠]. ناقلاً قول التيفاشي الذي لا يقدم خاصية تفيد ما يقول، ولـو أجهد الكرملي نفسه بمراجعة بعض مراجـع علوم المعادن الأجنبية لوجد أن (HYACINTH) هو نوع من أنواع معدن الزركون (ZIRCON)[٤١].

إن **نخـب الذخائـر** على الرغم من الجهد الذي بذله الكرملي في رد الأسماء إلـى أصولها في اللغات القديمة، وهو جهد مقدّر ومحمود، غير أنه قد أورد نفسه في غـير موضعهـا، فجعل من نفسـه عالمًا بالمعـادن، وهذا لم يكـن مطلوبًا منه، فأسرف علـى نفسه وأسرف على القرَّاء الذين حاولوا تتبع مصادره والتثبت من صحة أقواله، فأرهقهم كما أرهق نفسه بكونه قد تقمَّص دور عالم المعادن.

إن الكتـاب بحاجة إلى مراجعة دقيقة ومتأنية من أحد أساتذة علم المعادن، وما أكثرهم في الجامعات العربية، نقول هذا لأن جمهرة من المؤلفين قد استندوا علـى أقوال الكرملي، منهم على سبيل المثـال الدكتور محمد فتحي عوض الله في كتابـه **معـادن الزينـة**[٤٢]، والدكتور زكريا هميمـي في كتابه **موسوعـة الأحجار الكريمة**[٤٣].

ثالثًا: الجواهر وصفاتها لابن ماسويه (١٩٧٧)

وهـو من تحقيق الدكتـور عماد عبد السلام رؤوف. ولعلنـا لسنا بحاجة إلى الحديـث عنـه؛ فقد سبق لنا أن كتبنا على صفحات هـذه المجلة ما يجب أن يقال عـن التحقيق[٤٤]، فقد أثنينـا على المحقق وجهده الواضـح في مواضع، كما قمنا بتخطئتـه في مواضـع أخرى، وهذا هو حال النقـد والمراجعة في كل زمان ومكان. وعلـى كل حـال فقد كان من الواجب علـى المحقق أن يستشير أحـد أساتذة علم المعـادن في التعليقات التي أوردهـا في هوامش الكتاب وحواشيه، ومثل هذا العمل لا يقلـل مـن قيمة المحقـق أو جهده، بـل على العكـس تمامًا، فهو يُعلـي من شأن المحقـق؛ إذ إنـه لا يضيره أن يأخذ رأي أهـل الاختصاص، كما أنه يعلي من قيمة الكتـاب المحقق، ويجعل القارئ مطمئنًّا للمعطيـات العلمية الواردة في الهوامش، وقـد فعـل هذا كثيرون مـن المحققين دون أن يجـدوا أي غضاضـة في هذا. ولعل

محقـق كتاب **تنقيح المناظـر** لكمال الدين الفارسي كان علـى صواب عندما قال في مقدمـة التحقيق: «لم يكن مـن اليسير على مثلي أن يحمـل عبء تحقيق هذا الكتـاب العلمي وحده، بل لم يحق لي أن أقـدم على عمل كهذا، فغيري من علماء الطبيعيات ـ لاسيما المتخصصون في البصريات والضوء ـ أحق به، فهم أقدر على فهـم مسائله، وهم أعلم بمباحثه وتطبيقاته. لذا فقد بدا واضحًا لديّ أن تحقيق مثـل هذا الـتراث العلمي يحتاج إلى تعـاون وثيق، بين محقق يحسـن فهم اللغة، وعـالم بالبصريات يكون شغوفًا بقديمهـا، متمكِّنًا من حديثها، ولقد أسعدني أن يقبل مشاركتي في هذا الكتاب الدكتور محمود مختار، الذي تكفل بتحقيق الجانب العلمـي، فيناقش المصنّف ويعلق على آرائـه بالكلمة الأخيرة في علم البصريات، كما عُني بتحرير أشكال الكتاب، تحريًا للدقة، وتحقيقًا للصحة، وتلافيًا لأخطاء النسَّاخ»[٤٥].

رابعًا: أزهار الأفكار في جواهر الأحجار للتيفاشي (١٩٧٧)

هـذا كتاب قد اقـترب مما يمكن أن نسميه التحقيـق الشامل؛ لسبب بسيط للغايـة، وهـو أن الكتاب خاص بالمعادن، ومحققـاه من كبار أساتـذة الجامعات في مصـر والعـالم العربـي في الجيولوجيـا، التي تضـم علومًا شتى؛ مـن أهمها علـم المعـادن، وهما الدكتـور محمد يوسـف حسـن، والدكتور محمـود بسيوني خفاجـي[٤٦]. وعلى حد القـول المشهور (أهل مكـة أدرى بشعابها)، فهذا الكتاب هـو من الكتب القليلة التـي يتصدى لتحقيقها محقق ذو بصـر ومعرفة بموضوع مـادة الكتاب المحقَّق، وهو مطلـب من المطالب التي تجعل من فـن التحقيق لبنة مـن لبنات الـتراث الإنسـاني، وهو فهـم المحقق للنص، وبالتـالي يسهل شرح غوامضـه، وتفسـير معانيه كمـا أرادها المؤلـف. ولعل خبرة المحققـيْن بالمعادن، التـي جـاءت من خلال فهمهما للنص، قد تمخَّضت عـن أهم ما في الكتاب، وهو الجزء الخاص بالشروح والتعليقات؛ إذ تحققت ـ وهي من المرات القليلة ـ عملية الجمـع بين الأصالـة والمعاصرة. ففي القسـم الخاص بـ (الشـروح والتعليقات) وصف المحققان الوضع الاقتصادي في مصر في عصر التيفاشي، بداية من شرح

مفـردات الموازين المتداولة وقتها، وقيمة العملة مقوَّمـة بالذهب وأثمان الأحجار الكريمـة بوصفها سلعة من السلع القابلة للبيع، كما خصصا فصلين يتعلقان بما نسميه في أيامنا المعاصرة (القيمة النقدية للعملات الأجنبية)، فقد جاء الفصل الأول بعنـوان (الموزونـات والعملات السكيـة المغربية وما يعادلهـا من الموزونات والعمـلات المصرية)[٤٧]. أما الثاني، فجاء بعنـوان (العملة في عدن وما يعادلها في مصـر والمغرب)[٤٨]. على أن الخبرة في مجـال التخصُّص العلمي كانت من العوامل الحاسمة في شرح المصطلحات العلمية؛ إذ تمكَّن المحققان من استنتاج وتعريـف المصطلحات العلمية التي أوردها المؤلـف؛ مثل المحك والحكاكة وكثرة الماء أو المائية العالية والتشعـير.

فالمحـك هو ما يسميـه الجيولوجيـون المحدَثون بالمخدش (Streak)[٤٩]، والحكاكـة هـو المسحوق الناتج مـن الحـك (Mineral powder)[٥٠]، وكثرة المـاء أو المائية العالية هي درجة الشفافيـة (Transparency)[٥١]، والتشعير هو التشقق أو الانفصام (Cleavage)[٥٢].

وربمـا كانت أهـم الشروح والتعليقـات ما يختص بمادة الكتـاب الأساسية، فقـد أورد المحققان فصلاً خاصًّا لـكل معدن جاء ذكره في الكتاب، مبينيْن أقوال التيفاشي فيه مع حقيقته على ضوء علم المعادن الحديث، ذاكريْن مواضع الخطأ إن كان هنـاك خطأ ما، ومؤيديْـن لقول التيفاشي إن كان يتماشى مع حقائق علم المعادن، فضلاً عن طائفة صالحة من الجداول الجيولوجية، وهي جداول مقارنة بـين أسماء التيفاشي والكرملي وداود الموصلـي ويوليوس روسكا وكلنت موليه مع الخواص الطبيعية والكيميائية

غير أن هناك بعض الملحوظات التي نأمل أن تكون موضع اعتبار بين الأجيال من محققي التراث العلمي:

١ ـ إن المحققـيْن قد أشارا إلى من كتبوا عن **أزهـار الأفكار** للتيفاشي؛ وهما: كلنت موليه، الذي كتب مقالاً بعنوان «علم المعادن عند العرب» في **المجلة الآسيوية** سنـة ١٨٦٨[٥٣]، وكذلـك الأستـاذ عبـد القادر زمامـة، الذي كتب بحثًـا بعنوان

«أبـو العباس التيفاشي وكتابـه **أزهار الأفكار**» في **مجلة المجمع العلمي** العربي بدمشـق سنة ١٩٦٤. وكنا نأمل من المحققـيْن أن يثبتا في الكتاب هذين البحثين؛ لأن البحـوث في هـذا المجال هي من النـدرة بمكان، ولاسيما بحـث كلنت موليه، الـذي كان من السهل ترجمته من الفرنسية إلى العربية حتى يمكن إدراك تعامل هذا المستشرق مع تلك الأسماء الغريبة كل الغرابة عن العربية، مثل (البنفش)، و(البلخش)، وما يرادفها بالفرنسية، حتى يمكن الوقوف على حقيقتها، ومعرفة الأسماء الحقيقية لها من زاوية علم المعادن الحديث.

٢ـ ذكـر المحققان أن اهتمامات العرب المحْدَثين من المتخصصين في العلوم الجيولوجيـة بأعمـال العـرب الأوائل نادرة جـدًا، بل تكاد تكـون منعدمة، وليس في علـم المحققـين الحاليين من هـذا الباب غير ما سبق ذكـره إلا بحثًا للأستاذ عبـد القـادر زمامة[٥٤]. وقد فات على المحققيْن أن هنـاك بحثين هامين ألقيا في المؤتمر العلمي العربي الأول الـذي نظمته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بالإسكندريـة في سبتمبر سنة ١٩٥٣، وأصـدرت كتابها الذي جمع بحوث المؤتمر في سنـة ١٩٥٤، وكان البحـث الأول بعنـوان «البيروني والمعـادن» للدكتور محمد إبراهيـم فارس[٥٥]. أما الثاني فهـو «تراثنا في المستعدنات» للدكتور محمد يحيى الهاشمي، والمستعدنات هو الاسم الذي اختاره الهاشمي بدلاً من علم المعادن[٥٦].

٣ـ كنـا نأمل مـن المحققيْن أن يتوقفا قليلًا عند كتـاب من أهم الكتب التي تـؤرخ لعلـوم الجيولوجيا، وبالطبـع فإنها تؤرخ ضمنيًا لعلـم المعادن، وهو كتاب (The Birth and Development of the Geological Sciences)، ومؤلفـه F.D.Adams. ويناقشـاه فيمـا أورده من حديـث بشأن إسهـام العرب في علم المعادن ومدى صحة أثر التراث اليوناني في هذا الإسهام، وبذا تكتمل حلقة تأريخ علم المعادن عند العرب، ومدى إسهامهم في تاريخ العلم الإنساني العام.

٤ـ علـى الرغـم مـن أن المحققيْن قـد استشهدا في كثير مـن المواضع بالأب الكرملـي في تحقيـق **نخب الذخائـر**، واتفقا معـه أحيانًا واختلفا معـه في أحيان أخـرى، غير أنهمـا في اتفاقهما معه في بعض الأشيـاء لم يقنعا القارئ الذي يود

أن يعـرف أصـول الأشياء. فعلى سبيـل المثال جاء ضمن الشـروح والتعليقات أن (البلخش) هو (Spinel)[٥٧]، وأن (البنفش) و(البجادي) من المعتقد أنهما من ضروب عائلـة الجارنت (Garnet Family)[٥٨]، ومن المرجح أن هذا الاعتقاد كان مبنيًّا على ما ذكره الكرملي بأن (البجادي) بالفرنسية (GRENAT)[٥٩]، دون أن يقدِّما ما يفيد بصحة هذا الاعتقاد.

خامسًا: الجوهرتين العتيقتين للهمداني (١٩٨٧)

عندمـا أرسلـت في أوائـل التسعينيـات مـن القـرن الماضـي مقـالاً بعنوان (المصطلحـات العلمية في التراث العربي.. رؤية واستدراك) أرسلت للشيخ حمد الجاسـر - رحمـه الله - رسالة أعتذر فيهـا لعدم استشهـادي بكتاب **الجوهرتين** لتعـذر وجوده في مكتبات القاهرة، ولم يمض أسبوع حتى حمل إليَّ البريد الكتاب كأغلـى ما يُهدى لقارئ، من عـالم كريم، فأحسست في حينهـا أن للشيخ الجليل دَيْنًـا عليَّ يجب أن يؤدَّى، وجميـلاً يجب أن يُردّ، ومعروفًا يجـب أن يقابَل بمثله، فشرعـت أقـرأ الكتاب غير مـرة، ولاسيما مسلـك الشيخ في التحقيـق، بغية أن أكتـب عنه، غير أني قد أحجمت عن الكتابـة لسبب وحيد؛ وهو أن كتّابًا عديدين قـد تناولوا الكتـاب من جميع زوايـاه، ولاسيما منهج الشيـخ في التحقيق، وأثنوا ثنـاءً مستطابًا على هـذا المنهج، بحيث لم يعد بقية قول تقـال. ولعلي أزعم أنني قـد وفيـت للشيخ قدرًا مـن معروفه، فقد كتبـت مقالاً عن الشيـخ بعنوان (حمد الجاسر... لمحات من حياته وجهوده وقصيدة مجهولة) قلت فيه: «إننا لا نجاوز الصـواب إن أطلقنا علـى العقود الأخيرة من النصف الثـاني من القرن الماضي أنـه عصر حمد الجاسـر». وقلت عن تحقيقه كتاب **الجوهرتين**: «إنه قد أدرك من فـرط فطنته وثاقب بصيرته، أن التحقيق ليـس غايته تحويل ما كتبه المؤلف في نصـه المخطوط إلـى كتاب مطبوع، كما يفعل ذلك جمهرة كبيرة من المحققين طلبًـا للسهولة واختصار الجهد والوقت. ولكن التحقيق - في رأيه - غاية من أسمى الغايـات، وهـو جعل الكتـاب المحقق لبنة من لبنـات التراث العربـي الإسلامي، ليكون فاعلاً ومؤثرًا ضمن نسيج التراث الإنساني العام.

والدليل على ذلك ما صنعه في تحقيقه الرائد وغير المسبوق لكتاب **الجوهرتين**

العتيقتين للهمداني، فقد أفرد فصلاً مستقلاً للتعليقات، أفاض فيها من علمه الغزير في شرح الأعلام وأسماء المعادن والمصطلحات العلمية الواردة في النص، كما أفرد - كذلك - فصلاً ضافيًا بعنوان: «إضافات عن المعادن القديمة»، ذكر فيها مواضع المناجم القديمة، محددًا تلك المواضع على وجه الدقة بالإحداثيات الجغرافية المتعارف عليها بخطَّي الطول والعرض، وهو نهج مبتكَر غير مسبوق، مستخلصًا من كتب التراث كل ما قيل عن تلك المواضع، الأمر الذي نعتقد معه أن تلك الإضافات إنما هي كتاب مستقل في حد ذاته، لا غنى عنه للباحثين في تاريخ علم المعادن عند العرب....إلخ»[٦٠].

ولعلي الآن أكمل رد جميل الشيخ، فأتحدث عمَّا يجب الحديث فيه عن منهجه في التحقيق، وهو منهج يجب أن يدرّس لطلاب تحقيق مؤلفات التراث العلمي العربي، دون مبالغة أو مجاملة، فأعمال الشيخ تغنيه عن أي مبالغة أو مجاملة، وذلك بالنظر إلى الملحوظات التالية:

١ - يطالعنا في التمهيد قوله ضمن مقالة نشرت في **مجلة المجمع العلمي** بدمشق سنة ١٩٥١: «إن هذا الكتاب القيِّم يدل دلالة واضحة على أن لسلفنا الصالح آثارًا نافعة في جميع العلوم، وإنْ شابَ تلك الآثار نقصٌ، أو اعتراها ضعف في بعض المواضع، إلا أن مردَّ ذلك ثقة أولئك السلف بكل ما أثر عن اليونان من حكمة وفلسفة، ثقة دفعتهم إلى تلقّي كثير من علوم القوم بدون تحقيق وبغير تمحيص، كما يظهر من صنيع الهمداني في مواضع من كتابه هذا»[٦١].

ولعلنا لا نجاوز الصواب إن قلنا إن الشيخ هو أول من فطن إلى أن الخرافات المتناثرة هنا وهناك في مؤلفات التراث العلمي العربي، إنما هي في الأصل من تراث اليونان الزاخر أصلاً بالخرافات، الناتج - في الغالب - من تعدد الآلهة وصراعها مع بعضها البعض، مما تحفل به الأساطير اليونانية، ولأن العلماء والكتَّاب العرب كانت الأمانة العلمية في النقل عن الغير وتوثيق المصادر هي السمة البارزة في مؤلفاتهم، بدليل تلك العنعنات التي اشتهر بها جمع كبير من مؤلفات التراث العربي، فعندما تُرجمت تلك المؤلفات إلى لغات الغرب المختلفة

ظـن فريق مـن المستشرقين ومؤرخـي العلم أنهـا بضاعة عربية، فرمـوا الإنتاج العلمـي العربي بالبريـة والجهالة[٦٢]، وقـد كانت لكاتب هـذه السطور مساهمة متواضعة في الكشف عن الأصول اليونانية لأشهر الخرافات في العصور الوسطى، وهـي تلك الخرافة القائلة بإمـكان تحويل المعادن الخسيسة إلـى معادن نفيسة، وهي الخرافة التي استبان لمعظم العلماء العرب فسادها وبطلانها[٦٣].

٢ ـ مـن الأمـور التي قد يمر أمامها القارئ مرور العابر، التي لا تلفت الانتباه قولـه: «...قمـت برحلـة إلى صنعـاء؛ لعل من بواعثهـا أنني توقعـت أن أجد بين الأخـوة في هذه البلاد مـن أستعين به في فهم بعض الكلمـات اليمنية الواردة في الكتاب ممـا استغلق عليَّ فهمه...إلـخ» (ص٣)، وقوله: «وقـد حاولت الاستعانة بأحد الأخوة الذين يحسنون اللغة الفارسية، ولكنه قال لي: إن الكلمات الفارسية الـواردة في الكتاب خلاف اللغة الفارسية المستعملة الآن، ولهذا لم يستطع معرفة أكثرها»[٦٤].

فمـاذا نقول في رجل بلغ مـن فن التحقيق ما بلـغ، وتراكمت خبرات السنين لديه، وعاش معظم سنيِّ حياته بين المخطوطات، يحل ألغازها، ويجلي غوامضها، ويزيـل ما التبس منها، لا يجد غضاضـة في أن يسافر إلى حيث يسأل عن ألفاظ محلِّيَّـة ذكرهـا الهمداني، فهي ألفـاظ يمنية لا يفهمها سـوى اليمنيين، ولا يجد غضاضـة أيضًا في الاستعانة بمن يعينه على جـلاء بعض الألفاظ الفارسية التي وردت في الكتاب. إنه درس مفيد للأجيال الناشئة من المحققين أن يستعينوا بأهل الاختصاص في سبيل وصـول الكتاب المحقق إلى غايته المنشـودة من كونه كتابًا مستغلقًـا على الفهـم، وإلا فقد اهتمام القارئ به، وبالتـالي أصبح كأنه لم يكن، وكأنه لا زال من المخطوطات، وإن كان بحروف مطبوعة.

٢ ـ لـو قلنـا إن ما صنعـه الشيخ في الكتاب يجب أن يكـون فيما بعد هو المثالَ الـذي يجـب أن يسير على نهجه طـلاب التحقيق في صورتـه الكاملة، ونعني هنا بالصـورة الكاملة: عملية ما بعد التحقيق من تعليقـات وتعقيبات وإيراد مختلف الآراء ـ القديمـة منهـا والحديثة ـ حول هـذا القول للمؤلـف أو ذاك، حتى يخرج

القــارئ بانطباع عن الكتــاب كجزء من تراث إنساني عام بدلاً من أن يكون أشبه بالمخطوط. وإن كان بحروف مطبوعة سهلة القراءة على القارئ. يستعصي على الفهــم في بعض ألفاظــه، وفي جُلِّ معانيه. فحجم التعليقــات التي تصب جميعها في خدمــة فهــم النص تكاد تصــل إلى حجم الكتاب المحقَّــق إن لم تزد، وهنا هو الجهد المكمل لجهد التحقيق، وهو الجهد الذي يتمايز به المحققون من الإجادة أو عدمها، لا مجرد تطبيق أسس التحقيق وقواعده المجردة من اختيار النسخة الأم للمخطوط، والمقابلة بين النسخ المختلفة، وإثبات الساقط من الألفاظ.

وإذا كانــت مقدمــة الكتاب هي مــن الأمــور الأساسية لــدى المحققين، فإن الشيــخ قد أضاف إليها ما يختص بالتعدين عند العرب، وهو بذلك يمهِّد القارئ لفهــم النص، فهــي إضافة موفقة من رجــل عركته السنون علمًــا وخبرة وثقافة وبصيرة ثاقبة بما هو واجب معرفته. أما التعليقات، فتبدأ - أولاً - في إيضاح بعض معــاني الكلمات الواردة في الكتاب التــي قد تحتاج إلى شرح وإيضاح، وقد جاءت التعليقــات في فصل خاص، وليس كما هو مألوف في هوامش الصفحة، وهو عمل قــد يرضى عنه البعض باعتبــاره فرصة للمحقق أن يسهــب في الشرح والإيضاح دون التقيــد بالهامش المحــدود مساحته، وقد لا يرضى عنــه البعض الآخر كونه خارج نطاق ما تعوَّد عليه من التفسيرات في مؤلفات التراث، ولعل الأيام وحدها هي الكفيلة بترجيح أحد الاتجاهين على الآخر. ولعل أكبر إفادة يمكن الاستفادة منها من هذا الفصل الخاص والمستقل من إيضاح الكلمات الواردة في الكتاب هو اختيار أسماء المعادن والبناء على ما كتبه الشيخ حولها من كتب التراث المختلفة، ثم إيراد المقابل العلمي الحديث لتلك الأسماء من المعادن ليكون لدينا في النهاية معجم لأسماء المعادن الموجودة في مؤلفات التراث، ولعلي أقترح أن يسمى (معجم الجاســر لأسماء المعادن) تذكيرًا للقرَّاء في أنحاء الوطن العربي بجهد الرجل في هــذا المجــال، ولنا أمل كبير في محبــي الشيخ، وهم من الكــثرة بمكان في المملكة العربيــة السعودية وفي غيرها من أقطــار الوطن العربي. ويمكن أن تطبَّق الفكرة نفسهــا على مواقع التعدين القديمة كمــا وردت في كتب التراث على النمط نفسه الــذي كتبه الشيخ، فيكون لدينا حصــر أو معجم بمواقع التعدين القديمة. وقيمة

هذيـن المعجمـين، إذا قُدِّر لهما الظهـور، هو أنهما سوف يسهِّـلان إلى حد كبير تحقيق أي مخطوط في المعادن أو التعدين فيما بعد.

وعلـى الرغم من حسنات الكتـاب، وعلى الرغم مـن الإحساس بمدى جهد الشيـخ حتى الأنفاس الأخيرة - إن صح التعبير - فلنـا ملحوظتان على الكتاب، لا تتعلقان بجهد الشيخ في التحقيق، وإنما هما مطلب من مطالب الكمال:

الملحوظـة الأولى: يُحمد للشيخ أنه لم يُنصِّـب نفسه عالمًا في المعادن كغيره الذين حاولوا ذلك فحاد بهم الطريق السليم، غير أن الكتاب بحاجة إلى مراجعة أستـاذ متخصص في هندسـة المناجـم (Mining Engineering)، وخاصة أن (باب استخراج الذهب من المعدن)[٦٥] يصب في هذا الاتجاه. كما أنه بحاجة أيضًا إلى مراجعة أستاذ متخصص في (الفلزات) (Metallurgy)، فـإن (باب تعريق التبر وسبكه وإرقاقـه)[٦٦] وما تلاه من أبواب بعد ذلك تصب جميعها في هذا الاتجاه.

الملحوظـة الثانية: إن مواقع الذهب القديمـة، وكذلك مواقع الفضة وغيرها مـن مواقـع المناجم القديمة في شبـه الجزيرة العربية موضَّحـة بخطوط الطول والعرض، هـي إضافة لهـا قيمتها لمن يعـرف تلك القيمة مـن المتخصصين من القـراء، ولكن تلك الأرقام بدرجـات زوايا خطوط الطول والعرض لا تهم القارئ العادي في شيء، وربما كان الأجدر في هذه الحالة الاستعاضة عن تلك الدرجات بخريطة لشبه الجزيرة العربية موقَعة عليها تلك المواقع القديمة للمناجم، حيث يلمـح القارئ بنظـرة واحدة مدى تقارب المناجم وتباعدهـا من بعضها البعض. ولعلـي أزيد في التمني، فأقول إنه من المفيـد للغاية أن يوقع على الخريطة نفسها أماكن وجود القبائل العربية التي كانت تسكن شبه الجزيرة قديمًا، عندها سوف نكتشـف أي منجـم أو موقع من مواقع وجود الذهب والفضة يقع في نطاق أو ولاية هذه القبيلة أو تلك[*].

رحم الله الشيخ حمد الجاسر، فقد كان بحق وصدق - كما قيل عنه - أنه كان علاّمة وعلامة.

خاتمة:

إن تتبـع تطور مناهـج تحقيق التراث العلمي من حيـث الزمن سوف يفضي في نهايـة المطاف إلى وجود أسس واضحة لبيان دور العلماء العرب العلمي، ذلك الـدور المنكـور والساقط من تاريـخ العلم، فالكتاب العلمـي، الذي لا خلاف على أسسـ وقواعد التحقيق بوصفه تراثًا، لابد أن يخضع بعد ذلك لمعالجة علمية من أهل الاختصاص، يراجع المختص بموضع مادة الكتاب فيما كتبه المؤلف، خطأً أو صوابًـا، ومدى تأثُّره بتراث الغير من يونان وفرس وهنود، ومدى حظوظ الابتكار لديه، ومدى تأثيره في الغير.

إن النقصـ الحاد في مؤلفات التراث العلمـي المحققة يشكل قصورًا واضحًا في تاريـخ العلـم، ناتج عـن التقصير في تحقيـق هذا النمط مـن أنماط التراث، الذي تستحيل المقارنة بينه وبين مؤلفات التراث الأدبي، حيث إن بعض الكتب من مؤلفاتـه قد جرى تحقيقه أكثر من مرة، وهـي مفارقة غريبة. والأغرب من تلك المفارقـة أن هناك الكثيرَ مـن مؤلفات التراث العلمي علـى حالها منذ أن طبعت لأول مـرة في مطابـع حواضر أوروبا، وبخط المطابـع الأوروبية التي تشبه خطوط المخطوطات، وأخذت دور الطبع العربية في طباعتها على تلك الحالة؛ مثال ذلك كتـاب البيروني **الآثار الباقيـة عن القرون الخالية** بتحقيـق المستشرق الألماني (سخاو Sachau)، والمطبوع في برلين سنة ١٨٧٨.

وإذا جاز لنا أن نقترح شيئًا مفيدًا في هذا المجال، فإني أقترح أن تشكل لجنة من أساتذة في تخصص ما، وأن يقوم أعضاء اللجنة بالتعليق والتعقيب في مجال التخصـص دون أن يكلَّفوا بأي جهد في التحقيق، وإنما هي مراجعة علمية فقط، وكتابـة التعليقات والتعقيبات اللازمة، واستنتـاج المصطلحات العلمية العصرية الواردة في الكتاب بلغة المؤلف.

إنها دعوة لعلها تلقى مجيبًا

الهوامش

(*) كبير باحثين بهيئة المساحة الجيولوجية (سابقًا).

(١) **قواعد تحقيق المخطوطات**، د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط ٧، بيروت، ١٩٨٧، ص٣.

(٢) **تحقيق النصوص ونشرها**، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٧، القاهرة، ١٩٩٨، ص٨١.

(٣) **المستشرقون**، دار المعارف، ط ٤، القاهرة، ١٩٨١ج٢ ص٥٣٠.

(٤) **الجماهر في معرفة الجواهر** للبيروني، تحقيق سالم الكرنكوي، حيدر آباد الدكن، ١٩٣٨، ص٢٧٢.

(٥) **البيروني وجهوده في تطور علم المعادن**، مصطفى يعقوب عبد النبي، **آفاق الثقافة والتراث**، العدد ٧٨، يونيو ٢٠١٢، ص ص ١٤٤ ـ ١٦٢.

(٦) **نخب الذخائر**، مصدر سابق، ص١٠٦

(٧) **الجماهر**، مصدر سابق، ص ٧٧.

(٨) المصدر السابق، ص٧٤.

(٩) **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات** للقزويني، تحقيق سعد كريم الفقي وكرم السيد الأزهري، دار ابن خلدون، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص٤٠٤.

(١٠) التورمالين.. من الأحجار الكريمة المجهولة، مصطفى يعقوب عبد النبي، الخفجي، العدد ٥ السنة ٣٣، يونيو ٢٠٠٣، ص٣.

(١١) Course of Mineralogy, Betekhtin A., Peace Publishers , Moscow.p276.

(١٢) **الموسوعة الثقافية**، إشراف حسين سعيد، ص٥٦٣.

(١٣) **الجماهر**، مصدر سابق، ص ٢١٠.

(١٤) **موسوعة الأحجار الكريمة**، د. زكريا هميمي، دار هبة النيل، القاهرة، ٢٠٠٢ ص٢٣٩.

(١٥) العنبر...أصله وفوائده، مصطفى يعقوب عبد النبي، **القافلة**، العدد١٤ المجلد ٣٩، مايو ١٩٩١، ص ١٧ وما بعدها.

(١٦) Precious Stone, Max Bauer, Dover publication. inc.N.Y، ١٩٦٨، P525.

(١٧) Oxford Dictionary of Earth Sciences, Oxford Univ. Press، ١٩٩٩، P20.

(١٨) **الجماهر** يحتاج إلى إعادة تحقيقه، مصطفى يعقوب عبد النبي، **العلم**، العدد١٤٩، فبراير ١٩٨٩، ص٤٠ وما بعدها.

(١٩) **الأب أنستاس ماري الكرملي...حياته وآراؤه**، كوركيس عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٦، ص٨.

(٢٠) **نخب الذخائر**، مصدر سابق، ص٢

(٢١) المصدر السابق، ص٤.

(٢٢) المصدر السابق، ص٢٤.

(٢٣) المصدر السابق، ص١٤٦.

(٢٤) المصدر السابق، ص١٤٩

(٢٥) المصدر السابق، ص١٦٠.

(٢٦) **تراثنا في المستعدنات (مينرالوجيا)** د. محمد يحيى الهامشي، كتاب المؤتمر العلمي العربي

الأول، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٤ ،ص ١٨٥.

(٢٧) **نخب الذخائر**، مصدر سابق، ص٨٥.

(٢٨) المصدر السابق، ص٣.

(٢٩) **علم المعادن**، د. محمد عز الدين حلمي، مكتبة الأنجلو، ط ٣، القاهرة، ١٩٧٤.

(٣٠) المصدر السابق، ص٢٤٣.

(٣١) المصدر السابق، ص١٤.

(٣٢) **القاموس الفرنسي** ـ العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص٧٤١.

(٣٣) نخب الذخائر، مصدر سابق، ص ٥٣.

(٣٤) **الزبرجد**، مصطفى يعقوب عبد النبي، العلم، العدد ١١٧، نوفمبر ١٩٨٥، ص ٢٢ وما بعدها.

(٣٥) المصدر السابق، ص ٣٤٥.

(٣٦) **القاموس الفرنسي العربي**، مصدر سابق، ص٨٧.

(٣٧) **نخب الذخائر**، مصدر سابق، ص٨٩.

(٣٨) **الجماهر**، مصدر سابق، ٢١٦.

(٣٩) **موسوعة الأرض**، مصطفى يعقوب عبد النبي، المركز الاستكشافي لتطوير العلوم، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٢.

(٤٠) **نخب الذخائر**، مصدر سابق، ص٨٥

(٤١) Course of Mineralogy , Betekhtin A., Peace Publishers, Moscow.P437..

(٤٢) طبع دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

(٤٣) طبع دار هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢.

(٤٤) **المصطلحات العلمية في التراث العربي**... رؤية واستدراك، مصطفى يعقوب عبد النبي، العرب، ج ٧ و ٨، س ٢٦، محرم / صفر ١٤١٢ هـ، ص ص ٥٢٠ ـ ٥٣٥.

(٤٥) **تنقيح المناظر** لكمال الدين الفارسي، تحقيق مصطفى حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ج١ ص ٢١.

(٤٦) كان لكاتب هذه السطور شرف التلمذة على يدي هذين الأستاذين الجليلين عندما كان طالبًا بكلية العلوم بجامعة أسيوط في منتصف الستينيات من القرن الماضي، عندما كان الأول أستاذًا زائرًا بكلية العلوم والثاني معيدًا بها. رحمهما الله رحمة واسعة بقدر ما قدَّما من علم نافع ينتفع به.

(٤٧) **أزهار الأفكار في جواهر الأحجار** للتيفاشي، تحقيق د.محمد يوسف حسن ومحمود بسيوني خفاجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ص٢٢٥.

(٤٨) المصدر السابق، ص٢٣١.

(٤٩) المصدر السابق، ص١١٨.

(٥٠) المصدر السابق، ص١١٨.

(٥١) المصدر السابق، ص٢٥٠.

(٥٢) المصدر السابق، ص٢٠.

(٥٣) المصدر السابق، ص٣.

(٥٤) المصدر السابق، ص٤.

(٥٥) **كتاب المؤتمر العلمي العربي الأول**، مصدر سابق، ص ١٧٨.
(٥٦) المصدر السابق، ص١٥٧.
(٥٧) **أزهار الأفكار**، مصدر سابق، ص٢٥٧.
(٥٨) ص٢٥٩.
(٥٩) **نخب الذخائر**، مصدر سابق، ص١٧.
(٦٠) **حمد الجاسر... لمحات من حياته وجهوده وقصيدة مجهولة**، مصطفى يعقوب عبد النبي، الحرس الوطني، العدد ٢٩١ ـ ٢٩٢، رجب ـ شعبان ١٤٢٧ هـ، ص ٨٨.
(٦١) **الجوهرتين العتيقتين للهمداني**، تحقيق حمد الجاسر، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٩٨٧، ص١.
(٦٢) **تبرئة العقل العربي من خرافة تحويل المعادن**، مصطفى يعقوب عبد النبي، **الجسرة الثقافية**، العدد ١٠ خريف ٢٠٠١، ص ص ١٨١ ـ ١٩١.
(٦٣) **تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدُّمه، د. عبد الحليم منتصر، دار المعارف، ط ٨، القاهرة**، ١٩٩٠، ص٩٠.
(٦٤) **الجوهرتين العتيقتين**، مصدر سابق، ص٢٦.
(٦٥) المصدر السابق، ص٩٢.
(٦٦) المصدر السابق، ص٩٦.

(*) العرب: لقد فات الكاتب الكريم الإشارة إلى نشر كتاب **الجوهرتين العتيقتين** للهمداني في وقت سابق لنشرة الشيخ حمد الجاسر، وذلك من قبل المستشرق السويدي كريستوفر تول، الذي نشره سنة ١٩٦٨م، مع ترجمة إلى اللغة الألمانية معتمدًا على ثلاث مخطوطات. وقد تحدث عنه الشيخ حمد الجاسر وأثنى عليه، وكتب عليه عددًا من الملحوظات، بحث بـ**مجلة اللغة العربية** بدمشق (الجزء الثالث – السنة الرابعة والأربعين) ثم نقله إلى **مجلة العرب** (الجزء الثالث – السنة الرابعة – رمضان سنة ١٣٨٩هـ (كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٩م ص٢٦٨). أ. م . ض

شعر
أبي جَعفر الرُّعَينيّ الغَرْناطِيّ (ت ٧٧٩ هـ)

جمع وشرح وتقديم

(٢)

أ. د. عبد الرَّازِق حويزي(*)

[قافية الدَّال]

(١٢)

وقال: [من الرّمل]

١- **لا تَظُنُّوا أَنّ شَوقِي خَمَدَا بَعْدَكُمْ أَوْ أَنَّ دَمْعِي جَمَدَا**

٢- **كَيفَ أَسْلُو عَن أُنَاسٍ مِثْلِهِمْ قَلَّ أَنْ تُبْصِرَ عَيْنِي أَحَدَا**

الشَّرْح: تمثل بهما الشَّاعر من شعره على الجناس المضارع، والجناس في البيت الأول بين (خمدا، وجمدا).

التَّخْرِيج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ١١٩، ومخطوطه ٢١، **ونَفْح الطيب** ١/١٧٧.

(١٣)

وقال أثناء مغادرته (غَرْنَاطة): [من الطويل]

١- **ولَمّا وقَفْنَا للوَدَاعِ وَقَدْ بَدَتْ قبابٌ بنجدٍ قدْ عَلَتْ ذَلكَ الوَادِي**

٢- **نظرتُ فألفيتُ السَّبيكةَ فِضةً لحسْنِ بياضِ الزَّهْرِ في ذلكَ النَّادِي**

٣- فلمّا كَسَتْهَا الشَّمْسُ عَادَ لُجَينُها لناذَهَبًا فاعجَبْ لإكْسيرِهَا البَادي

الرِّوايـة: (١) ورد البيـت الأول في **طِـراز الحُلّـة وشِفَـاء الغُلَّـة**، ومخطوطه هكـذا: «قباب قبا نجد على ذلك الـوادي»، وورد في **كنوز الذَّهب في تاريخ حلب**، **والمنهـل الصـافي والمستـوفي بعد الـوافي**، **وإعـلام النُّبـلاء بتاريخ حلـب الشَّهباء** برواية: «قباب ربا نجد على ذلك الوادي».

(٢) وورد البيـت الثَّـاني في مخطـوط طِـراز الحُلّـة وشِفَـاء الغُلَّـة برواية: «فألقيت».

(٣) وورد البيت الثَّالث في **نَفْح الطيب** برواية: «لها ذهبًا».

الشَّرْح: (١) القبا: ضَرْبٌ من الشَّجَرِ. **تاج العروس** ٢٦٦/٣٩، وهامش **شرح ألفيـة ابن معـط** (السفر الأول)، مج ٢٩/١. ونجد: من متنزهات غَرناطة. **نَفْح** الطيب ٥١٣/٣، وهامش **شرح ألفية ابن معط** (السفر الأول)، مج ٢٩/١.

(٢) السَّبيكـة: موضع خارج غَرناطة، متَّصِلٌ بها. ينظر **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّـة** ١٥٣، و**نَفْـح الطيـب**، و**رحلة ابن بطوطـة** ٥٢١/٢، وينظر في ذكر الشَّاعر للسبيكة رقم (٢)، ورقم (٤٣).

(٣) الإكسير: الكيمياء. **تاج العروس** ٤٢/١٤.

في البيـت الأول تضمين من بيت حسـام الدِّين الحاجريّ القائل فيه؛ **ديوانه** : ٢٨٦

وَقَفنـا لِـلـوَداعِ وَقَـد أُثـيـرَتْ مَـطِـيُّـهُـمُ وَجَـدَّ الإرتِحـالُ

وتمثَّـلَ الشَّاعر بالمقطعة من شعـره على التَّجنيس اللاحـق، وهو الواقع بين اسمين، الاختلاف بينهما بحرف في الأول، وهو هنا بين كلمتي (الوادي، النادي)، أمـا الكلمتان (النادي، البادي) فقد قال الشَّاعـر: إنهما من التجنيس المضارع، وهـو مثل اللاحـق، والاختلاف بينهما يكون في أن الحـرف الواقع فيه الاختلاف في المضارع مشابهًا لمخالفه في الخط والمخرج. **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ١١٨.

التَّخْريج: **طراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ١١١- ١١٢، **ومخطوطه الورقة** ١٧، **وكنوز الذَّهب في تاريخ حلب** ٤٦٧/١، والبيت الأوّل فقط في **المنهل الصّافي والمستوفي بعد الوافي** ٢٧١/٢، **والمقطَّعة في نَفْح الطيب** ٦٧٨/٢، **وإعلام النُّبلاء بتاريخ حلب الشَّهباء** ٧٤/٥.

(١٤)

وقال: [من الخفيف]

١- نُسْخَتي اليومَ في المحبّةِ أَصْلٌ فعَليهَا اعتمادُ كُلِّ عَميدِ

٢- نَقلُوا مُرْسَلَ المدَامعِ منها وصحيح الهوَى بغيرِ مَزيدِ

٣- قَدْ رَواها قَبلي «جميلٌ وقيسٌ» حينَ هَامَا بِكُلّ لحظٍ وجِيدِ

الرِّواية: (٢) ورد البيت الثَّاني في **طراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٢٨٤، ومخطوطه الورقة ١٠، وورد في المطبوع برواية: «ثقلوا... بغير مريد».

الشَّرْح: (٢) استشهد بها الشَّاعر على اقتباسه في بيته الثاني من علم الحديث بعض مصطلحاته؛ منها: المرسل، والصحيح، والمزيد. ينظر **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث** ٦٨١.

(٣) جميل: هو جميل بن معمر، الشَّاعر المشهور بتغزله في محبوبته بثينة، وقيس: هو قيس بن الملوّح المعروف بمجنون ليلى، المشهور بتغزله في ليلى، وكل منهما له ديوان شعر مشهور جدًّا، مطبوع أكثر من مرة.

التَّخْريج: **طراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٢٨٤، ومخطوطه الورقة ١٠، **ونَفْح الطيب** ٣٧٥/٧.

(١٥)

وقال: [من الخفيف]

١- هَذهِ رَوْضَةُ الرَّسُولِ فَدَعْني أَبْذُلُ الدَّمعَ في الصَّعيدِ السَّعِيدِ

٢- لا تَلُمْني عَلَى انسكابِ دُمُوعِي إنما صُنْتُها لهذا الصَّعيدِ

الشَّرْح: (٢) الصعيد: وادٍ قرب وادي القرى، فيه مسجد لرسول الله ﷺ. **معجم البلدان** ٤٠٨/٣.

(٣) الصَّعيد: بمعنى السبيل. تاج العروس ٢٨٤/٨. وتمثل بها الشَّاعر من شعره على التَّجنيس اللاحق، وهو هنا واقع بين كلمتي (الصَّعيد، السَّعيد) في البيت الأول.

التخريج: طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة ١١١، ونَفْح الطيب ٤٧/١.

(١٦)

وقال: [من مخلع البسيط]

١- دَائِرةُ الحُبِّ قَدْ تَنَاهَتْ فمَا لها في الهوَى مَزيدُ

٢- فَبحْرُ شَوقِي بهَا طَويلٌ وبحرُ دَمعي بها مَديدُ

٣- وإنّ وَجدي بها بسيطٌ فليفعَلِ الحُسنُ مَا يُريدُ

الشَّرْح: تمثَّل بها الشَّاعر من شعره شاهدًا على اقتباسه مصطلحات عروضيّة؛ هي: الدَّائرة، والبحر، والطَّويل، والبسيط، والمديد، والثَّلاثة الأخيرة من بحور الشِّعر المعروفة. ينظر كتاب العروض القديم لمحمود علي السَّمان يرحمه الله.

التخريج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٢٩٤، ومخطوطه الورقة ٩٥، **ونَفْح الطيب** ٦٧٩/٢، **وأنوار الربيع في أنواع البديع** ٢٩١/٢، **والمسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل** ١٣٤، وورد اسم الشَّاعر في أنوار الربيع هكذا: «أبو جعفر الألبري»، وهو تحريف.

(١٧)

وقال: [من المنسرح]

١- لا تجدُوا في الهَوَى عَلَى كَلِف نَظيرُهُ في الغَرامِ لَن تَجدُوا

٢- لهفَانُ مَا يَشْتَكي إلى أَحَدٍ ظمآنُ غَيرَ الدُّمُوعِ لا يَرِدُ

الشَّرْح: ورد في **طراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** أن الشاهد في (تجدوا، وتجدوا)، فالفعل الأول من الغضب، والثاني من الإصابة، واجتمع فيه الجناس التَّام، وردُّ العجز على الصدر من المحسِّنات البديعيَّة. ينظر طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة.

التَّخْرِيج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ١٤٨، ومخطوطه الورقة ٣٢، ونَفْح **الطيب** ٣٧٢/٧.

(١٨)

وقال: [من الخفيف]

١- هَذه عِشْرةٌ تَقَضَّتْ وَعِنْدي مِن أليمِ البِعَادِ شَوْقٌ شَدِيدُ

٢- وإذا مَا رأيتَ إطفَاءَ شَوقِي بالتَّلاقِي فَذاكَ رأيٌ سَدِيدُ

الشَّرْح: استشهد بها الشَّاعر من شعره على التَّجنيس المضارع، وهو هنا بين (شديد، وسديد).

التَّخْرِيج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ١٢٢، ونَفْح **الطيب** ٦٧٨/٢.

(١٩)

وقال: [من المنسرح]

١- مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ كُلُّهُمُ وأمِنُوا مِن لِسَانِهِ وَيَدِهْ

٢- فَذلكَ المُسْلِمُ الحَقِيقُ بِذَا جَاءَ حَدِيثٌ لا شَكَّ في سَنَدِهْ

الرِّواية: (٢) ورد صَدْر البيت الثَّاني في طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة برواية: «فَذلكَ المُسْلِمُ الحَقِيقي بِذَا».

الشَّـرْح: في هـذه النُّتفة مَا يُسَمَّى في علـم البديع بالعقد، ومعنـاه «أن تعقد كلامًـا منثـورًا من القـرآن أو الحديث أو غيرهمـا من أثر أو حكمـة أو مثل على أنـه ليس مـن كلامك، بل هو منقول من موضع آخر». **طـراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٣٠١. وعليه ففي النُّتفة عقد من الحديث الشَّريف، ينظر المصدر السَّابق. ونص الحديـث وروايته كما وردا في **الجامع الصحيح المختصـر** ٢٣٧٩/٥: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

التَّخْريـج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّـة** ٣١٢، ومخطوطه الورقة ١٠٢، و**مَعَاهِد التَّنْصِيص على شواهد التّلخيص** ١٧٨/٤.

(٢٠)

وقال: [من الطويل]

١- **وكيفَ يَكُونُ الصَّبْرُ عَنْهَا لعَاشِقٍ وقدُ حكَّمَتْ ألحَاظَهَا في فُؤَادِه**

٢- **إذا أَرْسَلَتْ سُودَ الغَدَائِرِ خِلْتَهَا صُبِغْنَ بِمَا في طَرْفِها مِنْ سَوَادِه**

الشَّرْح: في النُّتفة من علم البديع ما يسمَّى بالاستتباع، وهو أن يذكر النَّاظم أو الناثر معنى مدح أو ذم، فيستتبع به معنى آخر من جنسه. **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٦٠٠. وعليه ففي هذا الشِّعر «مدح لها بأنَّها لا يصبر عنها، على وجه استتبع مدحها بتحكيم لحظها في القلوب بسود العيون». طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة ٦٠٢.

التَّخْريـج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّـة** ٦٠٢، ومخطوطه الورقة ٢١٧، و**مَعَاهِد التَّنْصِيص على شواهد التّلخيص** ٩٢/٣.

[قافية الرَّاء]

(٢١)

وقال: [من الكامل]

١- **مَهْلاً فَمَا شِيَمُ الوَفَا مُنْقَادةٌ لمنِ ابتَغَى مِن نيلِهَا أوْطَـارَا**

٢- رُتــبُ المَعَـالي لا تُـنَـالُ بحيلَةٍ يَومًا ولو جهِدَ الفَتَى أَو طَارا

الرِّوايـة: (١) ورد البيـت الأول في **طـراز الحُلّـة وشفَـاء الغُلَّـة** مخطوطًـا ومطبوعًا، و**إعلام النُّبلاء بتاريخ حَلب الشَّهباء** برواية: «الوفاء معارة»، وورد في كنوز الذَّهب في **تاريخ حلب** برواية: «الوفا معارة».

(٢) ورد البيـت الثَّاني في إعلام النُّبلاء بتاريخ حلب الشَّهباء برواية: «جهد الغنى».

الشَّـرْح: نظـم الشَّاعـر النُّتفـة استشهادًا علـى الجناس التَّـام المركب بين (أوطارا)؛ أي مآرب، و(أو طارا)؛ المكونة من الحرف (أو)، والفعل (طار).

التَّخْريـج: **طـراز الحُلّـة وشفَـاء الغُلَّـة** ١٦٣، ومخطوطه الورقـة ٣٨، و**كنوز الذَّهـب في تاريـخ حلـب** ١/٤٦٧، ونَفْح الطيـب ٧/٣٧٣، و**إعلام النُّبـلاء بتاريخ حلب الشَّهباء** ٥/٧٤.

(٢٢)

وقال: [من البسيط]

١- نَاولتُه وَرْدةً فَاحمرَّ مِن خَجَلٍ وقالَ: وَجْهِيَ يُغْنِيني عَنِ الزَّهَرِ
٢- الخدُّ وَردٌ وَعَيْنِي نَرْجسٌ وعَلَى خَدِّي عِذارٌ كَريحانٍ على نَهَرِ

الشَّـرْح: استشهـد بها الشَّاعر من شعـره على لزوم ما لا يلـزم في القافية، فالتـزم حرف الهـاء قبل حرف الـروي وهو الـراء، والتزم حركة حـرف الهاء، وكذلك التزم بحركة ما قبل الهاء.

التَّخْريـج: **طراز الحُلّـة وشفَاء الغُلَّـة** ٢٤٧، ومخطوطه الورقة ٧٤، وسقطت منـه كلمـة: «وقال» من عجـز البيت الأوّل، وهـي في **كنوز الذَّهـب في تاريخ حلب** ١/٤٧٧، و**مَعَاهـد التَّنْصيص علـى شواهـد التلخيص** ٣/٣٠٦، و**نَفْـح الطيـب** ٧/٣٧٤ – ٣٧٥، و**إعـلام النُّبلاء** ب**تاريخ حلب الشَّهباء** ٥/٧٥. حيث وردت فيها النتفة.

(٢٣)

وقال: [من الوافر]

١- لقدْ كَرَّ العِذَارُ بِوَجْنَتَيْه ... كَمَا كَرَّ الظَّلامُ عَلَى النَّهَارِ

٢- فَغَابَتْ شَمْسُ وَجْنَتِه وَجَاءَتْ ... عَلَى مَهَلٍ عَشِيَّاتُ العِذَارِ

٣- فَقُلتُ لِنَاظِري لَمَّا رآهَا ... وقَدْ خَلَطَ السَّوادَ بالاحمرارِ:

٤- (تمتّعْ مِن شَميمِ عَرارِ نجدٍ ... فمَا بَعْدَ العَشِيّةِ مِن عَرارِ)

الشَّرْح: استشهد بها الشَّاعر من شعره على تضمينه البيت الأخير بكامله من بعض الشعراء، فهو للصمة بن عبد الله القشيري في ديوانه ضمن شعر بني قشير ١٧٩/٢، ولمجنون ليلى في ديوانه ١٥٠ من قطعة في ستة أبيات، وهو في الحماسة البصرية ١٠٢٣ لمعقل بن جناب، وقال: ويروى لجعدة بن معاوية العقيلي. وينظر تحقيقي لديوان أبي الفرج بن هندو.

التَّخْرِيج: **طراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٣٤٧، **ومَعَاهِد التَّنْصِيص على شواهد التّلخيص**٣/ ٢٥٤، **ونَفْح الطيب** ٦٨٩/٢.

(٢٤)

وقال في التَّشريع: [من الكامل]

١- يَا رَاحِلاً يَبغِي زيارةَ طيبَةٍ ... نِلتَ المُنَى بزيارةِ الأَخيارِ

٢- حَيِّ العَقيقَ إذا وَصْلتَ وَصِفْ لَنَا ... وادِي مِنًى بأَطَايِبِ الأَخبَارِ

٣- وإذا وَقفتَ لدَى المعرَّفِ دَاعيًا ... زالَ العَنَا وظَفِرتَ بالأَوْطَارِ

الرِّواية: (١) ورد صدر البيت الأول في **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة**، ومخطوطه برواية: «يا راحلاً تبغي زيارة طيبة».

(٢) وورد عجز البيت الثَّاني في **طراز الحلة**، **ومَعَاهِد التَّنْصِيص على**

شواهد التّلخيص، برواية: «وادي المنى يا طيّب الأخبار».

الشَّرْح: التشريع: هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما. **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة** ٤/١٠١، ورَوِيّ القافية الأولى التي يصح المعنى عند الوقوف عليه الألف المقصورة في الشطر الثاني من كل بيت في الكلمات: «المنى، مِنى، العنا». وينظر **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة**.

(٢) العقيق: اسم لأكثر من موضع في الجزيرة العربية، ولعل الشَّاعر قصد به موضعًا بالمدينة المنورة، وهذا أقرب لمضمون قوله. **معجم البلدان** ٤/١٣٩.

(٣) المعرَّف: موضع الوقوف بعرفة. **معجم البلدان** ٥/١٥٥.

التخريج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٢٦٥، ومخطوطه الورقة ٨٢، و**مَعَاهِد التَّنْصِيص على شواهد التّلخيص** ٣/٣٠١، و**نَفْح الطيب** ٧/٣٧٥.

(٢٥)

وقال: [من السَّريع]

١- حُسْنُكَ مَا بَينَ الوَرَى شَائِعٌ ... قَدْ عُرِّفَ الآنَ بِلام العِذَارِ

٢- فَجَاءَ منهُ مُبتدًا لِلْهَوَى ... خَبَرُهُ الآسُ مَعَ الجُلّنَارِ

الشَّرْح: (٢) الآس: «شجر دَائم الخضرة بيضي الْوَرق، أَبيض الزهر أَو ورديه، عطري، وثماره لُبّية سود تُؤْكَل غضة وتجفف فَتكون من التوابل، وَهُوَ من فصيلة الآسيات». **المعجم الوسيط** ص١، والجلّنار: زهر الرُّمَّان. **المعجم الوسيط** ١٣٢، وفي هذين البيتين اقتباس بعض مصطلحات علم النَّحو، وهي: المعرف بأل، والمبتدأ، والخبر. ينظر **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة**.

التَّخْرِيج: طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة ٢٩٣، ومخطوطه الورقة ٩٤، وقدَّم لها في المطبوع بقوله: «وله في ذلك». وهذا خطأ من الناسخ، ونَفْح الطيب ٧/٣٧٧، ولم ترد النُّتفة في مجموع شعر ابن جابر الأندلسي.

(٢٦)

وقال: [من الطويل]

١- مَليحٌ كَأَنَّ النَّاسَ مِلْكُ يَمينِه وَأَلْحَاظُهُ تَنْهَى القُلُوبَ وَتَأْمُرُ

٢- ولا عَيْبَ في ألحَاظِه غَيرَ أَنَّهَا مَرَاضٌ إذَا تَرْنُو إلى النَّاسِ تَسْحَرُ

الشَّرْح: تمثل بها الشَّاعر من شعره شاهدًا على فن بديعي، هو تأكيد المدح بما يشبه الذم.

التَّخْرِيج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٥٩١، ومخطوطه الورقة ٢١٤.

(٢٧)

وقال: [من الكامل]

١- خَلِّ الأنَامَ ولا تخالطْ مِنْهُمُ أَحَدًا وَلَو أَصْفَى إليكَ ضَمَائرَهْ

٢- إنّ الموفَّقَ مَنْ يَكُونُ كأنّه مُتَقَارِبٌ فَهْوَ الوحيدُ بِدَائرهْ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في المسلك السَّهل في شرح توشيح ابن سهل برواية: «ولا تلاحظ».

الشَّرْح: في البيت الثَّاني اقتباس من علم العروض بعض مصطلحاته؛ منها: المتقارب، وهو من بحور الشعر المعروفة، ومنها: الدائرة، وهي الدائرة العروضية الخامسة، وتشتمل على بحرين، هما: المتقارب، والمتدارك، وتسمَّى دائرة المتَّفق، لذا جاء الشَّاعر باسم بحر المتقارب في عجز البيت لمناسبة كلمة الموفق في صدره. ينظر طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة. والعروض القديم ص ٢٨٨. وتنظر النُّتفة رقم (٤٥).

التخريج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٢٩٤، **ونَفْح الطيب** ٦٧٨/٢، **والمسلك السَّهل في شرح توشيح ابن سهل** ١٣٣-١٣٤.

(٢٨)

وقال: [من الخفيف]

١- رُبَّ يَـومٍ قطعتُه بـالجـزيـرَهْ فَـتَـذَكَّـرْتُ أَهْـلَـنَـا بـالجـزيـرَهْ

٢- قصّـرَ الأُنسُ مَـا تَـطَـاوَلَ مِنهُ وكـذَا أزمُـنُ الـسُّـرُورِ قَصِيرَهْ

الرِّواية: (١) ورد البيت الأول في نَفْح الطيب برواية: «رب ليل».

(٢) وورد البيت الثَّاني في نَفْح الطيب برواية: «وكذَا أزمُنُ السُّرُورِ يَسِيرَه».

الشَّـرْح: (١) كلمـة الجزيـرة الأولـى المراد بهـا حمص المحيط بهـا النَّهر المسمَّـى بالعَاصِي، والثَّانية جزيرة الأندلس، وفي البيتين جناس تام بين الجزيرة والجزيرة. ينظر **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة**.

التَّخْرِيـج: **طِـراز الحُلّـة وشِفَـاء الغُلَّـة** ١٥١، ومخطوطـه الورقـة ٣٣، **ونَفْح الطيب** ٣٧٢/٧.

[قافية السِّين]

(٢٩)

وقال: [من الكامل]

١- وَمُـوَرَّدِ الـوَجَـنَـاتِ دَبَّ عِـذَارُهُ فَـكَـأنَّـهُ خَـطٌّ عَـلَـى قِـرطَـاسِ

٢- لَمَّـا رَأيـتُ عِـذَارَه مُسْـتَعْجِلاً قَدْ رَامَ يُخفِي الـوردَ مِنْه بِآسِ

٣- نَـاديـتُـه قِـفْ كَـي أُوَدِّعَ وَرْدَه (مَا فِي وُقوفِكَ سَاعةً مِن بَاسِ)

الرِّوايـة: (١) ورد البيـت الأول في **طِـراز الحُلّـة وشِفَـاء الغُلَّـة** برواية: «ربّ عذاره».

الشَّرْح: في عجز البيت الأخير تضمين. كما قال الشَّاعر. من بيت أبي تمَّام:

ما في وُقوفِكَ ساعَةً مِن باسِ نَقضي ذِمـامَ الأَربُـعِ الأَدراسِ

ينظر **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة**، حيث شرح الشَّاعر هذا التضمين.

التَّخْرِيج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٣٥٥، **ومَعَاهد التَّنْصيص على شواهد التّلخيص** ١٦٥/٤، **ونَفْح الطيب** ٦٧٦/٢، **وذيل ثمرات الأوراق** ١٩٧.

[قافية الصَّاد]

(٣٠)

وقال في (حمص) لما دخلها: [من السَّريع]

١- **حِمصٌ لمن أَضْحَى بهَا جنّةٌ يَدْنُو لدَيْها الأَمَلُ القَاصِي**

٢- **حَلَّ بها العَاصِي أَلا فَاعْجَبُوا مِن جَنّةٍ حَلَّ بِهَا العَاصِي**

الشَّرْح: (١) في هذه النُّتفة تورية: «فإن المعنى البعيد المورَّى عنه النَّهر المعروف، وقد بُيّن بذكر (حمص) قبله، والمعنى القريب المورى به هو المذنب». **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة**.

التَّخْرِيج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٤٦٧، ومخطوطه الورقة ١٦٤، **ونَفْح الطيب** ٦٧٥/٢.

[قافية الضَّاد]

(٣١)

وقال: [من الطويل]

١- **ولَمّا رَأَى الحُسَّادُ مِنْكَ التِفَاتَةً إلى جَانِبَ اللَّهْوِ الذي كَانَ مَرْفُوضَا**

٢- **أَضَافُوا إلى عُلْيَاكَ كُلَّ نَقِيصَةٍ حَقِيقٌ لَدَينَا بالإضَافَةِ مَخْفُوضَا**

الشَّرْح: في البيت الثَّاني اقتباس من مصطلحات علم النحو: الإضافة، والخفض.

التخريج: **نَفْح الطيب** ٣٧٧/٧.

[قافية الطَّاء]

(٣٢)

وقال: [من الرَّجَز]

يـقـولُ راجـيًـا لخـيرِ مُـعْـطٍ ... مُسْتَغْفِرًا يَحْيى بن عَبدِ المعطِي

التخريـج: شرح ألفيـة ابن معط (السفـر الأول)، مج١/١٨، قالـه الشَّاعر تعقيبًا على بيت ابن معط ١/٩:

يَـقُـولُ رَاجِـي رَبّـهِ الـغَـفُـورِ ... يحَيى بـن مُعط بـن عبـدِ الـنُّورِ

فقال: كان من الأَوْلى أن يقول: وذكر البيت، أو يقول:

نَظَمَها يحَيْى بن عَبْد المعطِي ... المـغـربـيّ فَـأَتَـتْ كالـسِّـمْـطِ

إلى غير ذلك من العبارات. وأشار الرُّعَينِيّ إلى أن ابن معطٍ أتى على البيت الأخير في نهاية ألفيته، فرجعت إليها ـ بشرح الموصلي ـ فوجدت البيت فيها هكذا ٢/١٣٩٨:

نَظَمَها يحَيْى بن معطِي المغربي ... تَـذْكِـرَةً وَجِـيـزَةً لـلـمُـعْـرِبِ

[قافية العين]

(٣٣)

وقال: [من الكامل]

١- **لَمّا عَدَا في النَّاسِ عَقْرَبُ صُدْغِهَا ... كَفَّتْ أَذَاهُ عن الـوَرَى بالبُرقعِ**

٢- **والصُّبحُ تحتَ خِمَارِهَا مُتَسَتِّرٌ ... عَنّا مَتَى شَاءَتْ تَقُولُ لَه: اطلع**

الرِّوايـة: (١) ورد البيـت الأول في الدُّر النَّفيس، وجنى الجناس برواية: «أذاه من».

الشَّـرْح: عَقْرب الصُّـدغ: خُصْلة شعـر تدليها المرأة علـى صدغها في شكل حُمـة العقرب. **معجم اللغة العربية المعاصـرة** ٢/١٥٢٩. وفي هذا البيت نوع من

الجناس، وهو الجناس المقلوب المستوي، وهو هنا بين (عقرب، وبرقع). ينظر **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة**، والدُّر النَّفيس، وجنى الجناس.

التخريج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ١٨٩، ومخطوطه ٤٩ (وهي فيه لابن جابر، وليست في مجموع شعره). كيف ذلك، وهي في المطبوعة لأبي جعفر، قال: «ولي في ذلك مصرحًا باللفظين»؟!، وهي لأبي جعفر الغرناطي في **كنوز الذَّهب في تاريخ حلب** ٤٧٧/١، و**الدُّر النَّفيس** ٣٠٣/٢، والبيت الأول في جنى الجناس ٢٩١، والنُّتفة في **نَفْح الطيب** ٣٧٢/٧، و**إعلام النُّبلاء بتاريخ حلب الشَّهباء** ٧٥/٥.

(٣٤)

وقال: [من المتقارب]

١- بِجَوْرِ الوَدَاعِ لَنَا مَوقِفٌ أذابَ الفُؤادَ لأجْلِ الوَدَاعِ

٢- فَمَا أَنَا أَنْسَى غَدَاةَ النَّوَى وَحَادِي الرِكَائِبِ للبَيْنِ دَاعِ

الرِّواية: (١) ورد البيت الأول في طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة برواية: «بحور الوداع»، وورد في نَفْح الطيب: «بجور الوداع»، وكلاهما خطأ، والصواب: «بحوز الوداع». ينظر كتاب أدب الرّحلات الأندلسيَّة والمغربيّة حتى نهاية القرن السابع الهجري، نوال الشَّوابكة، دار المأمون للنَّشر ١٨٨.

(٢) ورد البيت الثَّاني في مخطوط طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة برواية: «فما أنسى».

الشَّرْح: (١) وجور الوداع: «موضع بخارج غرناطة، عادة من سافر أن يودّع هناك». نفح الطيب. وفيه من علم البديع رد العَجُز على الصَّدر، وقد نظم الشَّاعر النُّتفة استشهادًا عليه.

التَّخْرِيج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٢١٠، ومخطوطه الورقة ٥٩، و**نَفْح الطيب** ٣٧٤/٧.

[قافية الفاء]

(٣٥)

وقال: [من المتقارب]

١- بِبَابِ البُنُودِ لَنَا وقْفَةٌ هُنَاكَ يَرَى الحُسْنَ مَنْ قَدْ وَقَفْ

٢- بِهِ سَرَّني زَمَنٌ سَالِفٌ فَلَهْفِي عَلَى زَمَنٍ قَدْ سَلَفْ

الشَّرْح: (١) باب البنود في غَرْنَاطة. ينظر كتاب الإحاطة في أخبار غَرْنَاطة ٦٥/٢، ٧٥. في النُّتفة من علم البديع رد العجز على الصدر، وقد نظمها الشَّاعر استشهادًا عليه.

التَّخْرِيج: طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة ٢٢٢، ومخطوطه ٦٣-٦٤.

(٣٦)

وقال: [من مجزوء الكامل]

١- لِقَوَامِهِ الأَلِفُ التي جَاءَتْ بِأَحْسَنِ مَا أُلِفْ

٢- عَانَقْتُهُ فَكَأَنَّنِي لامٌ مُعَانِقَةُ الأَلِفْ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في نَفْح الطيب برواية: «جَاءَتْ بِحُسْنٍ».

الشَّرْح: نظم الشَّاعر النُّتفة استشهادًا على اقتباسه من علم الخط. ينظر **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة**، وينظر في اقتباس الشَّاعر من علم الخط النُّتفة رقم (٥٥).

التخريج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٣٠٠، ومخطوطه الورقة ٩٧، وسقط من المخطوط لفظ «التي» من صدر البيت الأول، والنُّتفة في **نَفْح الطيب** ٦٨٨/٢.

(٣٧)

وقال: [من مجزوء الرمل]

١- أَيُّهـا النَّحْـوِيُّ قُـل لي: مـا الَّـذِي أُعْـرِبَ وَقْـفَـا؟
٢- ثُـمَّ فِي حَـالَـةِ وَصْـلٍ قَـدْ بُـنِـي خَـالَـفَ عُـرْفَـا

الشَّـرْح: وقد قالهما الشَّاعـر تعقيبًا على أحـد الآراء النَّحوية في بناء الفعل المضارع وإعرابـه، هذا الرَّأي هو: «أنه إذا لحقه من الضَّمائر الواو والياء معرب في حالة الوقف، لأنَّ نون الرَّفع ترجع في الوقف، مبني فيما عدا ذلك، وهذا القول في غاية الغرابة ؛ لأنا لم نجد كلمة معربة في حالة الوقف مبنية في حالة الوصل».

التخريج: شرح ألفية ابن معط (السِّفر الأول)، مج ٧٥٦/٢.

(٣٨)

وقال: [من الكامل]

١- يَـفْـتُـرُ عَـن بَـرَدٍ يُـثيرُ بِـبَرْدِه حَـرَّ الغَـرَامِ ولا سَبيلَ لِرشْفِه
٢- أخَذَ الرَّشَا من حُسْنِه طَرَفًا لذَا نَسَبَ الوَرَى مُلَحَ الجَمَالِ لِطَرْفِه

الشَّرْح: (١) البَرَد: الرضاب. تاج العروس ٤٩٩/٢.

(٢) الرَّشَـأُ، مُحرَّكةً: الظَّبْيُ إذا قَوِيَ وتحَـرَّك ومَشَى مع أُمِّه. **تاج العروس** ٢٤٦/١.

التخريج: **نَفْح الطيب** ٣٤٧/٧.

[قافية القاف]

(٣٩)

وقال: [من الوافر]

١- عَلَى وَادي العَقيقِ سَكَبْتُ دَمْعي بـلا عَـينٍ فَـيـبـدُو كالعَـقـيـقِ
٢- فَكَمْ غُصْنٍ وَرِيـقٍ مِنْه يَحْكِي قَـوامَ رَشًـا شَـهِـيٍّ فَـمٍ وَرِيـقِ!

الرِّواية: (١) ورد البيت في **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة**، ومخطوطه برواية: «ليبدو».

(٢) وورد البيت الثَّاني فيه مطبوعًا ومخطوطًا برواية: «فيه يحكي».

الشَّـرْح: (١) معنى كلمة العقيـق الثانية: كُلُّ مَسيلٍ شَقّه مـاءُ السّيْل فأَنْهَرَه ووسَّعه. تاج العروس ١٦٨/٢٦.

نظـم الشَّاعر النُّتفة استشهادًا على الجناس التام المركب بين (وريق)؛ أي مورق، و(وريق) المكونة من حرف الواو ولفظ (ريق) المقصود به رُضاب الفم.

التَّخْريـج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ١٣-١٦٤، ومخطوطه الورقة ٣٨، **ونَفْح الطيب** ٣٧٣/٧.

(٤٠)

وقال: [من الكامل]

١- **قالوا: عَشِقْتَ وَقَدْ أَضَرّبِكَ الهَوَى فَأَجَبْتُهم: يَا لَيْتَنِي لم أَعْشَقِ!**

٢- **قَالُوا: سَبقتَ إلى مَحَبّة حُسْنه فَأَجَبْتُهُمْ: مَا فَازَ مَنْ لَمْ يَسْبِقِ!**

التَّخْريـج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٣٧٣، ومخطوطه الورقة ١٢٥، **ونَفْح الطيب** ٦٨٩/٢، ونظمهما الشَّاعر استشهادًا على الطباق.

(٤١)

وقال: [من المتقارب]

١- **يَحِنُّ المَشُوقُ إِلَى قُرْبِكُمْ وَأَنْتَ تَحُنُّ وَلاَ تُشْفِقُ**

٢- **فَجُدْ بِالوِصَالِ فَدَتْكَ النُّفُوسُ فَإِنِّي إِلَى وَصْلِكُمْ شَيِّقُ**

الشَّـرْح: «وحـن إلى وطنـه يَحِنُّ: (بالكسر) حنينًـا فهو حانٌّ: إذا تشـوق إليه... وحنَّ عَنِّي يحُنُّ (بالضَّم): أي صَدَّ عَنِّي... أي أنا أَتَشَوَّقُ إليكَ وَأَنْتَ تَصُدُّ عَنِّي». **اقتطافُ الأزاهر والتقاطُ الجواهر.**

التَّخْريـج: **اقتطافُ الأزاهر والتقاطُ الجواهـر** ص ١١١، والشّطر الأول من

البيت الثَّاني تضمين من شعر الوأواء الدّمشقيّ، وهو في ديوانه ١٠٠، أو غيره، وتمامه في الدّيوان:

فَلَسْتُ عَلى الهَجْرِ بالْقادِرِ

[قافية الكاف]

(٤٢)

وقال وقد أهدى طاقية: [من مجزوء الكامل]

١- **خُذْهَا إِلَيْكَ هَدِيَّةً ... مِمَّن يَعِزُّ عَلى أُنَاسِكْ**

٢- **اخْتَرْتُهَا لَكَ عِنْدَمَا ... أَضْحَتْ هَدِيَّةَ كُلِّ نَاسِكْ**

٣- **أَرْسَلْتُهَا طَاقِيَّةً ... لِتَنُوبَ عَنْ تَقْبِيلِ رَاسِكْ**

الشَّرْح: نظمها الشَّاعر استشهادًا على التَّجنيس النَّاقص بين (أناسك، وناسك).

التَّخْرِيج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ١٢٩، ومخطوطه الورقة ٢٥، **ونَفْح الطيب** ٦٧٨/٢.

(٤٣)

وقال: [من الكامل]

١- **ما هَبَّ مِن نَحْو السَّبيكَةِ بَارِقٌ ... إلاّ غَدَا شَوقِي لِقَلْبِي سابكَا**

٢- **واللهِ مَا اختَرْتُ الفِرَاقَ لِرَبْعِهَا ... لكنْ قَضَاءُ اللهِ أَوْجَبَ ذَلِكَا**

الرواية: (١) ورد البيت الأول في **نَفْح الطيب** برواية: «شابكا».

الشَّرْح: السَّبيكة: موضع خارج غرناطة، متصل بها. ينظر **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ١٥٣، **ونفح الطيب** ٦٧٨/٢، **ورحلة ابن بطوطة** ٥٢١/٢، وينظر في ذكر الشَّاعر للسبيكة رقم (٢)، ورقم (١٣).

والشبك: الخلط والتداخل. **تاج العروس** ٢١٧/٢٧. واستشهد الشَّاعر بهذه

النُّتفة من شعره على التَّجنيس الاشتقاقي في البيت الأول بين (السبيكة، وسابكا).

التخريج: طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة ٢٠١، ومخطوطه الورقة ٥٥، ونَفْح الطيب ٧/ ٣٧٤.

(٤٤)

وقال: [من الرجز]

١- **أذنتُ أن يَرْوُوا جميعَ ما به حَدَّثَني كُلُّ إمَامٍ سَالِكِ**

٢- **يَقُولُ ذا مُتَّبِعًا لِشَرطه (أحمدُ بن يوسف بن مالكِ)**

الشَّرْح: نظم الشَّاعر هذه النُّتفة استشهادًا على ما يسمَّى في علم البديع بالاطراد، وهو: «أن يذكر الناظم أو النَّاثر اسم من تعرض لذكره، ثم يذكر من أمكنه من آبائه على الترتيب بألفاظ سهلة دون تكلف حتى يكون الكلام في سهولة جريانه واطراده كالماء، فيذكر أولاً اسم الشَّخص، ثم اسم أبيه، ثم اسم جده إلى آخر ما يتأتَّى له ذكره من غير فصل بين ذلك، فلو فصل فصلاً بنحو الصِّفة جاز، وتركه أولى». **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٦٢٧.

التَّخْرِيج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٦٣٨، ومخطوط الورقة ٢٣٣، **ومَعَاهِد التَّنْصِيص على شواهد التّلخيص٣/ ٢٠٥.**

(٤٥)

وقال على مذهب (الأخفش): [من الكامل]

١- **إنّ الخَلاصَ من الأَنَام لَرَاحَةٌ لكنّه مَا نَالَ ذَلِكَ سَالِكُ**

٢- **أَضْحَى بِدَائِرةٍ لَهُ مُتَقَارِبٌ يَرْجُو الخَلاصَ فَعَاقَهُ مُتَدَارَكُ**

الشَّرْح: (٢) المتقارِب والمتدارَك والدائرة من مصطلحات علم العروض، والمتقارب والمتدارك بحران من بحور الشعر، وهما مقرونان في الدائرة العروضية المعروفة بالمتفق. ينظر **العروض القديم** ٢٨٨، وتنظر النُّتفة رقم (٢٧)، وفي البيت الثَّاني اقتباس من علم العروض. ينظر **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة.**

الأخفش: سعيد بن مسعدة البلخي (ت ٢١٥ هـ)، سكن البصرة، وتتلمذ على سيبويه النحوي، وهو عالم باللغة والأدب والعروض، وقد استدرك على الخليل بن أحمد الفراهيدي بحر المتدارك. ينظر **الأعلام** ١٠٢/٣.

التخريج: **طِراز الحُلّة وشِفَاء الغُلَّة** ٢٩٥، ومخطوطه الورقة ٩٥، **ونَفْح الطيب** ٦٧٨/٢، **والمسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل** ١٣٤.

(للبحث صلة)

(*) كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر

الصحفي والأديب العراقي-النجدي: عبداللطيف آل ثنيّان «صاحب قاموس العوام في دار السلام»(*)

د. عبدالرحمن الشبيلي(**)

قبل نحو عشرين عاماً، استهوى كاتبَ هذا المقال الغوصُ في سيرة هذا الصحفي، الأديب، العراقي الهُويّة، النجدي الجذور، لا عن فضول البحث في منشأ أسرته فحسب، وإنما لكون القليل المنشور عنه يُنبئ بسمات مشهودة في الرقيّ والكفاية المعرفيّة، فنشرتُ آنذاك مقالاً موسّعاً عنه في **جريدة الجزيرة** (العدد ١٠٢٣٦ عام ٢٠٠٠) تناول مشواره الصحفيّ وبعضاً مما كُتب عنه في الجانب الثقافي، ثم ألحقت المقال بكتابي صفحات توثيقيّة من **تاريخ الإعلام في الجزيرة العربيّة** (٢٠٠٢).

وقبل أسابيع، وقعت على كتاب صدر عام ٢٠٠٢ بعنوان **صفحات من قاموس العوام في دار السلام**، بغداد، وضع مادته هذا الأديب، وراجعه المحقّق عامر رشيد السامرّائي، ونشرته وزارة الثقافة العراقيّة عام ٢٠٠١، وفيه مزيد من المعلومات عن سيرة المؤلّف في جوانب ثقافيّة أخرى، تضيف مزيداً من الفوائد عن فكره وإسهاماته، وتؤكّد الانطباع الأول عن شخصيّته ومكانته وكفاياته الفكريّة.

وعبداللطيف ثنيّان ذكره خير الدين الزركلي في **قاموس الأعلام**،

مشـيرًا إلـى أنـه مـن أقـدم صحفيـي العـراق، وأنـه ذو أصـل نجـدي، (أصـدر **جريـدة الرقيـب** في بغـداد أواخـر العهـد العثمـاني في العـراق وحدّد كتاب **تاريـخ الصحافة العربية** لفيليب دي طـرازي)، بـيروت (١٩١٤) تاريخ صدور الجريدة بـ ١/٢٨/ ١٩٠٩، وهو بذلك يأتي بعد أحمد باشا الزهير النجـدي، الـذي أصـدر **جريـدة الدسـتور** في اسطنبول بتاريـخ ١٩٠٨/١٠/٤، وقبل سليمان الدخيـل، الذي كان الشيخ حمـد الجاسر يظنّه أولَ نجدي احترف الصحافة، بإصداره **جريدة الرياض** (البغدادية في١٩١٠/١/٧).

وتُجمـع الكتب المؤرخـة لصحافة العراق وليقظته الفكريـة على الإشارة إلى عبداللطيـف آل ثنيان، وتعُدّه مـن روّاد الصحافة العراقية، فذكر حميد المطبعي مؤلـف كتاب موسوعـة أعلام العـراق في القـرن العشرين أن للثنيّـان في منزله بالأعظميّة ببغداد مجلسًا ثقافيًا، وأن من مرتاديه الشاعر معروف الرصافي.

وأشار كتاب أعـلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث، لمؤلفه مير بصري، إلـى نسبـه: "عبداللطيـف بـن إسماعيل بن إبراهيـم بن سلمان بـن عثمان بن عبـدالله بن مراد بن مبارك بن عبدالله بن ثنيـان". نزحت أسرته إلى البصرة منـذ أكثر من مائتي عـام، وكان أبوه تاجرًا، له قطع شعريّـة ونثريّة، وأنه ولد في بغـداد في ١٨٦٧/٣/٢٢، وتوفي والده وهو صغـير، وأخذ عبداللطيف علوم الدين والعربيـة علـى محمود شكـري الألوسـي، وقد مال إلـى الأدب والكتـاب، فحرر المقـالات الوطنية والاجتماعية واللغويـة منذ سنة ١٩٨٠، وأنشأ عام ١٩٠٢ مكتبة تجلب المطبوعات المصريّة والتركيّة.

وعقب إعلان الدستور العثمـاني سنة ١٩٠٨ أصدر جريدة الرقيب في بغداد مرتـين في الأسبوع، وكانت تضم قسمًا باللغـة التركية، قال عنها روفائيل، بطّي، أحد أبرز مؤرخي الصحافة في العراق: إنها تميزت بسلاسة العبارة ونقاء اللغة، وكانـت مـن أجرأ صحف زمانهـا ومن أكثرها شعـورًا بالواجـب، وكان محرّرها (الثنيّـان) معروفًا بالصراحة المتناهية والمثابرة علـى العمل، والتمسّك بالدين،

مع محاربة الاتجار بـه، لكنه اضطر إلى تعطيل جريدته عام ١٩١٠م إشفاقًا من نقمـة الحكومـة، وخرج من العراق إلـى الهند، ثم قصد الحجـاز لتأدية فريضة الحج سنة ١٩١١، وعاد إلى بغداد بعد زيارة مصر وتركيا.

وبعد فترة اعتقال ونفي من بغداد عاد إليها ليُوكَل إليه تنظيم المكتبة العامة في بدايـة افتتاحهـا، وفي عـام ١٩٢٣ عُين مديـرًا للأوقاف، ثم انتُخـب نائبًا عن لـواء ديـالي، وصار يلقي المحاضرات في دار العلوم العربيـة، ثم انتُخب نائبًا عن لـواء بغـداد في عام ١٩٣٩، وتـوفي في بغـداد في ٢١/ ٤/ ١٩٤٤م عن عمر يقارب الثمانين.

وذكـرت المراجع العراقيـة أن الرقيب: كانت ثالث جريـدة أهليّة في العراق، تـبرز في طُرتهـا أنها جريدة عربيّـة تركيّة تهدف لترقّي الوطـن بكامل الحريّة، وكان قسمهـا التركي صغيرًا، وأكثر أعمدتهـا بالعربية، وتميّزت بأسلوبها السهل وبسلاسة عباراتها ونقاء لغتها بمعيار ذلك الزمن، وظلّ صاحبها يقظًا على تتبّع سـير الحكومة وأعمالها، فمـا رآه حسنًا أطراه، وما كان خطأً انتقده، بحيث صحَّ لـه أن يسميهـا الرقيب، وكانت ظهرت في المدينة المنـورة في الفترة ذاتها جريدة بالاسم نفسه، غير أنه لا صلة بين الصحيفتين.

تشير المراجع إلى أن من آثاره: فهارس لكتاب الأغاني ووفيات الأعيان وحياة الحيوان لكمال الدين الدميري ورسالة الغفران.

أما كتاباه قاموس العوام في دار السلام، وأمثال العوام في دار السلام، فهما معجمان عن العاميّة العراقية. على أن معظم مؤلفاته بقيت مخطوطة، وبتصفّح الكتاب الأول الذي بين الأيدي نسخة منه، تظهر مقدمة ثريّة للمحقّق عامر رشيد السامرّائـي، تناول في بدايتها ما تداوله الباحثون العراقيّون المعاصرون له بشأن علاقة عبـدالله آل ثنيّان بجمع المـادة الأساسيّة للأمثـال والمصطلحات الواردة فيـه، وخلُص إلـى أن أصولها كانت مـن وضع محمد سعيد الخليـل، وأن الأديب والباحـث الثنيّان استعان بها، وأضاف عليها أجزاء كبيرة، وقام بتبويبها، ووضع

تحليلاً لألفاظها وبيّن أصولها اللغويّة الفصيحة والدخيلة، وتركها مخطوطة.

واستعرض السامرّائي أبرز ما كتب في تقريظ الكتاب والثناء على المؤلف وآثاره، وعلى صحيفة الرقيب، وعلى شخصيّته ومكانته بين مثقّفي عصره، من أقوال النقّاد والأدباء والمؤرّخين؛ أمثال إبراهيم الدروبي، وعباس العزاوي، وكوركيس عوّاد، والأب أنستاس الكرملي، وبهجت الأثري، والألوسي، ومير بصري، وروفائيل بطّي.

يضم القاموس مخزونًا من الألفاظ الدارجة على ألسنة العوام في بغداد بصفة خاصة، وفي بقيّة محافظات العراق بعامة، مرتبة بحسب حروف المعجم من الألف إلى الياء، ومؤلّفه من المعنيّين بقضايا اللغة والتاريخ، والمهتمّين بالموروثات الشعبية العامية، وتولّي عامر السامرّائي تحقيق المخطوط وتدقيقه والتعليق عليه وتصويبه، ومقارنة ما ورد فيه مع مراجع أخرى، والقاموس (٣٥٠ ص) يشبه عددًا من القواميس التي تناولت المفردات العاميّة العراقيّة، ذات الأصول العربيّة الفصيحة أو المنقولة من لغات ولهجات محيطة كتركيا وبلاد فارس.

وقاد التواصل مع أسرة الثنيّان، بمساعدة الباحث العراقي الكاتب سابقًا في هذه الصحيفة نجدت فتحي صفوة (المتوفّى في الأردن في ديسمبر عام ٢٠١٣) إلى أن أساس العائلة من الدرعيّة، وأن له ابنين يقيمان في بغداد، هما عمر ويحيى صاحب مطبعة ثنيّان، وأن أحفاد أخيه يقطنون المنطقة الشرقيّة بعد أن استردّوا الجنسية السعوديّة، وتذكره بعض الكتابات باسم عبداللطيف ثنيّان، بينما يستخدم هو في وسائله اسم عبداللطيف آل ثنيّان، وهو الأسلوب المتعارف عليه في كتابة الأسماء في وسط الجزيرة العربية وشمالها وشرقها.

(*) سبق نشر هذا المقال في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١١ رمضان ١٤٣٩هـ. ٢٧ مايو ٢٠١٨م، رقم العدد (٤٤٢٥).

(**) كاتب سعودي.

وردنا من الأستاذ محمد عبد الشافي القوصي، من مصر، ما يأتي:

إشكالية «التعريب» بين المؤيدين والمعارضين

لقد كان نزول القرآن الكريم بالعربية محل إعجاز وتحدٍّ، ليس على مستوى الأسلوب والصياغة فقط، وإنما على مختلف الأصعدة، وهذا يعني أنَّ (العربية) أو اللسان العربي، يمتلك من الخصائص والصفات والقدرات التعبيرية ما لا تمتلكه أية لغة أخرى، أو أيّ لسان آخر، فاختيار العربية لغة للتنزيل، هو بلا شك تشريف لها من بين سائر اللغات، وتكليف لها بأداء وتوصيل الخطاب الإلهي للناس بما هي أهلٌ له .. فلولا الأهلية، لما كان الاختيار!

وإنَّ اللغة التي وسعت كتاب الله بأحكامه وتشريعاته، وأعجزت الأوَّلين والآخرين؛ أقدر على التعبير من غيرها في مختلف العلوم والفنون والآداب!

العجيب أنْ تتسع اللغة (الصينية) للإنجاز والإنتاج الحضاري، على الرغم من صعوبتها.

وأنْ تتسع (اليابانية) لكل المنجزات العلمية، على الرغم من عقم أبجديتها، ومحدودية مفرداتها.

وأنْ تُحيا (العبرية) بعد اختفائها منذ ألفي عام، وتُسترد من بطون المقابر، والمتاحف، وتُنفَخ فيها الروح، لتصبح لغة العلم، والدِّين، والسياسة، والتعبير عن

أدق المصطلحات والمبتكرات العلميــة، في الفيزياء والرياضيات الحديثة، وتُنشَر بها البحــوث والدراسات، وتصدر المجلات المتخصصــة، ويضطر المعنيُّون بهذه الموضوعات، من أبناء الأديان واللغات الأخرى، إلى تعلمها للاطلاع على إنتاجها!!

في الوقــت الــذي تنحسر فيه اللغــة (العربيــة) بانحســار أهلها، ونكوصهم الحضــاري، إلى درجة يحاول معها بعضهم أن يخرجهــا من ساحة العلم نهائياً، ويحاصرهــا في المتاحف والمعابد! فالعربية في رأيهــم لا تصلح أن تكون لغة العلم والمعرفــة، فليُقتصر فيها على الترتيل لآيات القرآن! ولتعزَل عن الحياة، وتُفصل عن الدولة، ومعاملاتها الرسمية، ومدارسها، ومعاهدها، وجامعاتها ومناهجها، لأنها ليست لغة العلم، ولا الحضارة! وشيئاً فشيئاً تصير كالسريانية، وغيرها من اللغات البائدة، بحجَّة أنها لغة متخلِّفة!

والســؤال الذي يطرح نفســه: ما الذي جعل (العربيــة) بالأمس صالحة لأنْ تكــون لغة العلوم التي أشرقت شمسها على العــالَم حينذاك، وغير صالحة اليوم للقيام بالمهمة ذاتها؟!

ولماذا تدرِّس كلُّ جامعات الدنيا العلوم المتقدِّمة بلُغاتها القومية، إلاَّ نحن في جامعاتنا؟!

وهــل اللغــة البولندية ـ مثلاً ـ أكــثر قدرة على استِيعــاب مصطلحات الطب والهندسة من العربية؟

وهــل يرتَبِط التقــدُّم العلمي بالدراســة باللغــة الأجنبيــة؟ أو بدراسة اللغة الأجنبية والاستفادة منها؟

لقد نسِيَ هؤلاء المغفَّلون من الأعراب أنه لا توجد لغة متخلِّفة، ولغة متقدِّمة، إنما توجد أُمم متخلِّفة، وأُمم متقدِّمة! وتناسوا أنَّ التعليم باللغة القومية؛ تَوطِين للعلم وتأكيد للهُويَّة.

مــن هنا؛ فلا قيمة للمزاعم التي يرددها بعضهــم بأنَّ «العربية غير قادرة على مسايرة العلوم الحديثة»!

انظـر ـ مثـلاً ـ إلـى (فرنسـا) التـي شرَّعت في عـام ١٩٩٤م عقوبـة للذي يستخدم غير الفرنسيـة، في الوثائق والمستندات، والإعلانات المسموعة والمرئية، وكافـة مكاتبات الشركات العاملة على الأرض الفرنسية، وبوجه خاص المحلات التجاريـة، والأفـلام الدعائية، التي تبـث عبر الإذاعة والتلفزيـون، ونصَّت على عقوبـة السجـن أو الغرامة الماليـة، التي تصل إلـى ما يعادل ألفـي دولار. وهذا القرار، جاء في مواجهة هجمة اللغة الإنجليزية، التي أوصلتها الأقمار الصناعية إلـى بيوت الفرنسيـين، في محاولة لاستنقـاذ التراث الفرنسي المهـدد بالإغراق اللغوي!

فأين هذا من معاناتنا اللغوية، أو مأساتنا اللغوية، في مدارسنا، وجامعاتنا، ومحلاتنـا التجارية، والعمالـة في بيوتنا، ودوائرنا الرسميـة، التي تفرض علينا عمليـة التعجيم، وتكسير موازين اللغة العربيـة وقواعدها؟ إنهم يعجِّموننا، بدل أن نعرِّبهم!

مـن هنـا؛ فإنَّ الدعوة إلـى (التعريب) باتت ضرورة علمية وإسلامية في آنٍ واحد!

تاريخ التعريب

المقصـود بـ(التعريـب) النقلُ إلـى اللغة العربية من لغةٍ أخـرى؛ أيْ صبغ الكلمـة (المُصطَلح) بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية. وهـي سياسةٌ تتبعها الدَولةُ لتشجيع أن تكـون (العربية) لغة العلم والعمل والفكر والإدارة.

ويعـرّف **المعجـمُ الوسيـط** التعريـب: بأَنّـه ترجمـة النصوص مـن اللغات الأجنبيـة إلى اللغة العربية، وإنما يكون التركيز هنا على ترجمة المعاني بما يكفل أن يحافظ النص الأصلي على خصائصه قدر الإمكان.

وقـد عالج ابن خلدون هـذا الموضوع في مقدمته[1]، فقـال: «ولَمَّا كان كتابنا مشتمـلاً على أخبارِ البربر والعجمِ، وكانت تعرض لنـا في أسمائهم أو بعضِ كلماتهم

حـروفٌ ليست من لغةِ كتابنا ولا اصطلاح أوضاعنـا؛ اضطررنا إلى بيانه، ولم نكتف برسم الحرفِ الذي يليه كما قلنا؛ لأنّهُ عندنا غير واف للدلالة عليه، فاصطلحتُ في كتابـيَ هذا على أن أضعَ ذلك الحرف العجمـي بماً يدل على الحرفين اللذيْن يكتنفانه ليتوسط القارئ بالنطقِ بين مخرجي ذينك الحرفينِ فتحصلُ تأديتهُ».

جدير بالذكر أنَّ (التعريب) ليس نشاطاً حديث العهد، فقد قام العرب منذ فجر الحضارة العربية الإسلامية بنقل النصوص العلمية إلى العربية.

لكـن ـ مـن أسف ـ في أيامنا هذه يجري جدل واسـع حول إشكالية (التعريب في التعليـم الجامعي)! وبمجرد أن يطرح هذا الموضـوع للبحث والمناقشة؛ ترتفع أصوات المعارضين للتعريب، والكارهين للعربية.

فما هي حجج المؤيدين، وحجج المعارضين؟!

المؤيـدون؛ يرون أنَّ أغلب الطـلاب لنْ يُلموا باللغـات الأجنبية بالقدر الذي يسمـح لهـم بالاطلاع على المراجـع الأجنبية وفهمها بيسـر؛ وأنَّ التعليم باللغات الأجنبية يمكن أن يخلق عند الإنسان ازدواجية في الشخصية، ويؤدي إلى انقطاعه عـن ثقافته الأم؛ بينما التعليم بـ(اللغة الأم) يوفـر الكثير من الجهد الذي يُهدَر على فهم النص الأجنبي بحد ذاته، ويوجه الجهود إلى فهم المادة العلمية نفسها؛ وأن العربيـة قادرة على استيعاب العلوم الحديثة؛ وأن المفاهيم العلمية الأساسية أكثر ثباتًا، ولا ينكرون ضرورة الإلمام باللغات الأجنبية للاطلاع على المستجدات.

أمَّـا المعارضـون؛ فيرون أنَّ العـالم العربي حاليًا لا يسهم في العلوم الحديثة، لـذا مـن الأفضل أن يتم التدريـس بالإنجليزية، لكي يعتـاد المتعلمون على قراءة أحدث المواد العلمية باللغة التي تمَّ نشرها بها، وأن سرعة التطور العلمي لا يترك للغـة العربية مجالاً لاستيعاب المصطلحات الحديثة، وأن حركة الترجمة لا يمكن أن تلحق بسرعة التطور العلمي.

إنَّ المعارضـين لا يزالـون يـرددون مزاعـم المستعمرين القدامـى، ويحذون

حذوهـم، ويطالبون بمطالبهـم، فقد أجبر (الإنجليـز) المصريين سنة ١٨٨٩م بقرار رسمي ينص على: أن تكون لغة التعليم بمصر في جميع مراحله بالإنجليزية!

وفي الجزائـر أصـدر وزيـر الداخليـة الفرنسـي (كامبل شوتـو) في ٣/٨/ ١٩٣٦م قـراراً باسم الحكومة الفرنسية باعتبار العربية لغة أجنبية في الجزائر، ولا تعامـل علـى قدم المساواة مـع بقية اللغـات الأجنبية؛ كالألمانيـة والإنجليزية والإيطالية والإسبانية[٢]!

سؤال لابدَّ منه:

تـرى؛ لمـاذا يعجـز أبناء العربيـة المخلصين عـن تعريب العلـوم في العصر الحاضـر، على الرغم من جهـود بعض الجهات العلمية العربيـة؛ كمجامع اللغة العربية وغيرها؟!

لا جـرم أنَّ سبب العجز راجع إلى أولئك المرجفـين، بمعاونة القوى الخفية، التي تقف حاجزاً منيعاً بين الإصلاحيين الغيورين، وبين بلوغهم الهدف المنشود!

لقـد تناسى أولئـك أن العربية انحـدرت ـ في العصر الحديـث ـ بفعل القوى الاستعمارية؛ بأجهزتها الثقافية والإعلامية؛ بسبب جنوح أهلها إلى التخلف!

الحقَّ أقول: إنَّ المشكلة ليست في اللغة، إنما هي مشكلة الناطقين بها .. ومِن ثـمَّ: فإنَّ علاج القضية يكمن في علاج أهلها أولاً؛ بإقناعهم بأنَّ تعليم (العربية) وتعريـب العلـوم؛ هي قضيـة الساعة التي يجـب أن تحسم بأسـرع وقت ممكن؛ وذلـك بإقناع أهلها بالدور الحضاري لهم كعـرب ومسلمين في مسيرة الحضارة المعاصرة، وإقناعهم بأنَّ العامل الحضاري عامل فعَّال في حياة اللغات ... عندئذٍ؛ سيعلم أولئك المنبهرون بالغرب أنهم في ضلال بعيد!

لا جـرم أنَّ هـذا الوضع المتخلـف الذي تعانيـه العربية بين أهلهـا، وداخل أوطانهـا؛ سيستمر طالمـا بقيت العربية مبعدة عن مجـالات العلم والتكنولوجيا، وطالما اتخذ العلماء العرب لغات الآخرين وسيلةً لتدريس العلوم بجامعاتنا ..!

إنَّ القضيــة في حاجــة إلى قرار سيادي يُلزِم بتعريــب العلوم .. فالتعريب في صــدر الإســلام لم يكتمل ويترسخ إلاَّ بقرارات سياسيــة، على ما كان للعربية مِن قوة وسيادة ومَنَعة بفضل انتشار الإسلام، وشيوع القرآن الكريم في أرجاء الدولة الإسلامية بلسانه العربي المبين!

لم يــترك القادة والحكَّام الأوائل المسألــة لهذه الاعتبارات وحدها، فقد رأى عمــر بن الخطــاب رضي الله عنه أنه لابــدَّ من اتخاذ القرار ببــدء التعريب، ثمَّ احتاج الأمر إلى قرارٍ جديد من عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين؛ أي تعريب جهــاز الدولة، ثمَّ احتــاج الأمر إلى قــرارٍ ثالث من الرشيد، ومــن بعده المأمون؛ بإنشاء (بيت الحكمة) ودفع حركة الترجمة، واستحضار كتب المعارف من الأمم الأخرى، وتعريبها بوزنها ذهباً ... وهذه أضخم عملية تعريب شهدتها الأمَّة!

إذن؛ كلها قرارات سياسية متتابعة ومتكاملة، اتُّخِذت على أعلى المستويات، من تعريب الحياة العامة، إلى تعريب جهاز الدولة، إلى تعريب المؤسسات العلمية! فالقــرار السياسي مسألة حتمية في إنجــاز التعريب[٣] .. فإنَّ الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن!

على صعيدٍ آخر؛ فقد أظهرت الحقبة الماضية أنَّ الاهتمام العالمي بالعربية يتزايــد مع تزايــد الاهتمــام السياسي بالمنطقــة العربية، على الرغــم من حالة التراجــع التــي تشهدها الأمة! فالعربيــة تشهد حالة صحــوة، وتكتسب مساحات أكبر من التأثير والوجود على ساحات الإعلام العالمي في مختلف المجالات، حيث ساهــم التعريب في الإعلام الدولي في التأثير المتبادل ونقل المعارف المختلفة، ولم تتوقــف الظاهرة عند الغرب فقط، وإنما امتدت إلى الشــرق الآسيوي أيضًا. مع إيماننا بأنَّ الاهتمام العالمي بالعربية يأتي لأسباب سياسية وفكرية واقتصادية.

هذا؛ وقد تطور استخــدام العربية في وسائل الإعلام عبر عدد من المراحل؛ فبدأ أولاً عبر البــث الإذاعي من خلال إذاعات متخصصة بالعربية؛ مثل: راديو لندن، ثمَّ البث المعرب خلال ساعات محددة لراديو مونت كارلو، وصوت أمريكا.

ثم أعطى الإنترنت دفعة قوية للعمل الإذاعي، وزاد من التعريف بالتعريب الإذاعي، مما ساهم في توسيع مجال البث؛ إذْ لجأت الإذاعات إلى الإنترنت، وأنشأت نوافذ إلكترونية معرَّبة تبث من خلالها الأخبار بالنص العربي؛ مثل: راديو لندن، ومونت كارلو، وراديو كندا، وإذاعة الصين، وراديو كوريا الدولي، وراديو اليابان الدولي، وصوت روسيا، وإذاعة يوغسلافيا. ثمَّ توسعت حركة التعريب مع الطفرة التي حدثت في البث الفضائي، التي أحدثت نقلة نوعية في انتشار القنوات التي تهتم بالبث باللغة العربية.

أجل؛ إنها ظاهرة جديرة بالرصد، وهي تنمو بشكل متسارع، وقد بدأت مؤسسات صحفية دولية كبرى تصدر طبعات معرَّبة من مطبوعاتها، وصدرت خلال الأعوام الأخيرة طبعات عربية لصحف أجنبية؛ كمجلات: نيوزويك، وفورين بوليسي، وبيزنس ويك، وفوربس، ولوموند ديبلوماتيك، وإيكونوميست، وغيرها من مجلات ودوريات العالم الغربي.

ومع توسع الاهتمام بالعربية؛ بدأت دول العالم ترصد المزيد من الأموال من أجل تعلُّمها، حيث تقرر في الميزانية الأمريكية للعام ٢٠٠٦ تخصيص ١١٤ مليون دولاراً لتعلم العربية، ثمَّ تضاعفت هذه الميزانية مرات ومرات. وفي الاتجاه ذاته شرعت الجامعات الأمريكية مؤخرًا في تدريس العربية لخدمة الطلاب الراغبين في الحصول على وظائف في المجال العسكري والدبلوماسي. بل إنَّ جامعة مينيسوتا الأمريكية أعلنت عن توسيع مجال تدريس العربية، وسبقتها جامعتا ويسكونسين، وإلينوي.

من هنا؛ يمكن القول: إن (العربية) بدأت في العودة إلى خريطة الفكر والثقافة العالمية؛ بعز عزيز، أوْ بذل ذليل!

لا جرم أنَّ سعي الإعلام الدولي نحو التعريب لنشر ثقافة الدول والشعوب التي ينتمي إليها يفرض على العرب والمسلمين مسؤولية مبادلة الرسالة برسالة أخرى إيجابية تتناسب والتحديات الحضارية التي تواجهها.

فلـم يعـد من المقبـول أن ننتظر ما يصـل إلينا من أفكار أو مـا يتصدَّق به الآخـرون علينـا، دون بذل الجهـد لدفع حركة التعريـب إلى الإمـام، واسترداد عافيتنا الثقافية والفكرية!

الخلاصـة: التعريب قد فرض نفسه على الساحة العالمية؛ لذا أصبح ضرورة لنـا للتعرف إلـى الثقافات الأخرى، ووسيلة لتوفير المعـارف والعلوم بشكل ميسر لعموم الأمة.

وفـوق كل ذلك؛ فإنَّ الاهتمـام بالعربية يزيد من اعتزاز الأمة بهويتها، كما أنَّ التعريب يساهم في مستقبل أفضل للعربية في ظل الصراع الحضاري المحتدم. والله غالبٌ على أمره!

الهوامش:

(١) **مقدمة ابن خلدون** ١/٤٤.

(٢) راجع كتابنا **العربية لغة الوحي والوحدة**؛ وزارة الإعلام، الرياض.

(٣) **تعريب التعليم الجامعي ضرورة**، السيد أحمد فرج، رابطة الجامعات الإسلامية، ١٩٩٣م.

الطواف حول البحر الإرْثيري والجزيرة العربية، ترجمة السيد جاد، تعليق حمد بن محمد بن صراي، إشراف وتحرير عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧، ١٣٣ صفحة.

انطلاقًا من اهتمام دارة الملك عبدالعزيز بتاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، فقد تبنت مشروعًا مهمًّا جدًّا، وهو ترجمة ما دوَّنه الكُتَّاب الكلاسيكيون (اليونان والرومان) باللغة اليونانية أو باللغة اللاتينية من معلومات عن تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها، وعن شعوبها واقتصادها، وهي حقبة تاريخية يمتد زمنها بين القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، وأسندت العمل إلى فريق من المختصين الأكفاء في الترجمة وفي التعليقات. وأثمر العمل في المشروع عن إصدار سبعة عشر كتابًا، تفاوتت أحجامها وفق غزارة المعلومات وقلتها لدى كل مؤلف. أما النصوص القليلة لدى بعض المؤلفين، فقد جُمعت وأُصدرت في كتاب واحد.

ولا شك أن الدارة أسدت خدمة جليلة لتاريخ الجزيرة العربية؛ لأن هذه المعلومات تسهم في تغطية جانب مهم من تاريخنا في حقب لم تزوِّدنا مصادرنا التاريخية بمعلومات عنها، وإنما هناك القليل من النقوش. وطبيعي أن معلومات المصادر الكلاسيكية تخضع مثل غيرها من المعلومات للنقد والتمحيص، ويُستخلص منها ما يطمئن إلى موثوقيته.

أما مؤلف كتاب **الطواف حول البحر الإرثيري والجزيرة العربية** (The Periplus Maris Erythraci)، فهويته مجهولة، ولم يكن من العلماء، مثل هيرودوت وديودور الصقلي وبليني، بل هو عامِّي، وأسلوب كتابته

يعكس أن ثقافته ضعيفة، ولكنه قام بأسفار، وسجل معلومات قيِّمة عن الموانئ والمدن التي زارها في مذكراته التي لم يتجاوز حجمها ٢٥ صفحة.

والكتاب سجل تجاري وملاحي دوَّنه المصنف وكأنه يكتب تقريرًا لجهة ما. وربما أنَّ كاتبه قصد منه أن يكون دليلاً ملاحيًّا لرواد سواحل البحر الأحمر وشرقي أفريقيا وشبه الجزيرة العربية وبلاد الهند. وهو في الوقت ذاته دليل تجاري لما يمكن شراؤه وبيعه في المرافئ والأماكن المختلفة الواقعة على تلك السواحل.

ويشير مدون هذا السجل إلى السُّلُطات التي تخضع لها هذه الموانئ، والعملات المتداولة فيها، وصفات الناس وطرق تعاملهم مع الغرباء. ويذكر البلدان الداخلية التي تمدُّ الموانئ بالمنتجات والسلع، إضافة إلى ذكره للطرق والدروب.

شغل مؤلف الطواف العلماءَ والباحثين الغربيين في العصور الحديثة حول شخصه ودوافعه لتدوين هذا السجل، والدول أو الجهات التي تقف خلفه؛ فمنهم من رآه جاسوسًا يعمل لصالح الرومان، ودوَّن هذا التقرير لهم، ومنهم من رآه تاجرًا يونانيًّا أو رُبَّان سفينة دَوَّن ملحوظاته ومشاهداته وسماعاته، وفريق آخر رآه مجرد تاجر متنقل سافر في البحر الأحمر والمحيط الهندي ممثلاً لإحدى الوكالات التجارية في بلدة بيرينيكي (برينيقي Berenike) الميناء البطلمي على البحر الأحمر.

أما عصر المؤلف، فموضوع خلاف كذلك، وتراوحت تحديدات الباحثين له بأنه يقع بين عامي ٣٠م و١٠٦م، والعام الأخير هو الذي ضمت فيه الإمبراطورية الرومانية مملكة الأنباط العربية إلى حكمها المباشر.

وذكر مؤلف **الطواف** ميناءً آخر لمصر على الساحل الغربي للبحر الأحمر هو ميُوس هُورمُوس، واسمه الآن أبو شعر قِبلي. وذكر بعض الموانئ الحبشية وتجارة العاج والفيلة ووحيد القرن، من تلك الموانئ أدوليس (وهو عدولي، الميناء الذي

رست فيه سفن الصحابة المهاجرين إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة).

ومـن الموانئ العربية التـي ذكرها على البحر الأحمر، الـذي يسميه الخليج العربـي (Erythra Thalassa) أفاليتـي (Avalites)، الـذي يعتقد أنها زيلع، وذكر أنه يوجد عدد آخر غيرها من المراكز التجارية، ويجلب إلى هذا المكان (أفاليتي) الأحجار الزجاجية المتنوعة، وعصير العنب اللاذع من ديوسبوليس/ طيبة (عاصمة مصـر القديمة)، والملابس البربرية المشطـة المتنوعة، والقمح والخمـر والقليل مـن القصدير، ويصدر منها عن طريـق التجار الأجانب الذين يعبرون في قوارب أوكيليس (أكيلا: ميناء في أقصى جنوب البحر الأحمر) وموزا (موزع) (Muza) على الجانب المقابل، والأعشاب العطرية، والقليل من العاج وأصداف السلاحف، والقليل من المُرّ، وسكانها بدائيون.

وبعـد مدينة الأفاليتي يوجـد مركز تجاري آخر أفضل منهـا، ويعرف باسم (مـالاو Malao)، يرجَّـح أنها مدينة بربـرة في الصومال، والسـكان المحليون مسالمون جدًّا. ويجلب إلى هذا المكان الأشياء التي سبق ذكرها، وكذلك عدد أكبر مـن القمصان الداخليـة والعباءات الخشنة المشطـة والمصبوغة من آرسينوي، (إحـدى البلدات في إقليم الفيوم)، وكؤوس الشراب، والقليل من ألواح النحاس، والحديـد، والعملـة الذهبيـة والفضيـة بكميات قليلـة. ويصدَّر من هـذا المكان أيضًـا المر والقليل من لبـان الجانب البعيد، والكاسيا الصلبة (نوع من القرفة)، والـدوراكا (نـوع رديء مـن القرفـة) والكانكامون (نـوع من اللبـان) والصمغ الهندي، وهي المنتجات التي تجلب إلى بلاد العرب.

ومما ذكره من الموانئ (موندس Mundus)، وهي جزيرة حيس الواقعة في مواجهـة الساحل الصومـالي المطل على خليج عدن. وترسو فيها السفن؛ فهي أفضلها أمانًا، وتجلب الأشياء التي سبق ذكرها إلى هذا الموضع، ومن هناك تنقل البضائع التي سبقت الإشارة إليها وكذلك البخور.

وذكـر عددًا مـن الموانـئ والمـدن؛ مثـل (بَـرِيمDiodorus)، و(دَهْلك

Alalaei). وانتهى بذكر بعض الموانئ في الهند؛ مثل (باربارايكون Barbaaricon) (كراتشي)، وذكر نشاطاتها التجارية وبعض المعلومات عن سكانها.

يقتضي الواجب شكر السيد جاد على جودة الترجمة، مع العلم أنها نصوص صعبة وقابلة للتأويلات المختلفة، وأخص بالشكر المراجع حمد بن صراي، فكانت تعليقاته ثرية جدًّا، وتعد إضافة قيمة، بل هي في نظري تفوق قيمتُها النصَّ الأصلي. وأختم بشكر صاحب فكرة ترجمة هذه الأعمال والمشرف عليها؛ عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار.

أ. د. عبدالعزيز الهلابي